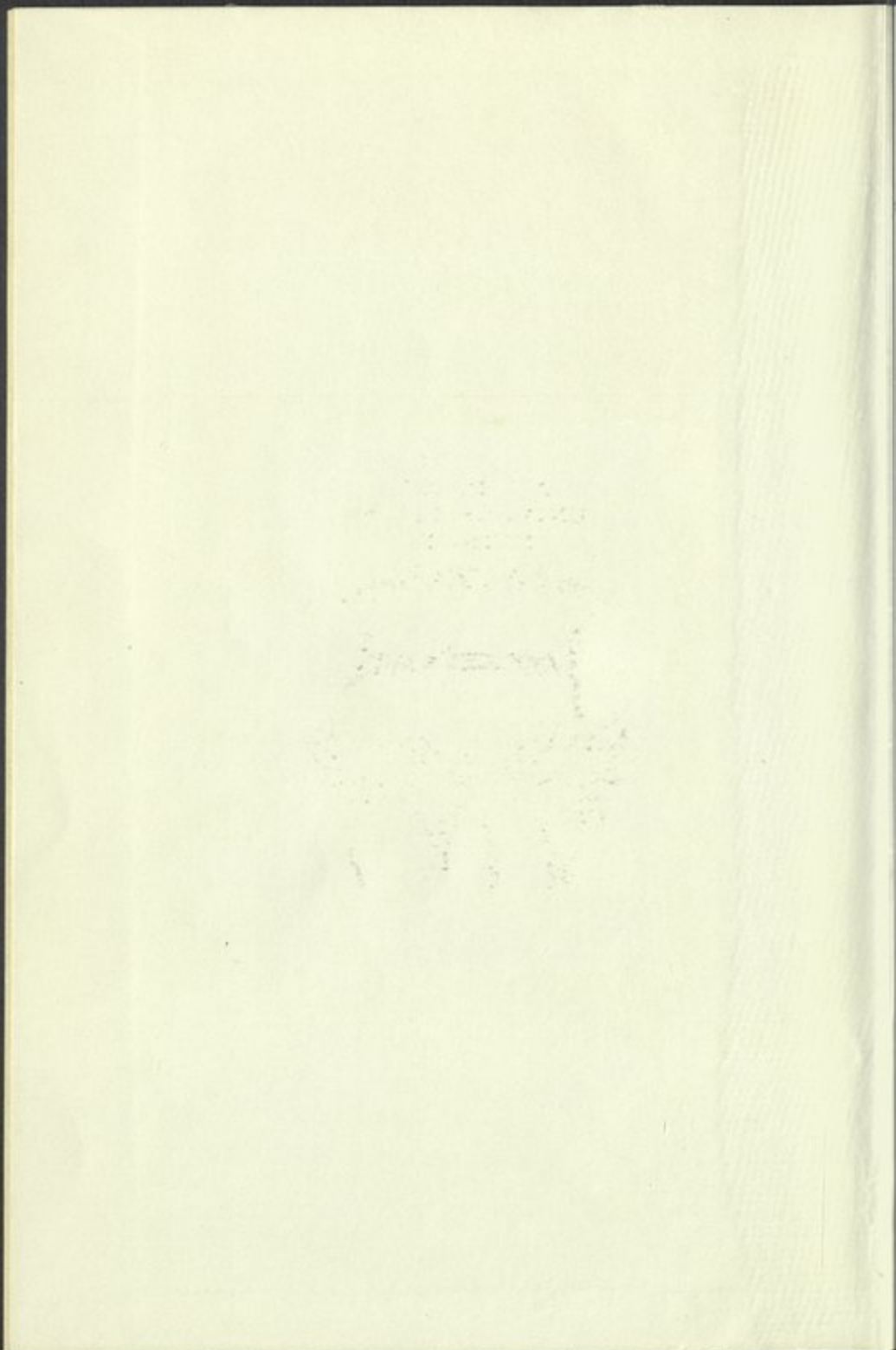


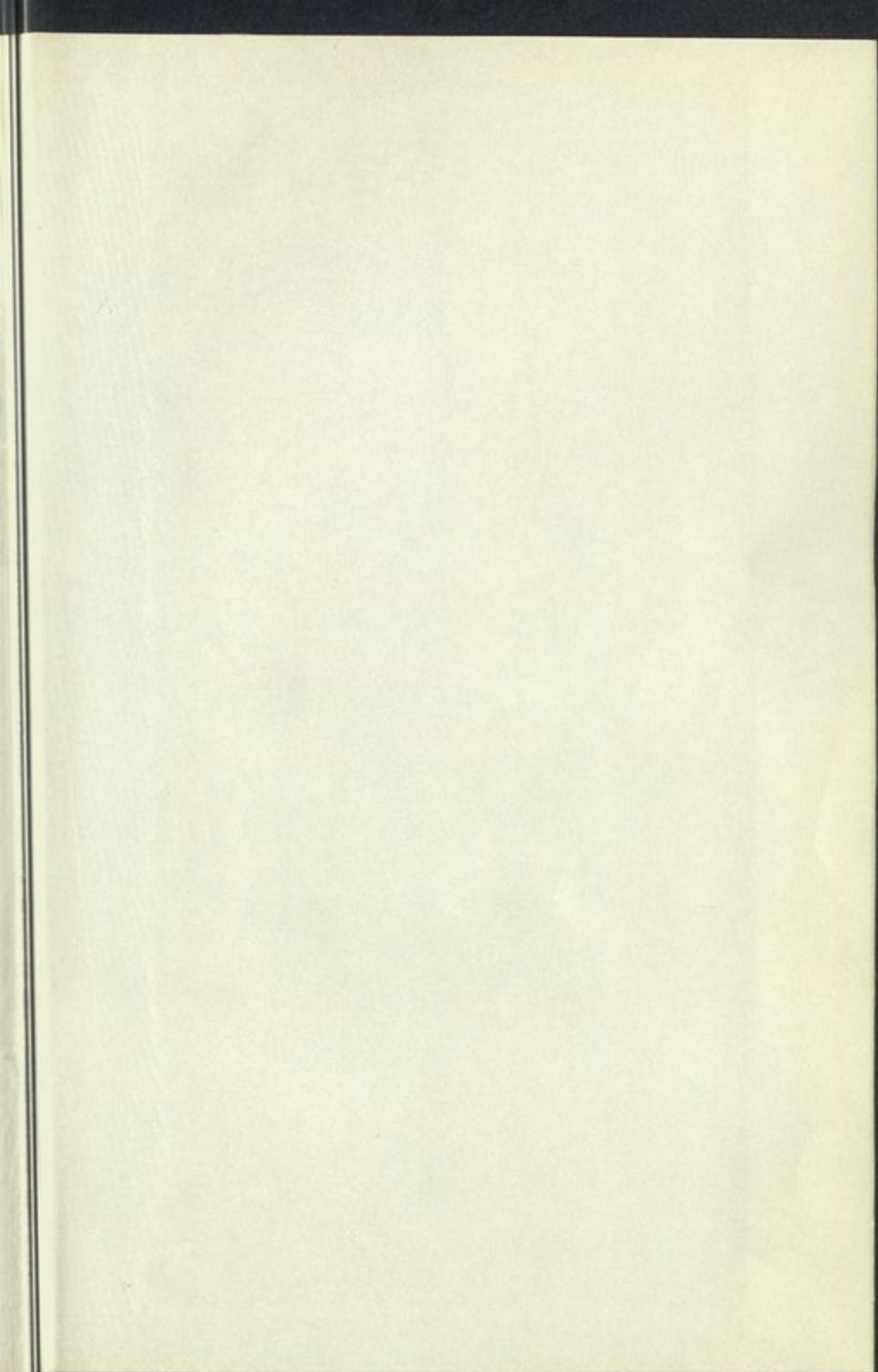
مجله

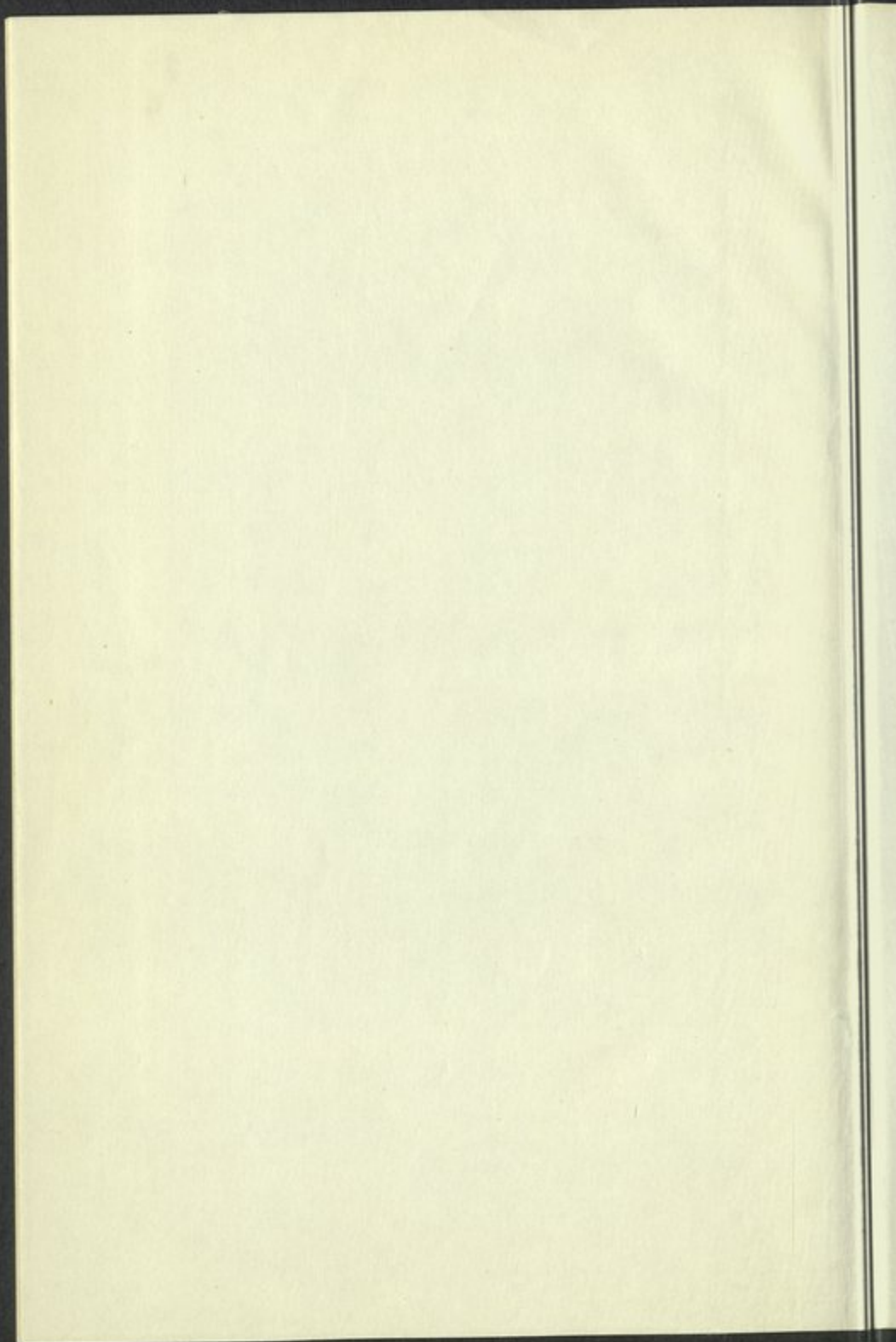
تاریخ

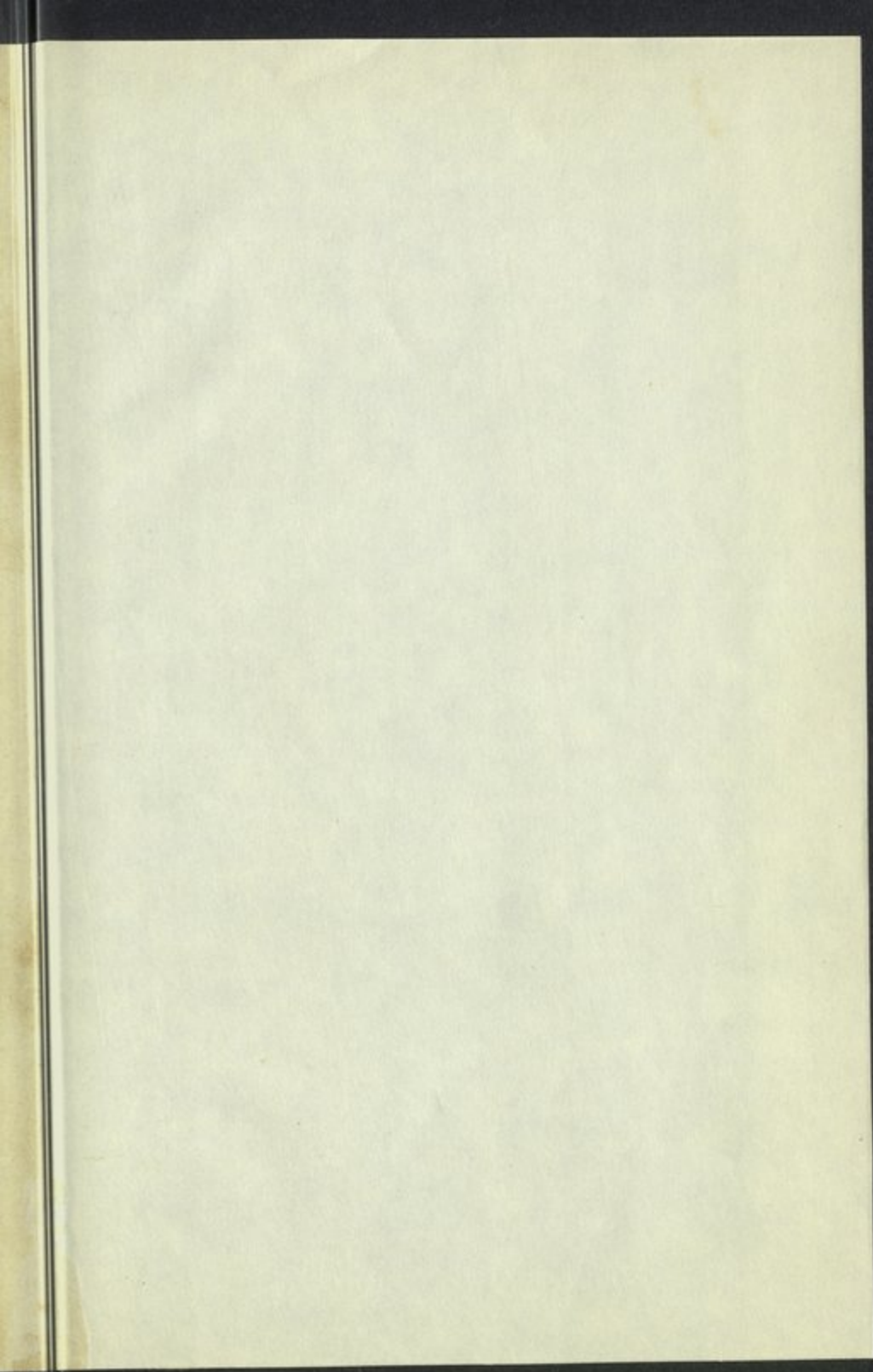
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



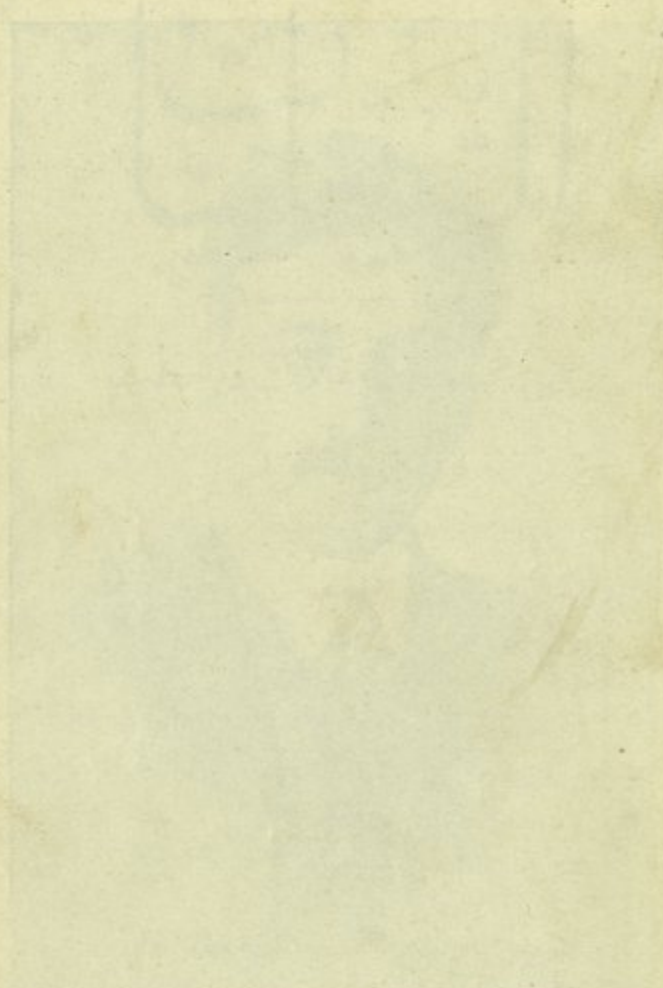








11



Handwritten signature or initials, possibly "J. S. B." or similar, located near the bottom center of the page.

11



امین
الحیاتی

پروٹ سنہ ۱۹۳۳

٥١٣٧

رؤ

892.78
R572r h24

v.2

c.1

الريحاني

وهي مجموعة مقالات وخطب
وشعر منشور

تأليف

امين الريحاني

الجزء الثاني

يحتوي على خطب ومقالات انتقادية وشعر منشور

مزيناً بأغراض رسم للمؤلف

طبعة ثانية

48380

طبع في المطبعة العلمية ابوسف صادر في بيروت سنة ١٩٢٣

Cat. Sept. 1935



مكتبة جامعة ميشيغان

مكتبة جامعة ميشيغان

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

في الباب

لا المجد ولا الشهرة امنيتي القصوى . ولا الجاه ولا الثروة
ولا السيادة ولا العظمة . وانما امنيتي الجوهرية الاولى هي ان
اكون بسيطاً في اعمالى . صادقاً في اقوالى . مستقيماً في مبادئى
وآرائى . فطرياً في تصرفى وسلوكى . حراً فيما احب وما اكره
وبكلمة اخرى اود ان اكون دائماً نظيف الجسم نزيه العقل والقلب
بعيداً عن التصلف والزخرف والعجب والمصانعة . بعيداً عن
الخبث والخوف والتذبذب . بعيداً عن الخجل الذي يذل النفس
ويميت الحقيقة . بعيداً عن الكذب والجريزة والمداهنة والرياء .
على ان اقتبل ما يقابلنى من الصعوبات في مسالك الحياة باشأ
جاداً ثابتاً صابراً متجلداً . على ان اناهض الفساد والضلال في
الناس وألا أكره احداً من الناس . اود ان اعيش دون ان ابغض
احداً . واحب دون ان اغار من احد . وارفع دون ان ارفع
على احد . واتقدم دون ان ادوس من هم دونى او احسد من هم
فوقى . هذه هي سننى وللغير ان يتخذوا لهم سنة توافقهم .
للغير ان يسلكوا ذات المسلك اذا شاوروا واستطاعوا . ليس من
شأنى ان اتدخل في شئونهم ولا ان ارشدهم منذراً او اعظمهم

متأمرآ متهدداً . عليّ ان اعيش صادقاً مسالماً مستقيماً . وللناس ان
يعيشوا كما يطيب لهم . لا احب ان انصح احداً . حتى كانت
نصيحتي بنت فكرة زائلة لا بنت حقيقة دائمة . ولا ان انضم الى
حزب من الاحزاب . او طائفة من الطوائف . او جمعية من
الجمعيات . معها كانت صفتها . ومهما تسامت غاياتها . ولا ان
اساعد احداً لا يعمل في مساعدة نفسه . واذا كان في ما يلهم
الناس الى الخير ويرفعهم درجة واحدة في سلم الرقي العقلي والروحي
احب ان اظهره بالمثل والاشارة والالطف لا بالانذار والوعيد
والتأمر . احب ان تشع حياتي ولا احبها ان تفرقع . احب ان
تكون كاحد الكواكب السماوية . لا كسهم من الاسهم النارية

امين

بيروت في اول ايار سنة ١٩١٠

الخطب

في العزلة^(١)

١

جا. في الامثال ان في الحركة بركة وليس فيكم على ما
اظن من يجهل ذلك. ليس فيكم من ينكر صحة هذا المثل
الساخر ولا يعمل به. واما هذا الفقير فانه لا يعتقد بصحته ولا
يعمل بموجبه. وقد خطر لي منذ سنين ان اعكس الآية واجري
على ضدها. فقلت ان كان في الحركة بركة ففي الفلوات بركات. وفي
القمود سعود وفي الهدوء نمو وسمو. واشياء اخرى من هذا الباب
ولا يخفى عليكم ان في هذه الامثال حكمة تختلف عن حكمة
المثل السابق بل تختلف اختلافاً جوهرياً يحاكي اختلاف النفس
عن الجسد. فالحكمة فيها روحانية معنوية وحكمة من يقول
ان في الحركة بركة حكمة مادية عملية تجارية. لذلك آثرت الاولى
على الثانية. فاوقفت عملي وخرجت من الوسط المضطرب لافكر
قليلاً في ما انا فيه لارى اين انا من نفسي ومن الله. وحقاً اني
تأملت لما وقفت متأملاً: تأملت لما رايتني قريباً من الناس بعيداً
عن نفسي وعن الهي. فتركت الحركة والبركة للعمال ولبنني
الاشغال وسلكت في نور الحكمة والحقيقة مسلكاً جديداً. وهذه
حالة لا بد منها لكل من تنبّهت فيه الروح. هي طور من اطوار

(١) خطبة القيت في جمعية شمس البر ببيروت في ١٩ اذار سنة ١٩٠٨

الفيلسوف الاولى . هي اول ريشة في جناح الشاعر هي اول
 حادثة خطيرة في حياة الاولياء والانبيا . هي اول عقدة روحية
 عقلية يعجز عن حلها اكثر المفكرين . وجدت نفسي في هذه الحالة
 متألماً متحيراً متردداً . تأملت كثيراً لما رأيتني في الغربة بين شعب
 لا يعرف معنى السكينة ولا الراحة ولا الجمال . وجدت نفسي
 في بلاد فيها الحركة دائمة متواصلة . واما البركة فيقال فيها ما
 يقال في بعض الامراض انها حادة متقطعة . وجدت نفسي بين
 قوم يأكلون ماشين . ويقرأون آكلين . ويعبدون النقود راكضين .
 ويعبدون الاوثان قائمين قاعدين . بل يقدمون ارواحهم واجسادهم
 ضحية لآلهة ماسمعت باسمائها العصور الغابرة . عشت زمناً بين
 قوم يقال انهم مسيحيون ولكنهم في الحقيقة وثنيون . وثنيون
 بترفهم وبطرهم . وثنيون باخلاقهم وشعورهم . وثنيون بمطامعهم
 واستشارهم . وثنيون بتعدد الهتم . واما هياكل هذه الآلهة
 واصنامها فانك لا تشاهدها قائمة في الاسواق بل ينبغي ان تنظر
 اليها بعين الروح فتراها في كل حي وجماد يتحرك هناك تعال اذا
 معي لاريك آلهة هذا الزمان الجديدة . آلهة هذا التمدن الحديث
 تعال معي لاريك من الهياكل والاصنام الواناً واشكالاً . فهذا
 صنم من القطن لآله البورص وذاك صنم من الفحم لآله المعادن .
 هذا صنم من السكر لآله الخقول وذاك صنم من الخشب لآله الغابات
 وهاهنا هياكل من المرمر والرخام لآله التجارة وهناك الهياكل

الاكبر المشيد من حجارة الذهب والفضة لاله الآلهة. اله الامة. اله المال. والناس هناك يعدون اموالهم راكضين من هيكلك الى آخر ومن اله الى اخيه. وابدأ تراهم لهذه الآلهة الغريبة ساجدين. فيعبدونها ويخدمونها ويموتون في سبيلها. يعبدونها في كل حالاتهم. يخدمونها في حركاتهم وفي مسكناتهم. فخرجت من بين هؤلاء المشركين طالباً في البرية ربي مثل ابراهيم. خرجت من بينهم وانا على اعتقاد ان المرء اذا قرب من العالم الجديد يبعد عن الطبيعة وعن الشعر وعن الجمال الروحي وعن الله. ولذلك حولت وجهي الى مشرق الشمس. وعدت في طريقي الى ارض الانبياء. عدت الى وطني لاقترب من جمال الشرق الشعري وجماله الطبيعي وجماله الروحي بل الالهي. اي الجمال الدائم الابدي الذي لا تشينه الحالة السياسية المختلة ولا الحالة الاجتماعية المعتلة.

عدت الى مسقط رأسي باحثاً عما اضاعته هناك ايام الصبا. افلتت من اشراك التمدن والحمد لله وفردت هارباً الى الفريكة. على كتف الوادي وبالقرب من كروم اجدادي نصبت خيامي. فوق نهر الكلب وقبالة جبل صنين رفعت رايتي البيضاء عوضاً عن العلم الاحمر الذي وضعته في يدي احدى بنات الحربة في البلاد الاميركية. رفعت علم السلم فوق فلسفتي الاجتماعية بعد ان كان علمي علم القتال وكتبت على بابي + في اصلاح الفرد اصلاح الامة وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكام +.

نعم سادتي ان التهذيب خير من التحزيب والتخريب . على ان ذلك ليس من موضوعي هذه الليلة فالمجال ضيق لمثل هذا البحث واضيق منه منبر هذه الجمعية .

عدت الى وطني طالباً فيه راحة العقل وراحة النفس وراحة الجسد . بل طالباً فيه شيئاً اشرف من كل ذلك واسمى - طالباً في الطبيعة ومنها ما ينسي المرء عقله ونفسه وجسده . عدت ياسادتي لا كما عاد يوليوس قيصر الى رومية او هوجو الى باريس عدت قانعاً شاكراً راضياً وتذكرت السندباد لما عاد من سفراته وابا العلاء لما عاد الى معرفته . فشكرت الله كالسندباد على سلامتي في الغربة ولجئت كابي العلاء الى العزلة في قريتي هرباً من الحضارة ومتاعبها وشغفاً بالطبيعة وجمالها . وحباً بالتأمل ولذاته . وتقرباً من الله وبركاته . فدخلت هذه المدينة كما يدخل الكهان الهيكل او اللص البيت . دخلتها من باب السر فلم يدر بي من الاخوان احد . وصعدت الى الجبل ولم يدر بي احد . واقفت هناك زمناً في ظلال الصنوبر ولم يدر بي احد . فأضجعت على العشب وراسي في ظل وزالة زاهرة - انا للطبيعة وانا اليها راجعون - وشكرت الله شكراً جزيلاً ووددت لو يكون بيني وبين المدن اضعاف ما بيني وبينها من الوهاد والجبال والبحار .

واظنتني اخطأت مرة فرددت بصوت عال صدى صوت نفسي وما علمت ان للاشجار عيوناً وللصخور آذاناً . بل ما علمت ان النهر

يحمل الى المدينة صدى صوت الوادي وصدى ساكنيه . ففي
صباح يوم من ايام فصل الشتاء سمعت حديثاً دار بين شجرة
كبيرة من الصنوبر واخرى صغيرة او بين ام الغابة واحدى بناتها
قالت الابنة : من هذا الغريب الذي لا يخاف السكني معنا في هذا
الشتاء فاجابت الام : ما هو بغريب يا بنيتي . وانما هو من نبات
هذه الارض ومن سنديان هذه الجبال هو من ابنائنا يا بنية .
وقد طالما حملته وحملته من ثماري لما كان صغيراً . قد طالما فرشت
له من ريشي وظلي ما يزيل تعب الجسد وهم الفؤاد وبعثت اليه
من ارج نسيمي ما يروح النفس ويحييها ومع ذلك فقد هجرنا
زمناً طويلاً وعاد اليوم ليكفر عن ذنوبه امامنا وفي ظلنا . حبيه
يا بنيتي فانه يحبنا .

وبمثل هذا كانت الاشجار تفشي اسراري الى النهر والنهر
يحملها الى البحر والبحر يلقيها بلا اكتراث على شواطئ . هذه
المدينة . وقيل ان الصيادين سمعوا ذات يوم في هدير الامواج
اصواتاً غريبة مطربة فظنوا ان احد الجن يكلمهم بلساننا العربي
الشريف . وقيل انهم فهموا من الغاز الامواج شيئاً يسيراً واشاعوا
في البلد اشاعات تحولت بعد ايام الى خرافات وخزعبلات تشير
كلها الى ان في وادي الفريكة ناسكاً تسجد له الصخور ونخاطبه
الاشجار وتكلمه السواقي وتستشير الطيور . فاستغربت الخبر كما
استغربه الناس وبعد ان فتشت في الوادي عن الناسك واعيان

التفتيش كتبت الى احد الاصدقاء كتاباً هزأت فيه من هذه
الخرافات التي قصها البحر على الصيادين واذا عاها الصيادون في المدينة
فزاد الكتاب الطين بلة لان الادباء الذين سخروا مثلي بهذه الخرافات
اعتقدوا بعد نذر صحتها وطفقوا ينشرونها في اندية الادب
فتجسست الاشاعة حتى استحالت الى خرافة واصبحت في اعتقاد
الناس حقيقة راهنة . وكذلك تنشأ الخرافات وتستولي على الناس
فاهتم بعض اعضاء هذه الجمعية بالامر وكتب احدهم اليّ لاصدقه
الخبر . ثم جاءني من الجمعية نفسها كتاب تسألني به ان اتحفها بشي .
من اخبار الناسك واسفاره . وبعبارة اوضح دعتني الى الخطابة
في حفلتها السنويه منذ سنتين فلبيت الدعوة وبعثت الى الجمعية
بشي . من ثمار نفس الناسك المذكور ^(١) ولبثت انتظر جوابها
وبيئنا انا اتوقع منها كتاب شكره جاءني الرسول بعد اسبوع ومعه
الثمار التي بعثتها . ثماري اعيدت اليّ . ردت الجمعية هديتي بلا
عذر ولا شبه عذر . أرجعت الثمار واغفلت الاعتذار وبعثت مع
الرسول تقول قد فحس الطبيب ثمارك فوجدها مضرّة بصحة هذه
الامة . وجد فيها مكروبات غريبة خبيثة عديدة فكانت هذه
منها اهانة فوق اهانة لكنني قبلتها شاكراً وحسبتها من جملة ما
ينبغي ان يعرض عنه المرء في عزله . حسبتها مما ينبغي ان نترك
وراءنا اذا حولنا وجهنا نحو شمس النفس الشارقة من وراء جبال

(١) وهي خطبة « هنا وهناك وهناك » التالية .

الحقيقة المرسلة ما فاض من نورها فوق مروج الشعر وبحيرات
الخيال . فظل الناسك والحال هذه هائلاً في واديه . ولم يدر ان
الجمعية لم تزل تناديه . على انه لم يكدر رفع طرفه الى سماء الروح
ويلمس بيده ما تجسم امامه من السعادة الروحية الحقيقية حتى
جا . هذا الشتاء وفيه ما كتب له بل عليه من الشدة والبلاء .
فهجر صومعته في الجبل مضطراً واعتاض عن شذا الاودية بروائح
الادوية وعن الاولياء بالاطباء . مع ان الفرق بين الاولياء
والاطباء قليل لا يستحق الذكر . فكم من طبيب فاضل يستحق
ان يطوّب قديساً او يدعى ولياً بعد موته . فقد تعرفت بفضل
الامي العصبية بعدد وافر من هؤلاء الافاضل وبان لي بالاختبار
ما كنت اجهله . تحققت ان الفرق بين الطبيب والكاهن كالفرق
بين السكاهن والمحامي . كلهم نفعنا الله بعلمهم وبرهم يتعاطون
الجرزة . كلهم يتاجرون بشي . من الحقيقة وبكثير من الخزعبلات
والاوهام . على ان الطبيب ارفع درجة من السكاهن والكاهن
ارفع درجة من المحامي . والثلاثة يصادقني من سلالة واحدة ومن
بطن واحد . نعم ان الطبيب والكاهن والمحامي ثلاثة عقبان من
بيضة واحدة . ومن الشرور ما كان لازماً للبشر . من الشرور ما
هو نافع للانسان . وقد كنت اسير شي منها في هذه المدينة لما
جاءني رئيس هذه الجمعية فأسرني ايضاً بلطفه وجميل ادبه وكلمني
مرة أخرى في امر الخطابة . الح علي الرئيس وعدد من الادباء

باسلوب جعلني اظن ان الجمعية تنوي ان تحاصرني في الفريكة وتعتقد جلستها هناك اذا كنت لا اتكلم في حفلتها هنا . فخفت من المضايقة في عزلي ونتيجة خوفي ايها الكرام وقوفي امامكم الان خطيباً . عفواً سادتي ما جئتم خطيباً الليلة بل محدثاً . وسأحدثكم في موضوع العزلة ومنافعها ومضارها .

٣

العزلة اما داءٌ واما دواءٌ . هي داءٌ لمن لا يجد في نفسه ما يغنيه عن معاشره الناس ولو زمناً قصيراً . وهي دواءٌ لمن سئمت نفسه من ملاذ هذا المجتمع وموبقاته من سروره وشروره فيعود الى امه الطبيعة لتداويه بنور شمسها وعليل هوائها وشذا رياحيتها وهي غذاءٌ لمن يخرج من الهيئة الاجتماعية والنفس نافرة من محيط هي غريبه فيه . يعتزل الناس طالباً في الطبيعة الراحة التي لا يعرفها الناس . والذات التي لا يشعر بها الناس . والتعزية التي قلما تعزي عامة الناس . نفس الاول خامدة جامدة . ونفس الثاني سقيمة عقيمة نفس الثالث من الانفس السامية الكبيرة التي قلما تنام . فهي تفيق من هجعتها قبل صياح الديك فتفتح عينيها في ظلمة الليل الحالكة وتقاسي قبل بزوغ الفجر من العذاب والحيرة اشدهما . تبتدى هذه النفس بالمقاومة والتمرد فتقاوم القوات التي تغرضها في طريقها وتمرد علي كل من يحاول ابقائها في الظلمات الدامسة . تسير بنور مصباحها الداخلي الى ان يخرج من الظلمات بفضل ما فيها

من الشجاعة والاقدام والثبات فتتدرج من الظلمة متمردة الى العزلة هادئة وتعاني فيها بادي بدء، نوعاً جديداً من العذاب . تعاني هناك عذاباً هو اس كل لذاتها الروحية بل هو العذاب الذي يقاسيه من تعودت اعصابه المخدرات والمسكنات اذ ينقطع عنها دفعة واحدة . ومن العزلة تعود هذه النفس المحردة المستتيرة المتمردة الى المجتمع لتتعم فيه ارادتها لتثير ولو زاوية صغيرة فيه بما فاض من نورها .

شبهت الانقطاع عن الناس بالانقطاع دفعة واحدة عن المسكنات التي يعتادها المريض . فهل خطر لأحدكم ان يستشير ربه بواسطة الطبيعة في امر روحه المريضة كما يستشير الطبيب في امر جسده . ايد هشكم قولي لكم اننا كلنا مرضى بوجه ما . وفي هذا المجتمع وخصوصاً في هذا اليوم بما فيه من دواعي الامراض والمهموم والاحزان تنفسينا الحركة الدائمة الآمنا . ولا اذكر الآن اي علماء الالمان قسم الناس الى ثلاثة اقسام فقال : قسم منهم يولد للمستشفى وقسم للحرستان وقسم للبادية . اي ان ذلك العالم الالماني يقول ان الناس اما سرضى واما مجانين واما برابرة ومع ما في هذا القول من الغلو والضلال والكفر - اذ كفر العالم بالنفس واساء فهم نوايس الطبيعة وغالى في تقبيح الانسان - مع ما في قوله مما ذكرت فهو لا يخلو من الحقيقة . غير انها حقيقة ناقصة متجزئة واما الحقيقة كلها الحقيقة الشاملة الابدية فهي ان الناس كلهم

سواء من وجهة الفيلسوف . ومن هذه الوجهة ايضاً يمكننا ان
نقسم البشر الى قسمين اوليين . قسم الاحياء روحياً وقسم
الاموات . وهاتان الطبقتان نشاهدهما في كل شعب حضرياً كان
او بدوياً . ففي البدوة اناس تتنبه فيهم الروح وتنهض من سباتها
كما في الحضارة . بل في البدو تبلغ الروح المتفردة الكبيرة اعلى
درجة من السمو والقوة والجمال . فيخرج من البادية رجال كما
يظهر في المدن رجال . وان نبغ في نويرك المخترعون وفي لندرا
العلماء . وفي برلين الفلاسفة وفي باريس الشعراء . وفي فلورنسة
المصورون والنحاتون ففي البادية ينشأ الانبياء . لكل بلاد مزية
طبيعية ثابتة دائمة . وفي كل نفس بشرية شي من سماء البلاد التي
نشأت فيها ومن أرضها . فيها شي من تربة وطنها ومن ترابه . من
خير هوائها ومن شره . من فتوره ومن نشاطه . من هدوه ومن
هياجها . فالتاس اذاً كلهم سواء . من وجهة الفيلسوف . الانسان
واحد من بلاد الزولو الى شطوط التروج ومن ثلوج السكا الى
اطراف اليابان . الناس كلهم سواء . من حيث ان الامراض
والجنون والتوحش كلها تنتاب كلاً منا في اوقات مختلفة وبدرجات
متفاوتة . ولا يفوتنا ان نذكر مع هذه الشدائد كلها نعمة واحدة
شاملة . فانا ممن لا يياسون ولا يقطعون الرجاء مهما توغل الانسان
في الجهل والجنون والتوحش لانني على يقين ان النفس في كل
منا تفيق ولو مرة واحدة من سباتها في سياحتها هذه العالمية .

تنهض النفس من غفلتها فتجيب* ولو بعمل واحد شريف خالص
 لوجه الله . ترينا من النخوة والمعروف والاحسان ما يزيل عن
 وجه الحياة شيئاً من تقطبه وعبوسه . تنهض النفس من ظلماتها
 من تحت اثقالها المادية . من بين اغلالها الاجتماعية . من تحت
 اهوائها وشهواتها واغراضها الذميمة لتقول للناس : - انني لم ازل
 حية واعرف معنى الحب والتساهل والحنان . انني لم ازل حية
 واعرف معنى الحق والعدل والحرية . فيمكنني ان اتسامى الى ما
 فوق الشرف المتعارف بين الناس . الى ما فوق الفضيلة المصطلح
 عليها . الى ما فوق القوانين والشرائع . الى ما فوق قداسة الاديان
 وخزعبلات بدعها . اي لا بد لكل امرء من ساعة ولو في حياته
 كلها يظهر فيها بمظهر الفضيلة الصادقة الفضيلة المجردة النامية الحقيقية
 فيخضع للنفس الامارة بالخير لا بالسوء لتظهر فيه بحاسنها الجليلة
 ولذلك ينبغي ان نقول ان الامراض والجنون والتوحش وحسنات
 النفس او يقظاتها تنتاب كلاً منا على الاطلاق . تنتاب كلاً منا
 في اوقات مختلفة كما قلت وبدرجات متفاوتة . ومن هذه الوجهة
 المرتفعة وجهة الفيلسوف العمومية كلنا لاشك متساوون . اي
 اننا كلنا مرضى بنوع ما وكلنا نتخذ الاشغال نلها بها . نسكن
 بها آلامنا . نخدر بها همومنا . نضمد بها جروح صبرنا ورجائنا .
 ننعش بها آمالنا . وعند ما يقف احدنا ليتنفس قليلاً ليتنشق
 نسيم السحر الجميل او بالحري ليدع عمله هنيئة ويستريح تعاوده

الآلام مضاعفة كما تعاود الاوجاع المريض عند انتهاء فعل المرفين وماهي هذه الآلام ياسادتي ؟ اروحانية هي ام جسمانية ؟ فالطبيب يقول لنا انها جسمانية والكاهن يقول انها روحانية . والحقيقة ههنا اقرب الى جانب الكاهن منها الى جانب الطبيب . الآلما روحية اكثر منها جسدية . يعود الرجل من اشغاله في المساء او من ملاهيته بعد نصف الليل فيستلقي على سريره متكرهاً متأففاً متذمراً . فيشكو وقد خارت قواه من الم في اعصابه او في معدته او في رأسه . ويظن ان اوجاعه موضعية . يظنها جسدية . والحقيقة على ما ارى هي خلاف ذلك . فالجسد لا يمرض من العمل واعضائه تزداد قوة ومرونة ونشاطاً بالممارسة والتحرين وهذا ناموس طبيعي . من اين اذا الآلما واوجاعنا . ماهي اسبابها اين مصدرها . يمكن ان يكون لها مسبب غير مادي . يمكن ان تكون الآلما الجسدية ناتجة عن ألم اصلي اساسي جوهرى روحي ؟ سؤال اجيبكم عنه حالاً بلا تردد وبالايجاب . نعم سادتي وسيداتي ان مصدر هذه الآلام الروح فالروح منا تثن وتتأوه وصدى اذيتها يظهر في كل جوارحنا وفي كل حواسنا . الروح تتألم من الضغط عليها . من احتقار الانسان اياها . من اهماله شؤونها . من اعتضامه حقوقها . الروح تتأوه من قيود السلطة كما انها تتألم من قيود العبودية . فالرئيس والمروؤس سواهم من هذا القبيل . الظالم والمظلوم يشكوان من مرض واحد فالروح في كل منهما تتألم من حيوانية الانسان

الخبثية . من اهوائه من ظلمه من استشاره من بغضه من توحشه
 من ذله من جهله من جنونه . فاذا كانت الاشغال تسكن آلام
 النفس فالعزلة تضعف شوكتها . ويستأصلها العود الى الطبيعة .
 ورب قائل يقول اتريد ان يكون الناس كلهم نساكاً وزهاداً
 وكيف يتسنى ذلك . فالجواب ان ذلك غير ممكن وغير مطلوب .
 فالعزلة انواع . وربما امتنعت حرمة القاموس وتوسعت قليلاً بمعناها
 المحدود . فقد تكون شوقاً في النفس لسبر غور النفس . لا دراك
 كنه قواها . لكشف الحجاب عن بعض اسرارها . وهذي هي عزلة
 الفيلسوف . او قد تكون اعتصام النفس بعالم الخيال والجمال
 فراراً من مسؤولية الحياة الاجتماعية وواجباتها الصناعية . وهذي
 هي عزلة الشاعر . وهي ممكنة في المدينة وبين الجموع كما في
 الصحراء . او في الجبال لان الشاعر وان خالط الناس وحدهم فهو
 دائماً فوقهم وبعيد منهم . ثم قد تكون العزلة طمعاً في النفس بفتح
 ممالك عالم النفس . ورفع اعلام الحقيقة والحب والحق فوق صروحها
 وهذه عزلة الانبياء . وهناك انواع اخرى من العزلة لا يهمنا
 ذكرها لانها تغيرت عما كانت عليه حين قال المتنبي بيته المشهور
 في وصف الاسد

في وحدة الرهبان الا انه لا يعرف التحريم والتحليلا
 قد اتضح لكم ان الميل الى الوحدة والاعتزال ينشأ في النفس
 وعنهما . وكما ان النفس تطلب المعرفة فكذلك تبتغي شيئاً من

العزلة تغذى اثنائها بالمعرفة . يقول الافرنج في السياحة تكملة التهذيب . اي ان المرء مهما درس وطالع وتعمق في العلوم وتغلغل فتهذيبه يظل ناقصاً اذا كان لا يعرف من العلم الاً مسقط رأسه او عاصمة بلاده . فاذا كان في السياحة تتمه التهذيب ففي العزلة تتمه السياحة . لان المرء لا يكون قد ساح ابدأ اذا كان لا يعتزل قليلاً بعد سياحته في العالم ليحاسب نفسه . ليفحص بتأن وهدوء ما مخادعها . ليغربل ما فيها من الحقائق والخرافات والآراء السديدة المختلطة مع الخزعبلات . وبكلمة اخرى ليسقي النفس من ماء الفكرة الذي يتقطر ويتكرر في العزلة . ولا تظنوا ان كل من التجأ من المفكرين الى هذه الطريقة انتفع بها والذي لا ينتفع منها لا يستطيع نفع الناس .

لما كنت في نوريك قصدت يوماً مدينة كنكرد بالقرب من بستان (وهي المدينة الصغيرة التي تحفت العالم الجديد باكبر شعرائه وفلاسفته) لازور فيها بيت الفيلسوف أيرسُن والخرج الذي بنى فيه الشاعر طورو مسكنه او بالحري كوخه للعزلة فعاش فيها متنسكاً سنتين والاف هناك كتابه النفيس في فلسفة العمران وفلسفة الانفراد . والكاتب الذي كان رفيقي ودليلي في هذه الحجة - وهو شيخ جليل في الصحافة وفي السن - كان رقيقاً او صديقاً ايضاً لاكثر شعراء كنكرد وفلاسفتها الغابرين فسألته عما اذا كان في المدينة اليوم من يعدُّ من طبقة هؤلاء الرجال العظام

فقال ان الطبيعة يا صديقي لا تجود علينا بالنوايع كل سنة فهي لا تقدم للعالم الا افراداً قلانل كل عصر وما كل من اعتصم بالعزلة يصل الى ذروة التفرد والذكا . فمذ سنين جاء هذه الاصقاع شاب انكليزي واختار بيت طورو هذا مقراً لعزله وعاش فيه كما عاش طورو سنتين ولكنه ينس بعد ذلك وهجر كسكرد ومن ذلك الحين لم نسمع عنه شيئاً .

فعزلة طورو اذاً او عزلة النابغة اثرت من الادب والشعر والفلسفة ما يعد من طبقة ما كتبه اكبر نوايع العالم . وعزلة الثاني العقيمة اضرّت بصاحبها لانه لم يتدارك الخطر قبل حلوله وفاته ان الوحدة الطويلة الامد ما اعدت لمشله وان نفسه لا تطلب مثل هذا الغذاء . لذلك لا اعم في قولي ولا اغالي بحاسن العزلة ومنافعها اذ ما كل من اعتزل تفرد ولا كل من تفرد افاد الانسانية . على ان العزلة تنفع الكل اذا اخذ منها كل بقدر ما تطلبه نفسه او بالحري اذا عرف كل انسان كمية الجرعة التي ينبغي ان يأخذها فمن نفس متجمدة لا تطبق العزلة اكثر من اسبوع الى نفس متوقدة لا ترضى باقل من سنة او اكثر وبينهما تفاوت المدد كما تفاوت العقول . هذي هي القاعدة . فمن جرب العزلة بحكمة واعتدال انتفع ولا شك منها فهو ينتفع عقلياً وجسدياً وروحياً اذا احسن استعمال الدواء .

وافضل ما في العزلة للمفكرين انها تقرب الفرد من نفسه .

فالحياة الاجتماعية كما اتضح لكم مما ذكرته تبعدنا عن انفسنا حتى
 نجعلها جهلاً فاضحاً . لان معرفة المرء نفسه غير ممكنة في اي
 حال من احوال هذا المجتمع المضطرب . واذا جهل المرء نفسه
 بعد عنها بعداً شاسعاً . وان حاول خدمة الانسانية وهو بعيد
 عن نفسه اي جاهلها لا يستطيع الى ذلك سبيلاً منها ايجاد بيانه
 وفصاحته ومهما بالغ في آرائه واكبر الناس دعواه . لا خير في
 مثل هذا مهما صاح ونادى ودعا القوم وادعى . وان صياح
 المصلحين ليذكرني دائماً بهدوء الفلاسفة . بل يذكرني بما جاء في
 التلمود من حديث دار بين اشجار الغابة واشجار البستان قالت
 اشجار الغابة لاشجار البستان : لماذا لا نسمع لاغصانك صوتاً
 ولا صدًى فاجبت اشجار البستان : لانني مشغلة عن الؤلؤة
 بالثماري . ثم سألت اشجار البستان اشجار الغابة قائلةً . ولماذا
 نسمع لاغصانك هذا الدوي وهذه الجلبة فاجبت اشجار الغابة :
 لكي يشعر الناس بوجودي .

لذلك قلت ان كان في الحركة بركة ففي الفلوات بركات وفي
 الهدوء وسمو . فالنور يصادق ينبثق على العالم هادئاً ساكناً .
 وان شمس الحكمة لتحتجب غالباً عند هبوب العواصف والزوابع
 فمن الانفس السامية المتفردة الهادئة ينبثق نور الحب ونور
 الحكمة ونور الحقيقة . وفي الانفس السامية المتفردة الهادئة ينابيع
 الجمال كلها . جمال الفنون وجمال الروح وجمال الحياة السعيدة .

والى الإنفس المتفردة السامية الهادئة تعود حسنات التمدن
الحديث لترينا فيها اسبابها . لذلك كتبت فوق باي :

في اصلاح الفرد اصلاح الامة
وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكام



هنا وهناك وهناك^(١)

ايها السادة والسيدات .

دعي مرة اديب للخطابة في حفلة مثل هذه فلي الدعوة فرحاً
سروراً لأنها كانت اول ما جاءه من القوم وكان الخطاب باكورة
عمله فسودّ الاوراق وبيضها واستعد خطابه استعداداً يليق بوقفته
الاولى على المنبر . ولكن لما وقف امام القوم خاتته الحافظة وجمعت
القريحة فاعتذر قائلاً : لما دخلت هذا المنتدى لم يكن احد يعرف
من خطابي شيئاً سوى الله والداعي واما الآن فبأسف اخبركم ان
لا احدي عرفه سوى الله . فاستحسن الحاضرون النكتة وعفوه من
الخطابة . ولا تظنوا رعاكم الله ان الكلام الذي اعددتة انا لهذه
الحفلة لم يطلع عليه قبل هذه الساعة سوى العالم بذات الصدور
كلا . فقد اضطرني اصدقائي الى مراعاة اصطلاحات البلاد وقالوا
ابعث ابنك هذا الى المستشفى بلا عناد . فبعثته بعد ان دسمته
من العين . وقرأت عليه التعويذتين وهناك استلمه مولانا الطبيب
وكفي بذلك تلميحاً لايب . وعاد الي بعد ايام حسبتها سنين . وعلى
بدنه اثار الموضع والمشرط والسكين . فتصاحفنا وكلانا يقول الحمد
لله رب العالمين . ويجب ان اقف عند هذا الحد في التسجيع

(١) وهي الخطبة التي اعدتها حفلة جمعية شمس البر السنوية في السنة

الاخيرة من عهد عبد الحميد فرفضتها اللجنة خوفاً من المراقبة .

والكنائيات خوفاً من ان تحسبوني اتلوعليكم شيئاً من سجع الكهان
او مقامة من مقامات بديع الزمان. وقد يتبادر لذهنكم اني اوردت
القصة ليكون حظي منكم حظ ذلك الخطيب من قومه ولكنني لا اطلب
كل هذا. انا ادفع الآن نصف ما علي من الدين لهذه الجمعية
بشرط ان تعفوني من النصف الآخر ولكنني اعدكم بدفعه مع
الفائدة متى تحسنت الاحوال على انني اود لو كنت مطلق الحرية
لا دفع كل ما علي الآن. ان قوتي يا سادتي في حريتي لا في شعري
اود لو تكون وقفتي هذه الاولى امام قومي في وطني غير مقيدة
بقيود التقية والاحوال. ولكن لسان الحال افصح من لسان البيان
وقد تكون الكلمة المحفوظة في الصدر اشد تأثيراً في النفس من
الكلمة المقلوبة

لقيت على شاطي. البحر وانا قادم ذات يوم الى المدينة شيئاً
ذكرني بما يليق ان افتتح به هذه الكلمات القليلة التي تحوم حوماً
حول موضوع يتعوذ من ذكره الناس. ذكرني ما لقيته على ساحل
هذه البلاد السورية وسأخبركم عما لقيته بعدئذ او لكم ان تنبهوني
اذا فاتني ذلك. ذكرني بمدينة في البلاد الاميركية قضيت فيها
خمس عشرة سنة بين قومي والاعجام فلم امل كل الميل الى اولئك
الاميركيين ولم اهجر كل الهجر اخواني السوريين. لم يكن حقاً.
قومي ليقريني من الاعجام ولا اكرام الاعجام ليبعدني عن قومي.
ولقد سمعت من اصدقائي الشعراء الاميركيين من الكلام ما

يضعف الشواعر الوطنية لو كان في مثل هذا الضعف استعداد .
وقد قال لي احدهم مرة بعد ان قرأ في احدى الجرائد الاميركية
خبر قيام التزلة السورية علي بسبب كتابي الاخير دع ذكر الوطن
والامة والزم الشعر ، الشاعر الحقيقي هو ابن العالم علي الاطلاق
وكل وطن صالح هو وطنه . فرنت هذه الكلمات في اذني ولا سيما
لان الناصح كان شيخاً في السن وفي صناعته . وهجرت اذ ذاك
قومي الى حين ونفضت عن اوراق غبار لغتنا هذه الشريفة
واخذت انظم في اللغة الانكليزية وانقل الى الاعجام ما عثرت عليه
من كنوز العربية . وثبت عندي اذ ذاك ان الشاعر الحقيقي
يخلص الخدمة لوطنه اولاً ومن ثم يتدرج الى خدمة الانسانية .
او يخدم الوطن والانسانية معاً اذا كان من النوابغ الحقيقيين
النادرين في كل امة وبلاد . وبعده ان فكرت في امري هذا
وسمعت المباحثة التي جرت بين ذاتي السوري وذاتي الاميري
حكمت للاول على الثاني ورضيت ان اكون من الطبقة الاولى
في الوطنية ولو جعلني ذلك في الطبقة الوسطى من الشعر . وهكذا
عدت الى الكتابة من اليمين الى الشمال ولكنني حفظت في
قلبي زاوية للغة التي اكتسبتها في العالم الجديد . ولو اصنعت الى
قول صديقي الشاعر الاميري لما كنت ظفرت بمشاهدتكم هذه
الليلة ولكم ان تعكسوا . نعم ان وامي بلغتي وبوطني لقوي شديد
ولو سألتهموني ايراد الاسباب التي توجب هذا الولع لقلت لكم

احب لثقتي لانني احب نفسي واحب وطني لانني احب قومي .
 وقد يحمني هذا الولوج والحب الى الغلو احياناً . فقد قرأت مرة
 ان غالينوس كان يقول اجود هوا . في الدنيا هوا . بلاد اليونان .
 وقال ابن رشد ان اجود هوا . لهوا . قرطبة (بلده) وقال ملتن ان
 الهوا . النقي المحيي لا يجر ابد الندرده واقول انا واطنكم كلكم تقولون
 معي ان هوا . لبنان لهو نفس الالهة بالذات . وكلنا لاشك مصيبون
 وما غلوي انا الاجز . من غلوا اولئك الفلاسفة الكرام . هذه الثمرة
 من تلك الشجرة . ولكن حبذا هوا . لبنان وبئس المتنشقون .
 حبذا ما . الجبل وبئس الشاربون . لا والله هذا كثير . لا يجب ان
 الوم اللبنانيين ولا ان آخذهم بما هم عليه من الجمود والانحطاط
 والاستكانة والضعفة . فالأكليروس وشيوخ القرى راضون عن
 مثل هذا الانحطاط والخلول ويجب ان يرضى المقلقون بما يرضي
 شيوخ القرى والأكليروس . يجب ان نرضى ونذكر . ولكن
 اذا نحن سكتنا فإلما جرون لا يسكتون . اذا نحن رضينا فإلما جرون
 المقلقون لا يرضون . نعم لا بد ان تشرق علينا شمس العلم والترقي
 من المغرب كما تشرق علينا شمس الله من وراء جبل صنين . لا بد
 ان يشرق على سوريا قر الاصلاح من وراء البحار مثلاً يشرق عليها
 قر السماء من وراء جبل الشيخ . لا بد من التقاء الشمسيين واجتماع
 القمرين وقد يتأخر قر المغرب الى الهزيع الاخير من الليل . فلتنه
 الامة مطمئنة اذا . ولكن اذكروا كلامي . لا بد من ان تعالينه

ذات ليلة من ليالي تموز وهو شهر جليل الذكر عند اعظم جمهوريتين
في العالم .^(١)

وانني لا ذكر يوم وقفت امام قومي في اميركا فذكرت قومي
في الوطن وها انا الان امام نخبة من قومي في الوطن العزيز اذكر
قومي في اميركا فتحلوا لي الموازنة بين الشعبين اذا لم اقل بين
البلادين ولكن الوقت قصير والحبل اقصر . فتي ياترى يعود
المهاجرون المنورون الى الوطن . وافطنوا انني لا اريد سوى
المنورين واما ما بقي من المهاجرين فسواء على الوطن أعادوا ام لم
يعودوا فهم لا ينفعمون . الامة بافرادها لا بجرادها . ولكن حتى
م هذا الانقسام وهذا التشتيت وكيف تصان وتتعزيز الوطنية
والمنورون من السوريين ضاربون في اربعة اقطار العالم تائهون في
فيافي النزاع والجدال - فتراهم قائلين بعضهم على بعض في كل
صقع وفي كل قطر وفي كل بلاد . الشعب السوري في المهاجر
جاهل ولكنه ناهض عامل . والشعب السوري في الوطن منور
الى درجة ولكنه متقاعس متغافل . هناك ترى السوريين في
هرج ومرج وشغب ونزاع وجدال وقتال . تراهم ابداً قائلين
قاعدين ضاربين شاكيين . وهنا تراهم الى السكينة والاستكانة
مخلدين . هناك تضعف الوطنية ويقوى التعصب الديني من عوامل

(١) ليطمن انبياء اليوم بالآ فان صدق نبوءتي هذه لا يطمعني في ان

انا فسهم وقلماء يدعي النبوءة من تصدق نبوءاته .

خارجية . وهنا قد ينتج ذلك عن عوامل داخلية . هناك
 نهاميون ووزارزة من الاكليروس عاكفون على جمع المال عاملون
 على اثاره الفتن . وهنا - ولكن قد فاتني ان البحث في شؤون
 ذوي الرئاسة محظور في هذه الجمعية بل في هذه البلاد . هناك
 صحافة عربية تمت في ظل الحرية فوافقها الهواء الى حد ان صارت
 صحتها فيه بلية . وهنا - ولكن الصحافة بنت الزرارة
 والنهامين فكما راعينا خاطرهم يجب ان نزاعي ايضاً خاطر ابنهم
 هذه العانس القضاضة الوهانة . الصحافة السورية في اميركا
 وما ادراك ما هي . سطور تلمع من خلالها الخناجر والحراب
 واعمدة تطفح بالحامض الكبريتيك . واما هنا فعندنا زناويل من
 القش ملوؤها قطن منفوش وبخور يحرق في مجامر التدليس حول
 الارائك والعروش . ولكن قد فاتني ان الخوض في امور السياسة
 محظور في هذه الجمعية بل في هذه البلاد . هناك قوم يقدمون
 على غير هداية . ويخطون خبط العشواء في البداية . وهنا
 كرام يرون البقاء في الخيام . خيراً من الهيام في الظلام والجمود
 خيراً من التطواف خارج الحدود . هناك حرية يرافقها بطر
 واطر وحماقة . وهنا تهذيب ناقص يتراوح بين المراجعة واللياقة .
 ويسير مستسلماً مكتئباً من الخمول الى الذبول . هناك قيل لا
 يتبعه عمل وهنا لا قول ولا عمل . ولعمري هذا الاخير احسن
 من ذاك . هناك ضجة وقعقة وضوضاء . وهنا هدوء وقناعة ورخاء .

النهاميون
 والوزارزة
 والاكليروس
 والارائك
 والعروش
 والظلام
 والجمود
 التطواف
 خارج الحدود
 الحرية
 البطر
 واللياقة
 الخمول
 الذبول
 العمل
 القول
 الهدوء
 القناعة
 الرخاء

هناك صحافيٌ يقارع كاهناً وكاهن يصارم صحافياً وهنا • - كاد يطيش السهم ثانية او بالحرى كاد يصيب كبس الحقيقة لو لم رده هذه الجمعية الزاهرة بمنجى التحضير : هنا وهناك وهناك • - وهل ينطق من في فمه ماء ؟ نعم كدت انسى ما وعدتكم به • ماذا تظنون لقيت على شاطئ البحر ؟ اسماك من ذهب او صدف • من الندى المتجمد على الصخور او لؤلؤة صفراء او مرجانة بيضاء • او بنتاً من بنات الامواج الزرقاء اللاني يلجم ويهيم بهن الشعراء • او شيئاً اندر من كل نادر تحت السماء ؟ لا لا • ما لقيت شيئاً من هذا • ما لقيت على شاطئ البحر سوى الامواج ثم الامواج ثم الامواج • وهذا من مثل كلام المتصوف الذي يختلي بنفسه ويقول : قد وجدت روحي قد لقيت ذاتي ولك ان تسأل هل كانت روحه قدس الله سره ضائعة ام كان هو محجوب عن نفسه • ولكنني اعجز عن الجواب لان الله لم يفتح عليّ في مثل هذه الامور • ولهو لا المتصوفين ضروب من الكلام لانها نحن العوام • غير اني اهديك الى القشيري والسهرو ردي اذا كنت لا تخاف ان تضيع في براري شطحاتهم وسرادب اسرارهم • واذا اغلق عليك هناك فاليك فلاسفة الالمان الروحيين او براهمة الهند القانتين • واما كلامي فكلام شاعر مفتون • لا كلام متصوف مغبون • نعم ما لقيت على شاطئ البحر سوى الامواج القائمة القاعدة المرغبة المزبدة الهاجمة الهائجة • سوى الامواج تلاعب

الرمل فتترك عليه اثر حنين البحر الى ما خرج من بطنه من
 سواحل وسهول وجبال . لقيت هذه الامواج او بالحري لقيت
 فكراً صغيراً في موجة صغيرة منها جاءت تلثم قدمي ضاحكة
 وعادت الى حجر امها راغبة راضية . ففكرت في نفسي اذ ذاك
 وقلت . اليس هذه الامواج من ذات البحر الذي تتلاطم
 امواجه حول جبل طارق ؟ او لا تنقل امواج البحر الواحد من
 مكان الى آخر في مدار الليالي والايام فتسافر الموجة الواحدة الى
 سواحل سوريا كما تسافر بواخر الميساجري ماريتيم . او لا تنتزع
 امواج البحر المتوسط بامواج البحر الاتلنטיكي عند مجتمع
 البحرين . او لا تسافر الامواج من مرفأ نويرك الى جبل طارق
 ومن ثم الى سواحل اسيا الصغرى ؟ اذن - وها قد وصلت الى
 بيت القصيدة - ما الموجة التي لثمت قدمي الا رسول خير من
 بلاد العلماء الى بلاد الانبياء . ما هي الاموجة واحدة صغيرة من
 بحر النور والهدى يقذفها المغرب الى المشرق . ان هي الاموجة
 من امواج العقل والحجى يسوقها الله الى بلد ميت فيحييها بعد
 موتها . ان هي الاموجة من امواج النفس البشرية النبيلة تحملها
 الرياح والاعاصير الى المستضعفين المستذلين من العباد في كل بلاد
 ان هي الاموجة من امواج الحب والحنان يشحذ بها الاصفياء
 الاحرار عزم اولئك المنقادين للهوان المستسلمين للامتهان . ان
 هي الاموجة من الامواج التي تغسل قدمي الهمة الحرية الرافعة

نبراسها في مدينة نويزك العظمى واني لاقول لسم الآن لا بد
 ان يرى المستقبل مثل هذا التمثال الجليل الجميل في كل مدينة
 كبرى من مدن الشرق الاقرب والاقصى . واذ لم يكن تمثالا
 من نحاس اصفر او رخام ثمين . فتمثال من نور في قلوب الوطنيين
 وهذه شبه نبوة بيد اني قصير الباع في هذه الصناعة ولكن قد
 جاء في الحديث الشاعر جز . ان من ستة واربعين جزاء من نبي .
 ولعل احدكم يقول قد جاء ايضا والشعراء يتبعهم الغاؤون وهم في
 كل واديهيمون . نعم قد سمعت هذا الحديث ولكنني لا اسألكم
 ان تتبعوني . اذكروا فقط كلامي . ودعوني واحلامي .



الحرية والتهذيب^(١)

وزيدُ أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الارض
(ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثينَ (سورة القصص ٤)

ايها الوطنيون

انتم المستضعفون في الارض وانتم ان شاء الله الوارثون .
ويشهد على ذلك نير ماضيكم وحرية حاضركم . يشهد على ذلك
ظلام امسكم ونور يومكم . فانتم المفلحون والمحررون بفضل زعماء
الآراء الحرة وبفضل الجند العثماني الذي سيبرهن لاوروبا اليوم
ان الشرق لم يزل منبت المعجزات . ففي الماضي كانت معجزاته
دنيئة واليوم معجزاته سياسية . بالامس دهشت دول اوربا
بالمعجزة التي اتتها اليابان واليوم تدهشها المعجزات السياسية
والاجتماعية في دولة بني عثمان . فاوروبا لا تعرف حتى الآن معنى
الثورة السلمية وما رأت بين شعوبها المتباينة عناصرها السياسية
والمتضاربة مذاهبها الاجتماعية مثلاً يسود اليوم في امتنا من
التساهل والمساواة والاخاء^(٢) وهذا هو النور الذي ينشق من
الظلام . هذه وردة الوثام التي تنبت على ضريح الشقاق والخصام

(١) القيت في حفلة من حفلات الدستور

(٢) واذا ماراني القانطون من الحال الحاضرة اردهم الى المستقبل

هذي هي الحرية التي تشيد الامة هيكلها في روضة الالفه والسلام .
 جاء في بعض الاسفار ان اطباء الاقدمين اكتشفوا
 العقاقير القتالة قبل العقاقير الشافية . وكذلك يصح ان يقال في
 حكومات العالم باسرها فالقتالة منها وجدت قبل الشافية . ولا
 فرق بين ان تكون الحكومة ابوية كما في الصين او اميرية كما
 في الهند او استبدادية كدول اشور ومادي وفارس او كحكومة
 الروس بالامس فكلاهما من الادوية القتالة التي يسقيها الحاكم المحكوم
 ليقتل فيه الروح ويتمكن من ارهاب الجسد وتسخير واستعباده .
 فالظالم مجرم ايأ كان . والحكومة الاستبدادية ذاهبة الى البوار
 في كل مكان . ولنا في حكومتنا على هذا اقطع برهان فبالامس
 كانت الامة العثمانية تتقلب على فراش الموت واليوم ترح فرحة
 تحت سما الحياة وفي ظل الحرية والدستور . لنهني . انفسنا اذا
 لاننا عشنا والحمد لله لنرى الظلم مدرجاً بكفنه والاستبداد
 هاوياً الى الجحيم .

بالامس كان خطيبكم يتسنى المنبر فيججججج الكلام ويوريه
 ويلغز ويرمز . ويعقد مقاله ويلويه . لتخفي على جواسيس الحكومة
 معانية . واليوم نراه كما لو كان في باريس او في نيويورك يصدع بالحق
 ويجاهر مصرحاً بارائه ومبادئه . والفضل في ذلك عائد الى زعماء
 النهضة الاصلاحية النظريين . والى زعمائها العلميين . والى الرئيس
 الاكبر الذي انتهت اليه مطالب هؤلاء العثمانيين . بل الفضل عائد

الى كل من حرك قلما لبث روح الحرية والدستور . والى جلالة
السلطان الذي كلل النهضة بالنور فضان الدولة من الخطوب والمحن
وخلص الامة من المراهز والفتن . فالامة التي كانت امس اسيرة
ظلمه اصبحت اليوم اسيرة فضله . وقد يكون الأسر اكبر من
الاسير ولكن العائق ياسادتي اكبر من الاثنين فالسلام اليوم على
عبد الحميد . والسلام على عهده الجديد . سلام على عصر الحرية
المجيد .^(١)

لكنني

وجدت بنا بعد هذا التشبيب . الذي لا بد منه للخطيب .
البحث في ماهية الحرية واصولها باختصار يوجب الوقت والمقام .
فالحرية اليوم كلمة تملأ افواه القوم . الحرية جمال يزدهي في اعمدة
الصحافة واندية الامة . الحرية مجد انسى التجار اشغالهم . والاتقيا .
فروضهم وانفالهم . الحرية الهمة هجرت الامة معابدها لتعبدها .
كل ذلك جائر . كل ذلك حسن ان لم يكن مفيداً . ولكنني في
كل ما قرأته في الجرائد لمن كتبوا وخطبوا ما اطلعت على كلام
في الموضوع حري بالنظر والاعتبار . وقد يكون فاتني في عزلتي
كثيراً مما كتب وفات الشعب في ابتهاجه وهوسه اكثر من ذلك .

(١) وذنب صغير بالنسبة الى ذنوب الشعراء . في هذا المقام . ثلاث
تسليمات يغفرها الله ولكن الثلاث مائة قصيدة . . . سبحان من لا تحده
الحوادث سبحان العالم بذات الصدور وبخفايا الدستور

لان المعقولات في مثل هذه الايام تلفت انظار الناس والبحث
الفلسفي في الموضوع لا يروق الشعب ولا يلائم الزينة في المدينة
على انني دعيت الى الخطابة في هذه الحفلة الشائقة فينبغي لي ان
اقول الكلمة التي يوجبها العلم ويقتضيها الضمير ويؤيدها الاختبار
ولكم ان تنبذوها بعد ان تسمعوها او تردعوها فتستثمروها .

كل انقلاب في الحكومات لا يسبقه انقلاب في الافكار
والآراء لا يرجى منه كبير فائدة . فالحرية السياسية جميلة واما
وحدها فمنافعها قليلة ومن الواجب ان يتحرر عقل الامة وضميرها
ليتمتعز شأنها وشأن حكومتها . واعلموا ان ثورة روحية في بلاد
الافرنج هي اصل هذه الحرية السياسية التي نتمتع بها اليوم
فرحين مبتهجين . يقال ان للجند يداً في هذه النهضة الاصلاحية
ولا ريب عندي في ذلك . ولكن الجند في الحكومات
الاستبدادية اذا امتهنت حقوقه وحبس زمناً معاشه يقيم السيف
في امره حجة قاطعة . وكثيراً ما حدث من مثل هذا الحادث في
الحكومات الاستبدادية في سالف الزمان . واما الان فترى ان
الجند العثماني ينصر النهضة الفكرية الاصلاحية ويشق تمام الثقة
بمواعيد زعمائها . والفضل في تغلب الفكر على القوة والعقل على
السيف حتى في الجند عائد الى شي جميل في مدنيتنا ينتشر في
العالم انتشاراً سريعاً . وهذا الشي الجميل يتجسد احياناً في دعاة
الاصلاح الصادقين وغالباً في الفلاسفة والشعراء الحقيقيين . فالشورى

على وجهها البسيط قديمة في العالم . وطريقها من المشرق الى المغرب يكاد يختفي في ظلمة التاريخ . واما من المغرب الى المشرق فسلوكها واضح وآثارها جليلة . فمن المصلحين العثمانيين الى المصلحين الروسيين مرحلة قصيرة . وتكاد اسباب مجلس المبعوثين تتصل باسباب مجلس الدوما . وفي الدوما تتجلى لنا ارواح باكونين وتورغانيف وتولتسوي وغوركي . وهو لا . منبثقون من فولتير وروسو وديدارو وهوغو . وروسو وفولتير وهوغو مديونون لكالفين وجون نكس ولوثيروس بكثير من الحرية التي تنبعث اشعتها من اقوالهم . فالثورة الروسية اذا هي ابنة الثورة الافرنسية وكلكم على ما اظن تعلمون ذلك . والثورة الافرنسية . وهذا ما لا اظنكم تعلمون . هي احدى نتائج الثورة الروحية التي اطلقت ضمير الانسان من قيود الخرافة السوداء . وعقله من قيود السلطة الصماء . وقلبه من قيود الطاعة العمياء . فتدبروا هذا واعلموا ان الحرية الروحية هي رسول الحرية السياسية . واذا جاءت هذه قبل تلك يعد مجيئها نقصاً لا بد ان نحاسبنا عليه الايام .^(١)

ورب قائل يقول وما معنى الحرية الروحية . فقبل ان اجيب على هذا السؤال اوجه اليكم سؤالاً آخر . انظنون ان كل من

(١) وما كنت اظن انها تسرع بالحساب هذا الاسراع .

عاش في ظل الدستور صار حراً . أتظنون ان كل من تمتع بحقوقه المدنية اصبح حراً . انحسبون الفقراء والعمال في الجمهوريات من الاحرار . اتقوم الحرية بهذا الوهم الذي يدعونه في الحكومات الدستورية حق الاقتراع . اتعجبون اذا قلت لكم ان نصف سكان الولايات المتحدة لا يزالون مكبلين بسلاسل العبودية . فما الفائدة للخادم من الحرية التي تتوقف على ارادة سيده الخبيثة الجائرة . ما الفائدة من الحرية السياسية التي يكفلها له القانون اذا كان القانون في قبضة الاغنياء . افشل هذا يعد حراً وهو لا يستطيع ان يبدي رأياً مخالفاً رأي سيده . (ايعد حراً من لا يملك نفسه . من لا رأي ولا روح له .) يحسب حراً من كان وجدانه مقيداً بوجدان من يتوقف عليه معاشه . فالتسكسك في الولايات المتحدة . اي بذل ماء الوجه امام ارباب المال هو مشتق من التسكسك في الشرق . اي تعفير الوجه امام ارباب السلطة والسيادة . والمتسكسك يا سادتي وان ملاً ماضغيه فخراً بالحرية والاستقلال والمساواة فما هو الا عبد تُسكِّلة . لا رأي ولا نفس له .

الحرية الروحية اذا هي ان يكون الفرد مالكاً نفسه اي مطلقاً من القيود التي تضغط على روحه وعقله ان كانت هذه القيود عائلية او اجتماعية او دينية او سياسية . الحرية الروحية هي ان تكون روح كل امرئ بيده وتصرفه لا بحجوزة ولا

موقوفة ولا مبيعة ولا مرهونة ، وطالب هذه الحرية يتدرج فيها من بيته الى دائرة اشغاله ومنهما الى معبده وحكومته . فينعتق اولاً من الواجب الكاذب الذي يفسد الحب في الاسرة ومن المصادقة التي تدعى لطفاً وصداقة ومن الخرافات التي تشوه وجه الدين . ومن التقاليد التي تفسد الحكومة . ان الحرية السياسية اذاً هي فرع من الحرية الجوهرية الاصلية الروحية او هي نتيجة من نتائجها . وهذه الحرية يحدها ويقيدها الناموس من جهة والتهذيب من الجهة الاخرى . فبدون الناموس يستبد الحاكم ويوغل في الطغيان . وبدون التهذيب يستبد الشعب ويعمن في العصيان . بدون الناموس يسود الظلم في الحكومة . وبدون التهذيب تسود الفوضى في الامة . فالناموس القويم الحي والتهذيب القويم الحي انما هما حصناً الحرية المنيعان . واما الناموس فتمثله الحكومة في الدستور ويمثله الدين في الايمان وتمثله الانسانية في الضمير . فالضمير الحي والايمان الحي والدستور الحي انما هي الدعائم الثلاث التي تقوم عليها الحرية الحقيقية المعنوية الجوهرية الحرية الثالوثية التي هي واحدة اي الحرية الروحية والحرية الادبية والحرية المدنية . وان كان المرء حراً سياسياً ومقيداً دينياً وادبياً فحرية ناقصة . والحرية الجوهرية الروحية الكاملة لا تسود ولا تنتشر في الامم الا بواسطة العلم الصحيح والتهذيب الصحيح فعلياً اذن ان ننادي باصلاح المدارس بعد ان فتح لنا الباب

في اصلاح الحكومة . فان اصلحنا الحكومة وظل التعليم تحت سيطرة من يقتلون في الناشئة العثمانية عزة النفس . وروح الاستقلال وعاطفة حب الوطن . ويعطونهم بدلاً من ذلك قليلاً من العلم الذي قلما يفيد نعود الى الحال التي كنا فيها ونمسي حريتنا كجواد الامبراطور الروماني كاليغولا ^(١) ودستورنا كطيلسان ابن حرب او كجبة ديوجن ^(٢) علينا اذاً ان نبث الروح الجديدة في مدارسنا علينا ان نشيد لحريتنا حصناً من التهذيب كما شيدت لها الحكومة حصناً من الدستور . علينا بالجهاد والثبات . بالتيقظ والتحذر تحذروا ايها العثمانيون وتنبهوا .

تحذروا من انقلاب الاحوال وتقلب الرجال فان للوزارة في الدولة مقاصد تخفى على ممثلي الامة وعمال الحكومة تحذروا من رجعات الظلم . تنبهوا الى عودات الاستبداد . ان في السياسة من الاحاييل والاشراك ما لا يعرفها الا من اشرف في السياسة مراراً على الهلاك . احذروا من كان في عهد الظلم حراً فاصبح اليوم مقيداً . اذبدل الجاسوسية القديمة قد يتألف اليوم من حزب التقهر جاسوسية جديدة .

احذروا حيل المشعوذين والممخرقين كحذر كم دسائس المعزولين والساقطين . ولا تغضوا الطرف عنهم قائلين ان لسمهم دريافاً

(١) حصان قيل ان الامبراطور منحه لقباً وكان يعبد.

(٢) طيلسان ابن حرب . مثل جبة ديوجين . كان كثير الفتوق والرقع

بالدستور . لا تأمنوا السم باصفهان . اذا كان درياقه بخراسان .
احذروا الخونة والمرائين الذين ينادون معكم اليوم « فلتحي
الحرية » وهم في قلوبهم يلغنونها .

احذروا من المأمورين من يبتهج ويفرح معكم بالدستور وكان
الظلم من طبعه والاستبداد وراثته فيه . فان العوسج لا ينبت
تيناً . والصخر لا يستحيل ماءً معيناً .

احذروا من اتخذ السياسة حرفة والسيادة باباً للارتفاق لان
المعدة والاهواء والمطامع تنسيهم الشعب والدستور والحرية .

احذروا المصلحين الكاذبين الذين يتزلفون من الشعب اليوم
كما كانوا امس يتزلفون من السلطان ووزرائه لان طالب الوظيفة
واحد ان احرق بخوره امام الباشاوات او امام الجماعات .

تحذروا من جهل الشعب العاقي كما كنتم تحذرون البارح
من ظلم الحكومة العاتية . فالتاريخ شاهد على ما ارتكبه الشعب
باسم الحرية من المظالم والفظائع . احذروا في انتخاب المبعوثين
نفوذ رجال الدين . فالعضو الذي ينتخبونه يؤثر في المابين مصلحتهم
على مصلحة الامة .

احذروا ايضاً نفوذ الاغنياء الذين لا يهمهم من الحرية
والدستور سوى ارتفاع الاسعار في (البورص) وهبوطها . اذا
شبع الزنجي بال على التمر .

احذروا من ينمي اليكم اليوم ممن يأكلون اموال الناس

بالباطل ويصدون عن الحق . اولئك الذين يكتزون الذهب
والفضة ولا ينفقون منها في سبيل الامة والوطن واخير العام .
(وبكلمة اعم احذروا الحرية التي لا ينيرها التهذيب والتهذيب
الذي لا تنيره الحرية)



الثورة الادبية^(١)

صلى الله عليه وسلم

سادتي وسيداتي

قبل ان ابدأ بالكلام اطمنكم أوكد لكم اني لا اكلمكم هذه الليلة بالرموز والالغاز . بل في نيتي ان اجرد الاشياء من زيناتها واسميتها باسمائها . فان ذكرت العقاب مثلاً فلا تظنوني اشير الى شيء خفي تحته او فوقه او وراءه او فيه . بل اريد العقاب بعينه . وان قلت هبت الشريعة . فلا تقولوا ما اجل هذه الصور الخيالية . فاني اقصد النار الحقيقية تلك التي لو مرّ العقاب فوقها لوقع فيها مشوياً . قد حان لنا ان ندعو المعول معولاً . على حد قول اخواننا الامير كيين . وبناء على ذلك سنبقى على الارض هذه الليلة . بعيدين عن القمر والجوزاء وعن تبرقش الشعراء .

لما وقفت امامكم في السنة الماضية شعرت بوجودي معكم في غور الحياة بل في اردن الموت . واما الآن فاراني والحمد لله اخاطبكم وانتم في سهول الصحة تستنشقون هواء الحرية . فمن اردن الموت الى سهول الحياة وحقول الحرية - انها خطوة خطيرة . ولكنها صغيرة . هي خطوة الى الامام ولكنها لا تغني عن

(١) التيت في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة السورية في المدرسة الكلية

رحلتنا الطويلة شيئاً من الاقدام . فاننا . اذا حولنا وجهنا الى
 مشرق الشمس . زى الجبال قائمة في طريقنا . لا لتعترضنا في
 سيرنا . بل لتشجذ منا المهمة وتوقظ فينا النشاط .
 وكما صعدنا في جبل نشاهد فوقنا روح ما تجسد من الامال
 وهي تدعونا الى ما فوقها من الجبال . وان الامة التي تستيقظ
 من سباتها وتنفض عنها غبار فتور الاجيال ينبغي لها ان تواصل
 السير بالسرى والا تقهقرت فسقطت ثانية في الوهدة التي قامت
 منها . ولا يخفى عليكم ان الطريق وعرة . والزاد قليل . والنفس
 مضناة من اقامتها طويلا في الغور . والاحمال ثقيلة . والادلا
 كثيرون . ولكننا سنتوفق ان شاء الله في مسيرنا على رغم هذه
 الصعوبات والعقبات اذا اتخذنا شمس العلم دليلنا . والاداب
 والفنون زادنا .

ان الشمس المشرقة علينا من المغرب اليوم هي والحق يقال
 شمسنا . هي شمس ادياننا . هي شمس ادياننا . هي شمس
 مجدتنا الغاية . وانكم اذا نظرت الى خارطة العالم . ترون ان من البلاد
 ثلاثا آخذة منه مركز القلب . وهذه البلاد هي سوريا وفلسطين .
 وجزيرة العرب . وما بين النهرين . هذه البلاد ووطننا . هذه
 البلاد قلب العالم . وفي هذا القلب ظهرت الانبياء . وفيه نشأت
 الاديان . ومن هذا القلب اشرقت على اوروبا في الاجيال الوسطى
 شمس العلم والفلسفة والادب . فانارت ظلمات الاوروبيين

وخرجت بهم من مهامه الجهل والتوحش الى واحات الرقي
والعمران . اجل ان وطننا لقلب العالم ولكن اوروبا رأسه . وان
كان القلب منشأ الخيال والنبوة فالرأس منشأ العلوم والفنون على
ان النور المنبثق من الرأس فقط هو كالنور الاصطناعي الذي
يضيئون به المراسح في اوروبا . هو نور بارد جامد خاسي* واذا لم
يشارك مع نور القلب وحرارته فلا خير فيه للانسان مهما عظمت
نتائجها في دوائر العمران . اما الفنون فان لم يكن الضمير أسها
والاخلاص لبها ونفع البشر غايتها الاولى فهي ^{الخلع} أفيون لا فنون .
فهي تخدر الحواس وتذهب بشي* من الهموم ولكنها تقتل النفس
وتفسد الحياة .

ان سكان هذه البلاد التي هي قلب العالم لشبهون بشجرة
ذكرها النبي . شجرة مباركة لا غربية ولا شرقية . نحن اليوم
واقفون بين مدينتين متناقضتين متعاديتين . مدينة جديدة
ومدينة قديمة . مدينة اوروبية ترفع اعلامها في البلاد كلها .
ومدينة شرقية لم يزل لها المقام الرفيع بين فئة راقية من نخبة
الادباء ^{والفلاسفة} في اوروبا . اذا كان هؤلاء الاوروبيون يحدون
اذا في مدينتنا ما لا يحجب ^{القلوب} تركه . ما لا يجوز اضمحلاله فكم بالحري
نحن . ولي كلام طويل في هاتين المدينتين اقول الوجيز منه الآن .
لست بجاهل ما في مدينة اليوم لمن كثر ماله فقط من دواعي
الراحة في المعيشة البيتية المادية والسهولة في الاسفار والمواصلات .
السفر

ولا اظنكم تجهلون ما في التعادي والتكالب في سبيل هذه الاشياء من الشقاء. ايضاً والبلاء. فان المدنية التي يدعى التكالب فيها نشاطاً. والخداع براعة. والقوة حقاً. هي عندي شر المدنيات. وهذه مدنية اوربا اليوم. مدنية كهرباء هي وبخار. مدنية تجارة وكسب واستغفار. مدنية حروب وفتوحات واستعمار. ليس فيها للضمير والذمة اثر من الاثار. مدنية جذورها حب الذات والاستئثار. وثمارها اليأس والانتحار. لا تقولوا بالغت فان كلامي من الاختبار. لا من المجالات والاسفار. واما مدنية الشرق فلست بمنكر انها مدنية فتور وجود واستسلام. مدنية اصولها القضا. والقدر ولها محض اوهام. ولكن فيها من جميل العادات والتقاليد. من جميل العواطف والشعور. من عزة النفس وكرم الاخلاق. من الاعتدال في العيش والبساطة. ما تفتقر اليه مدنية اوربا. وهذه الخلال الشريفة تبعث الحرارة في الحقيقة الباردة القاسية فتسمي الحياة خفيفة الاحمال مرضية الآمال.

التفكير
الدهاء

فضلاً عن انه لم يزل في هذه المدنية القديمة شي من الضمير الحي والتجرد في الولا. مما يزيد النفس الشرقية جمالاً. والضمير الحي ايها السادة هو ملح العلوم والفنون والاداب وبهذه كلها تتغذى المدنية الحققة.

نحن اليوم واقفون بين هاتين المدنيتين - بين مدنية غازية

منتصرة واخرى ^{تدبر} مدبرة . فعلينا اذاً ان لا نخضع على الاطلاق
لهذا الفاتح القوي . وان نتمسك بما في مدينتنا من الخير الروحي .
ولا ينجينا من استبداد هذه المدنية الفاتحة القاهرة ويحفظ لنا
حسنات تلك المدبرة سوى الازاب . لا اريد بالازاب الكتب
فقط بل اريد منها اداب النفس اولاً والاخلاق . ان الدين وهو
ابو مدنية الشرق يرفض بتاتاً مدنية الغرب . وان العلم المادي
وهو اله مدنية الغرب يرفض بتاتاً مدنية الشرق . فالدين والعلم
في هذا الموقف متغرضان كل لقومه ولا ينفعنا الواحد منهما
دون الآخر . واني لا اجد في كل قوى الفكر والنفس وثمارها
اصلح وانجع من الازاب تجمع بين الاثنين فينشأ عن ذلك مدنية
جديدة قوامها الصنائع والفنون وشعارها الاخاء العام . واعلموا
ان الفنون السامية الجميلة هي التي تتغذى بالعلم والدين معاً .
والامة التي تجعل مثل هذه الفنون اساس حياتها الاجتماعية
تكون ولا غرو مجد المستقبل وأم الامم . على شطوط البحرين
وفي اودية الرافدين احب ان اشاهد مثل هذه المدنية الجامعة بين
محاسن المدينتين . احب ان ارى في قلب العالم جمال روح العالم
وكملها . احب ان ارى في بلاد الشام وبلاد العرب ثمار الانبياء .
وثمار العلماء . على شجرة واحدة . احب ان تررع بسايتين هذه
الارض المقدسة من تلك الشجرة المباركة . شجرة لا غربية ولا
شرقية . واحب ان ارى الازبا والشعراء بعبيدين عن السياسة

واوحالها منصرفين الى حراثة هذه البساتين الجميلة .

ايها السادة - لا تظنوا ان الانقلاب السياسي يجدي نفعاً
ان لم يتبعه انقلاب ادبي . لا تظنوا ان في الحكومة الدستورية
دواءً شافياً لكل امراضنا . لا تظنوا ان الدستور وحده يخلص
الامة من الاخطار المحدقة بها النامية في قلبها . وان الصحافة
الحرّة تقف دائماً من اجل الامة في وجه ^{حائض} المشعوذين والمضلّين
والمفسدين . وهل الدستور والصحافة الحرّة رقيتان من رقيات
السحرة حتى اذا قلنا مثلاً شولم صحافة اصرنا شعباً حراً ؟ شولم
دستور اصرنا امة راقية ؟ لا يا اخواني لا . اذا طلبتم الحرية
فاطلبوا المعنوي منها قبل الحرفي . الجوهرى قبل السياسى .

اطلبوا الحرية الروحية التي تحصنها الاداب قبل الحرية المدنية
التي تتاجر بها الاحزاب . وان خفي عليكم الفرق بين الاثنين
فاذكروا ان حرية الجسد لا تجدي المرء نفعاً اذا كانت النفس مقيدة .
وان حرية الفكر والقول لا تغني فتىلاً اذا ظلت الروح اسيرة
ما اعتاده الجسد من الراحة والترف والرخاء . او من الذلة ^{تضيعة} وتعفير
الوجه والعياء ! العار

اخواني - ان الفرق بين الحرية الادبية الروحية والحرية
المدنية المادية هو كالفرق بين حرية السياسي في ^{اعماله} مراوغاته وحرية
البدوي في خيمته او الرجل الصالح الجري . في معاملاته . اجل
ان الحرية الحقيقية هي التي تنشأ في النفس لا التي يمنحها الملك

الرعية . فان هذه ترعى عيا الاهواء . ويتاجر بها الزعماء . وتقتلها رجعات التقهر الشعواء . وتلك كنز من كنوز النفس الخالدة . والذين لا يناضلون عن مثل هذه الحرية ولا يفادون من اجلها بشيء . مما الفوه من رخاء العيش او بشيء مما نالوه من المال او الرفعة والوجاهة فما ضرهم لو دعوا كلابهم احراراً وذكروا في صنواتهم عبد الحميد ؟ ان الذين يتنازلون عن حريتهم ويتاجرون بها كما لو كانت ثوباً من الخام او سهماً من اسهم البورص ان هم الا قبور متحركة . اذ ما الجسد الا كالقبر لنفس باعت حريتها .

ولكنني خرجت عن الموضوع .

قلت ان الاداب التي تجمع بين العلم والدين تكون قوام المدنية الجديدة التي يقرن فيها بين مدنية المغرب المادية ومدنية المشرق الروحية . ولكن آدابنا لم تزل تحت سيطرة المتدينين والمتنطعين وانفسنا لم تزل في ربة رجال الدين . واذا كنا لانتجرد من هذا الاستبداد الديني او بالحري السفسطي . كما تجردنا من الاستبداد السياسي . تظل آدابنا مبتذلة جامدة ^{خاسنة} ونعود بعد حين الى ما كنا فيه من الفتور والحمول والانحطاط .

خذوني بجلحمكم فاقص عليكم بوجيز الكلام قصة الكهان . ونشوء العبادة في قلب الانسان . لنعد الى الاكواخ اذا فنحي هناك شيئاً من حكاية اجدادنا الاولين . ان من المعقولات التي لا تنفيها الالهيات او الالهيات التي لا تنفيها المعقولات . حيوانية

الانسان . فان اول دعوة لباهها دعوة البطن والشهوات . وماذا
يهمنا . وقد علمنا هذا . فيما اذا كان يمشي على الاربع في تلك الايام
او على الاثنين . ان في العالم حتى اليوم كثيراً من الحيوانات التي
لا تمشي على الاربع . هذا الحيوان الناطق اذا لم يكن يفهم في
بادى . امره الا حديث معدته وحديث كبده . فكان لا يحسن غير
الصيد والحرب والاكل والسفاح وبعد فترة من الزمن مقدارها
الفان قرناً او الفان عاماً - لا فرق عندي - بدأ يسمع صوتاً
آخر من فوق المعدة والكبد . بدأ يشعر بدعوة القلب فصار
يعطف قليلاً على اولاده ان لم نقل ايضاً على شريكته بل جاريته
بل بعلته . وعلى هذه الحال عاش سنين - وللعلماء ان يجمعوا
الالوف منها فوق الالوف فان عدها لا يستحق تعب الفكر -
عاش سنين وهو لا يرى ولا يسمع سوى ما زينته له الفريزة
وحدثته عنه المعدة . او لا ترون ان بعض الشعوب اليوم فضلاً
عن القبائل المتوحشة . لم تزل في هاته الحالة المنحطة من الحياة .
فان القوى المدركة لم تظهر فيهم بعد . وفي هذه الفترة الطويلة
الامد نشأت على ما اظن العبادات والمعبودات التي كانت في
بادى . امرها مادية ^{سريفة} محضة . لان هذا الحيوان الناطق بل هذا
الصيد الغازي لم ير في الاشياء الا ما ظهر منها . لم ير في الشمس
الا النور . لم ير في الشجرة الا ثمارها واغصانها وقشورها . لم ير
في النار سوى لهيبها ودخانها ورمادها . لم ير في الحيوانات سوى

ما بدا منها وما ظهر من حركاتها . في تلك الايام السعيدة كان كل حيوان ناطق يعبد طاغوته ويحب مرمورته على طريقته الخاصة بمقتضى شعوره وهواه عملا بداعي القلب والغريزة . وبعد ان مضت عليه احقاب وهو في هذا الغور من الحب والعبادة ارتقى قليلاً الى ما فوق السهول وبدأ يشغل ^{من العقل} المخيلة منه حتى صار يرى في الاشياء شيئاً تحت القشور وتحت الرماد . وبما انه لم يدرك اسرارها راح يسلي نفسه بالاشعار ويعلمها باخيلات . وبمقتضى هذا طفق كل انسان يمثل الخالق في الشكل الذي انطبع في قلبه اكثر من سواه . ولا حاجة لتعداد هذه المعبودات كلها . فلو جئت اعدد منها . لا ان اعددتها . لاقتضى ذلك من الوقت ما لا يسمح به المقام . ولكن اذا ذكرنا منه الجمل والشمس فقط نكون قد جمعنا اولها باخرها . اوطاها باعلاها . اصغرها باكبرها . وحالة النرد تجاه معبوده في تلك الايام هي هي اليوم في شعوب الارض كلها ولم يرتق في الامم سوى الافراد .

وكذلك في اجدادنا اصحاب الاكواخ . لما ظهر في الجماعات اناس ارقى نوعاً من اخوانهم وبدأ لهم ان الانسان يرتاح الى كل غريب عجيب - والزنجي والباريذي اليوم سواء من هذا القبيل - لما علم هؤلاء . الدهاة ما للخيال والوهم من السطوة على الانفس والقلوب . قاموا يؤسسون من هذه العبادات ديانات رسمية . فبنوا المعابد . وحاكوا من اوهام الناس طقوساً وطقائيق .

واقاموا انفسهم رؤساء في الهيكل وبدأوا يتكهنون ويمثلون الله - استغفر الله - يمثلون الطاغوت على الارض . وهذا في رأيي اول ما كان من امر الوثنية والكهان . واذكروا ان الوثنية لا تزال سائدة في بلادنا والكهان يتعاطون التجارة اليوم في دكانهم القديم . وقد اوضحت كيف كان كل امرئ يعبد طاغوته على هوى قلبه قبل ان يولد الكاهن . ولكن هذا المرير - المفضة وحشية ولكنها في محلها - اول من ألف من هذه العبادات ديانة رسمية فشيدت من اجلها الهياكل . ونحتت الاصنام . وقدمت الذبائح والقرايين . وتسربت الى بيت صاحبنا المتكهن العطايا والاموال . وذلك قبل ان يظهر في الارض الانبياء الذين هم اعداء الملوك والكهان . فاذكروا هذا ولا تنسوه . ان الانبياء لاعداء الظلم في الملك . واعداء الرجاسة في الهيكل . واعداء الفساد في الجماعات .

واما الكهان ياسادتي فهم اول من عاثوا في الارض فساداً هم اول من قيدوا النفوس البشرية واستعبدوها . هم اول من تاجروا بالخداع والتغريه . هم اول من استولوا على الامراء والملوك وأيدوا سلطانهم بانبياء من السماء كاذبة . والكهان اليوم او رؤساء الاديان كلها هم اعداء الحرية الروحية الادبية . ولا يغرنكم ما بدامنهم من الارتياح الى هذه الحرية التي منحنا اياها الدستور . فان العنان لا يزال في ايديهم والارواح لا تزال في ربقتهم . الكهان

عقلهم
جدهم

هم اعداء الآداب الراقية • اعداء زعاعات النفوس السامية الى
 الكمالات الفكرية • على الكهان وآلهة الكهان امتشق نبي
 العرب حسامه في الكعبة وصب اشعيا نار غضبه في اورشليم •
 على الكهان ومذابجهم وتراويقهم واصنامهم ورجاساتهم انقضت
 صواعق حزقيال في اسرائيل وزمزمتم رعود دانيال في بابل •
 على تغريعات رجال الدين وخزعبلات العبادات قام ابن عبد
 الوهاب في نجد • ولوثيروس في وتنبورغ وجون نكس في
 انكلترا وغيرهم في البلاد كثيرون • فما علينا لو استغفينا عن
 المتكلمين المدلسين وتفلطنا من ربقتهم واعتصمنا بالله وبدين الله
 وبانبياء الله • تدبروا كلامي ولا تسيثوا افتهامي • اني احترم
 العاطفة الدينية التي تكاد تكون فطرية في الانسان ولكني لا
 اجد في خزعبلات هؤلاء الناس وفي تنطعمهم - وقد قيل هلك
 المتنطمعون - ما يساوي ذرة من نفس امرى راقية • ولكن اذا
 لبس الكاهن او الامام لغايته ثوباً من التفرير والخداع ولبس
 المتعبدون ثوباً من الجهل والخرافة فذلك لان الانسان لا يسير
 في الارض عريان بل ينبغي له ان يستر سوءته ولو بسوءة اسوأ منها
 وقد قال احد المسلمين : ان من آفات الدين فسق المتكلمين
 وجهل المتعبدين • ايها السادة المر • يحتاج دائماً الى من يذكره بانه
 من ابناء اليوم لا من بقايا الامس • يحتاج دائماً الى من يريه
 الربة والقيود على روحه • يحتاج دائماً الى من يهمس في اذنه او

يصرخ في وجهه : انك انسان حر . لا آلة في يد هذا او ذاك
يتصرف بها ساعة يشاء . كيف شاء . فيا ايها الشرقيون . ان تحت
خريف نفسمك الدائم ربيعاً جميلاً اذا كنتم تعقلون . ان تحت رهوكم
موجات عظيمة لو ناهضتم العاصفة ولو مرة في الحياة . فان
مثل هذه النهضات الروحية . مثل هذه الثورات الادبية . وان
كانت عاقبتها اليوم غير مرضية . فهي غداً للنفس منعشة بحياة .
مثل هذه النهضات تعود المرء الفكرة . وتروض منه الارادة .
وتكسبه المنعة والاستقلال . ان للماضي اثرأ قوياً في العروق .
ان فتور الشرقي وخموله لفي الدم . اذا كان لا يمرن نفسه وارادته
ادأ على ما يحرك الدم - دم الجسد ودم الروح معاً - يظل ما دام
حياً كظل من اطلال الزمان . ولا ينهض بالشرقيين من هذا
الغور المظلم سوى الثورة الادبية التي يتبعها انقلاب عظيم في
الاخلاق .

فها اننا قد صرنا امة حرة ذات حكومة دستورية . ولكن
ذلك لا ينافي ما في العائلة وما في الطائفة وما في المدرسة من الجور ^{الشرع}
^{تكميل} والحيف والاستبداد . من العبادة والجهل والفساد . ذلك لا ينافي
ما في اصطلاحاتنا الاجتماعية - واكثرها من فضول هذا التمدن
الافرنجي من الضيم والشقاء ما لا يماثله ظلم في الحكومات المطلقة .
الاترون ان التاجر لا يزال محني الظاهر تحت امواله وصكوكه
وان الصانع لا يزال اسير هذا العبد سيده . والتلميذ في المدرسة

اسير جهل استاذة . والاستاذ اسير استبداد رئيسه . الاترون
 ان المصلح السياسي مرهونة حريته لخطه حزبه . والكاتب حريته
 عند قرائه او في قبضة رزقه ، والصحافي حريته في جلده واستقلاله
 في كيسه ، - لا تواخذوني فقد وعدتكم في البداية بان اسمي المعول
 معولا والعقاب عقاباً - الاترون ان المرأة في البيت مقيدة بارادة
 زوجها . عادلة كانت او جائرة ^{بمادة} . وان الاب لا يزال يعتقد ان
 اصول التربية في تأييد سلطته . وان المأمور في الحكومة يتألم
 من ضغط ذاك الجالس فوق رأسه . والجندي من استئثار ضباطه
 والكاهن من ظلم اسقفه . والاسقف من استبداد بطريقه .
 والراهب يحترق في نذره ويئن من عنف رئيسه ، والفلاح يتأوه
 من جور اميره . بل يصرخ في بعض الاماكن تحت سوطه -
 شولم صحافة ؟ صرنا شعباً حراً . شولم دستور ؟ صرنا امة راقية .
 اي اخواني . اسمعوا التقية تهمس في اذن هذا الشيخ -
 حافظ على مركزك . اسمعوا الخوف يقول لذلك الصحافي - حافظ
 على مصلحتك . اسمعوا الذلة ترشد اخانا الفلاح قائلة - اتق
 بطش سيدك . اسمعوا الجبانة تهمس في قلب الراهب - اتق
 الفضيحة وحافظ على ثوبك . فالتقية والخوف والذلة والجبانة
 هي اعداء حرية الانسان الحقيقية . وان لم يحرر نفسه منها بنفسه
 فانه قانون ومائة دستور لا تحرره . واعلموا ان الارادة المستولية
 على ارواحنا لا نخلصنا من ظلمها الا ارادة اشد منها .

اني ادعوكم اذا الى ثورة ادبية • اناشدكم بالحرية التي بعثت
 من ^{لحمية} عور ماضينا حياة جديدة ان تطردوا الخوف والتقية والذلة
 والجن من قلوبكم وبالاخص عند ما تشعرون بيد الظلم عليكم
 وترون الحرية الادبية مقيدة امامكم • ايه اخواني • ارفعوا اعلام
 الاداب في البلاد • شيدوا صروح التهذيب • اسسوا معاهد
 للفنون • فان الاداب والتهذيب والفنون هي القوى الادبية
 الروحية التي يتآلف فيها العلم والدين • ويقرن فيها بين بديهيات
 الانبياء ومعقولات العلماء • وتنتزج فيها روح الحقيقة وروح
 الجمال • وتنشق منها اشعة السلم والحب والاخاء • اجل • هي
 القوى التي يتوقف عليها تحرير الانسان • وتحرير الشعوب والامم
 لنعزز الاداب اذا والفنون • لنؤيد بالقول والعمل التعاليم
 السامية • لننصر الاراء الحرة ^{عسرة} السديدة • ومتى رأينا ان الحزب
 الذي ننتمي اليه • او الطائفة التي نحن منها • والجريدة التي
 نكتب فيها • تحاول تقييد افكارنا او الضغط على عقولنا او
 المتاجرة بارواحنا • فعليتنا ان نخرج منها سريعا وننفذ عن نعلنا
 غبارها • ان شرف المرء في حرية عقله ونفسه • وشرف الاحزاب
 في حرية رجالها • وشرف الطوائف في حرية ابنائها •

اخواني - ما الناس الامة واحدة • وستجمعهم في المستقبل
 ان شاء الله جامعة واحدة هي جامعة الاداب والفنون • ودين
 واحد شامل قوامه الابوية الالهية والاخاء العام •

المدينة العظمى^(١)

سادتي وسيداتي

قص ارستو الشاعر اليوناني قصة عرافة تترامى للناس اثناء الربيع والصيف في صورة ملك سماوي واثناء الخريف والشتاء في شكل حية رائعة هائلة . وكانت هذه الساحرة تغمر بفضلها والائها اولئك الذين احسنوا اليها وعاملوها بالمعروف في فصلي الشتاء والخريف . واما الذين اساءوا معاملتها وحاولوا قتلها وهي في تلك الصورة المخيفة فكانت تحرمهم هذه النعم والبركات . وقد شبهت الحرية بهذه العرافة العجيباء التي تبدو تارة كالملك وطوراً كالحية الرقطاء . فالحرية في بادى امرها تتخذ هذا الشكل المزدوج الغريب الذي يتخوف منه بعض الناس ويغالي في مدحه الآخرون . ان في الامم التي الفت العبودية تظهر الحرية اولاً كالحية فتتحول رويداً رويداً الى ملك سماوي . وما من منكر ان حرية العثمانيين لم تزل في فصل الشتاء . حريتنا لم تزل كعرافة ارستو في شكلها الهائل المخيف . ويجب مع ذلك ان نصبر عليها ونحسن استقبالها حتى اذا استجالت ملكاً قريباً لا نخرم فضلها

(١) القيت في الحفلة التي اقامتها جمعية طلبة العلم العثمانيين في ٧ ايار سنة ١٩٠٩ في المسرح الجديد ببيروت

والأهـا .

سادتي . ان الحرية مها قيل فيها هي ضالة الانسان المشودة .
هي غايته القصوى في الحياة . هي قوام الانفس والعقول . وغذا .
الفنون والعلوم . واس كل مظاهر الرقي والعمران . واود لو
دعيت المدينة العظمى التي هي موضوعي الليلة مدينة الحرية
واطلقت على شوارعها اسما . رسل الحرية وابطالها في كل زمان
ومكان .

من الحقائق التي لا ريب فيها ان الانسان مهما ارتقى في سلم
الحياة يظل في مكان يرى منه من تقدمه الى العلا . ومهما انخط
المرء وتقهقر لا يصل الى القعر الذي لا يكشف على احد دونه .
فالسلم والهاوية لا نهاية لهما في الحياة . لان الدرجة الاولى
منهما في المهد والدرجة الاخيرة في القبر . اينما كان المرء اذا يرى
كثيرين من الناس فوقه وكثيرين تحته . وكلما ارتقى درجة في
معارض الفوز والقلاح يسمع اصواتاً بعيدة تدعوه الى ما هو
فوقها . وهذه من حقائق الحياة التي فيها لجميع الناس كثير من
التنشيط والتعزية علينا اذا ان لا نكون عبيداً لمن هم فوقنا
والا نستعبد من هم دوننا . علينا الا نتصاغر امام الكبار والا
نتكبر امام الصغار .

وكما في الناس فكذلك في المدن . فلا يحق للوندرام مثلاً
ان تصغر خدها للقاهرة ولا للقاهرة ان تشمخ انفها على بيروت

لان حسنات المدينة العظمى قد تكثر في هذه وتقل في تلك . قد تكبر في المدينة الصغيرة وتصغر في الكبيرة . والمدينة هذه التي صورها العقل بريشة الخيال ما هي من مدن هذا الزمان ولا من مدن الماضي . ليس في نيتي ان اكلعكم لا عن نينوي او بابل ولا عن نيورك او باريس فان باريس من أمات المدن العظيمة ولكنها لا تستحق في نظري صيغة التفضيل لان هناك مدينة اعظم منها مجداً . واسمى منها شأنًا . وابتعد منها جمالاً . وارقى منها فضلاً وعلماً .

ومن يتجاسر ان يتكهن في هذه الايام . من يدري ما في المستقبل اشعوب آسيا الصغرى . فقد ترهو المدينة العظمى فوق اطلال بابل . قد يشيدها الزمان على ضريح نينوي . قد ترتفع صروحها واعلامها وابراجها وقبابها تحت هذه السماء الجميلة . على هذه الشواطئ التاريخية المقدسة . امام هذه الامواج التي شاهدت جنازة مجد آسيا . وستشاهد ان شاء الله موكب بعثه .

وباي تمتاز المدينة العظمى عن سائر المدن ؟

ابراسيها البحرية . ابمحطات السكك الحديدية . ابمركباتها الكهربائية . اباسلاكها البرقية . ابانبائها اللاسلكية . ابقصورها الشاهقة . ابصروحها الفخيمة . ابانفاقها وجسورها وملاهيها ؟ باي تفاخر المدينة العظمى سائر المدن ؟ ابشوارعها الواسعة النظيفة . ابساحاتها الكبيرة الجميلة . ابمخازنها الحاوية ماندر وعز من

مصنوعات الطبيعة والانسان . اعدادها العمومية . امستشفياتها
المجانية . اعمادها العلمية . امتاحفها الادبية والتاريخية .
امصارقاتها وبورصاتها واغنيائها . ابكثرة سكانها . ابتعداد معابدها ؟
لا ياسادتي .

المدينة العظمى تمتاز عن سائر المدن بنوابغها . بشعرائها
وعلمائها وارباب الفنون والصنائع فيها . المدينة العظمى هي التي
يمكنها ان تفاخر سائر المدن لا بكثرة سكانها بل بكثرة الاصحاء
فيها . اذ ما هو الخير في مدينة تسعون في المئة من ابنائها مرضى ؟
المدينة العظمى اذا هي التي يخلو هواها من جراثيم الامراض
المعدية وتشرق شمسها على عقول سليمة في اجسام سليمة . المدينة
العظمى هي التي تكرم ابطالها ونوابغها لا باقامة التائيل ونصب
الانصاب فقط بل بالافتداء بهم وبالعامل بتعاليمهم . هي المدينة
التي يقرن فيها بين البساطة والجمال في ابنتها وفي ازياتها وفي
فنونها . وبين الرحمة والعدل في احكام قضاتها . وبين العلم والدين
في تعاليم علمائها . هي التي يحترم المرء فيها جسده وروحه ويعتني
على السواء بنظافة الاثنين . هي التي ينبذ رجالها ونسائها
الشرايع التي يسنها الخائنون لتعزيز شئون افراد من الناس ولا
فرق ان كان الافراد من الاغنياء والامراء او السلاطين . هي
التي لا يوجد فيها ارقاء ولا تباح فيها النخاسة . هي التي ينهض
فيها الشعب نهضة واحدة على ظلم الحكام وفساد المسيطرين . هي

التي يكون شعار كل امري . فيها
لا تسقني كأس الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
المدينة العظمى هي التي لا يتداخل في شؤونها سلطة اجنبية .
هي التي يكون كل امري . فيها سلطاناً بنفسه بل عملاً حياً للحرية
والاخاء . هي التي يعتبر الحكماء فيها كخدام يخدمون بالاجرة .
هي التي يتعلم الاولاد الاستقلال وعزة النفس في مدارسها قبل
سائر العلوم . هي التي تطلق فيها حرية القول والعمل ويكثر فيها
التنقيب والبحث وتثمر فيها الفنون وتتعزز فيها الاداب .
هي التي تكون الصداقة فيها امراً مقدساً والاخلاص محترماً
كسر من الاسرار الالهية . هي التي لا تكره المرأة فيها على
الاقامة مع رجل لا تحبه ولا الرجل مع امرأة لا يحبها . هي التي
يكون الابوان فيها صحيحي الجسم والعقل قوين نشيطين مدرسين
فيوجدان نسلأ قوياً مدركا نشيطاً . ان لم تصلح صحة هذا
الجيل فلا رجاء لنا في المستقبل . المدينة العظمى هي التي تكثر
فيها الامهات الحزيمات العزومات المدركات ما سما من مقاصد
الحياة فلا يعلمن اولادهن الخرافة والكذب والمراوغة ولا يعودنهم
الطاعة العمياء والجبانة والخوف . الشرق يحتاج الى الام التي
تعلم اولادها الاعتماد على النفس فوق كل شي . المدينة العظمى
هي التي تسير النساء في اسواقها سافرات ويحضرن الاحتفالات
العمومية كالرجال ويشاركن كالرجال في البحث والارشاد . هي

المدينة التي يستغني فيها اهل الادب والفنون عن اهل المال . بل هي التي يتأسس فيها دائرة اوقاف لا لخدمة المعابد واعاشة رجال الدين بل لخدمة العلوم والفنون . لخدمة النوابغ والعلماء . اي سادتي . عبثاً تسن الحكومات الحرية شرائع حرة ان لم تطلق انفس العلماء . وارباب الفنون من قيود المصلحة ومن هموم الارتفاق قيل لبعض العرب ومن سيدكم ؟ فقالوا فلان . فقيل بـ ؟ فقالوا احتجنا الى علمه واستغنى عن دنيانا ان مثله تكون العلماء . والامراء . وبمثله ان شاء الله ستفاخر المدينة العظمى سائر مدن العالم . (احب ان امثل بابننا . هذه اللغة لتأكدوا ان مثل هذه المدينة العظيمة لا يستحيل وجودها في بلادنا) . اليكم اذن بمثل اخر . قال سيد من العرب لقومه : اعلموا انني حاسدت عليكم حتى صرت عبداً لكم . اغدق على سائلكم . واصفح عن جاهلكم . واحوط حريمكم . وادفع غريمكم . فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي . ومن فعل فوق فعلي فهو فوقي . ومن فعل دون فعلي فهو دوني . فهل يأتري يوجد بين المتمدنين اليوم من تجتمع فيه هذه الخلال الشريفة كلها . افلا يحق لمدينة المستقبل ان تفاخر سائر المدن بمثل هذا الامير .

وبين رجال العرب من كان اعظم منه . دخل ابن العباس على علي بن ابي طالب خارج الكوفة وهو يقطب نعله فقال له : ما قيمة هذه النعل فقال ابن العباس : لا قيمة لها . فقال علي :

لهي احب الي من امرتك الا ان اقيم حقاً او ادفع باطلاً . فالمدينة العظمى هي التي يكثر فيها مثل هؤلاء . الرجال العظام الصالحين . هي التي يتعود كل امرئ فيها محاسبة نفسه فاذا كان ممن لهم شيء من الشهرة او المجد او القوة او النفوذ او السلطة او المال يسأل نفسه كل يوم وما قيمة هذه الاشياء . كلها الا ان اقيم حقاً او ادفع باطلاً . ما الفائدة من هذه السيادة او من هذه الشهرة او من هذه الاموال اذا كانت لا تساعدني على نصره الحقيقة واقامة الحق ودفع الاباطيل والاضاليل . ما الفائدة منها اذا كانت لا تبعدني في الاقل عن هذه الظلمات وسكانها وعن اسيادها وعبيدها . وقد قيل شر من الجهل نصره الجهال واسوأ من الضلالة الاحتجاج للضلال .

اجل سادتي . ان المدينة العظمى هي التي تنتصر فيها الحقيقة قولاً وفعلاً . هي التي يروج فيها الصدق كما هو الكذب رائج في العالم اليوم . هي التي يعيش فيها الادباء والعلماء لا للشهرة والمجد ولا للكسب والمال فقط بل لخدمة الحقيقة فكراً وقولاً وفعلاً . ان فروسية اللسان لغير فروسية الجنان . وما كل من هز لسانه فخراً ومباهاة يستل حسامه في الغارات . فالنفس الراقية التي تعيش لهواها وشهواتها واباطيل المجد والسيادة فقط هي كالكلب الافرنجي الجميل الذي يقضي حياته كلها تحت قدمي سيده او تحت رداء سيده . والعجب في امر هذه النفس انها

كلما امعنت في الذات اكفهرت في وجهها افاق الحياة . وقد قال
احد المتصوفين

ان المراني لا تريك عيوب وجهك في صداها

وكذلك نفسك لا تريك عيوب نفسك في هواها

وها اني ذكرت من المحاسن والاماني ما ستفرد فيه المدينة
العظمى عن سائر المدن . وهناك امنية اخرى بل نبوة لاحد
الانبياء تردت في ذكرها . وليلة كنت افكر في هذا الموضوع
طرق بيتي طارق ففتحت فاذا بالباب شيخ جليل عاري الرأس
حافٍ لابس قميصاً بيضاء فوقها رداء اسود مسدولٌ على كتفيه .
وقف في الباب ورأسه منحني فوق يديه المضمومتين على
هراوته . ولما فتحت دخل دون استئذان وسار تَوّاً الى مكتبي
وجلس هناك على كرسي امامي . فاخذني من امره العجب .
ولكن قبل ان بادرت به بالحديث قال : جئت احقق امنيتك وامدك
باخر من اراني . فقلت والدهشة تملأ نفسي . ومن انت يا سيدي .
فقال : انا هو .

- زدني علماً .

- هو الذي يخطر الآن في بالك وتحير نبوته قلبك .

- يا لله ! انت اشعيا بن آموص ؟

- نعم انا اشعيا .

فنهضت على الفور عن كرسي . وقبلت يد النبي . ولما رأيته

قد تبسم تشجعت وقبلت ايضاً شفثيه ولا ترالا ملتتهبتين ناراً . ثم تجاسرت فقلت : جئتنا يامولاي وقت العشاء . فهلا باركت الخوان واكلت معنا من عدس لبنان ليصير بيننا كما تقول العامة خبز وملح . فلوأما برأسه مبتسماً وتقدمني الى غرفة الطعام . وبينما نحن في طبخة يعقوب بادرت به بالحديث فقلت ألم تتبناً يامولاي منذ الوف من السنين يحيل يرعى الذئب والحمل فيه معاً والاسد يأكل التبن كالبقر والناس يطعمون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل ؟ فحنا النبي رأسه بحبيماً بالانحباب .

او لم تقل في رؤساء اورشليم انهم عصاة وشركاء اللصوص وانهم يحبون الرشوة ويتبعون الاجور وأن الرب سيقطعهم من اسرائيل ؟ فحنا النبي رأسه ثانية . فقلت : وها قد مضى على ذلك يا صاحب النبوة الوف من السنين والعالم لم يزل كما كان يوم صبت عليه شآبيب غضبك . فاجاب اشعيا قائلاً : ان الوف السنين التي مرت على نبوتي هي كالدقائق في عين الله . وان الاجيال بالنسبة الى الابدية هي كالساعات بالنسبة الى الاجيال فلا يريك كلامي . ردد نبوتي ولا تخف . بشر بالمدينة العظمى في بلادي وببلادك ولا تياس . قال هذا وهم بالانصراف . فاستأذنه بسؤال آخر فقلت : وكيف كان يكلمك الله يا صاحب النبوة ويطلعك على غيب الامور ؟ فقال النبي : مثلما انا اكلمك الآن . وقبل ان فتحت الباب استحال شعله نار . وتوارى عن الابصار

لا تظنوني مازحاً ايها السادة . فان للانبياء المقام الرفيع في العالم الروحي . ولا تزال لهم تلك السطوة الصالحة على الانفس السامية . وانك اذا حككت نفس النابغة في الناس لتجد في لبها شيئاً من روح النبوة . المدينة العظمى اذا هي التي تتم فيها نبوة اشعياء . هي التي يسير الذنب والحمل والنمر والجدي فيها معاً . هي التي يرتاح فيها الناس من شرور اصحاب السيادة الدينية هي التي تنقطع فيها سلية اولئك المفترين على الله وانبيائه . الجالسين على عروش القداسة الكاذبة . القابضين على صولجان الخرافة . المتوجين بتيجان الجهل والتعصب والطفيان . ان مصيبة الشرق في رجال الدين والكهان لا في الانبياء والاديان . المدينة العظمى هي التي يسود فيها العلم والحرية والاخاء والوفاء . هي التي تنتصر فيها القوى الروحية على القوى المالية . والقوى العقلية على القوى المادية . هي التي تطبع فيها آلات الحرب معاول ومحارث ومناجل . هي التي تشيد فيها الصروح والمعاهد لارباب الموسيقى والشعر والتصوير . ولربات الفنون والجمال . هي التي يكثر فيها من امثال علي بن ابي طالب واشعياء بن آموص وذاك الامير العربي الذي ساد قومه لانهم احتاجوا الى علمه واستغنى عن دنياهم . اي سادتي . ان المدينة التي ينبغ فيها اعظم الرجال واعظم النساء هي اعظم مدن العالم وان كان سكانها لا يتجاوزون عدد سكان الفريكة .

قيمة الحياة^(١)

أيها السادة والسيدات .

عندما وصلتني دعوة جمعيتكم لاخطب في حفلتها السنوية هذه كنت مهتماً بانجاز تأليف جئت في بعض فصوله على ذكر اجدادنا الفينيقيين . فسرتني ان ارى شيئاً من علو هممتهم ونشاطهم في ابناءهم الصيغونيين . سرتني ان ارى مصابيح العلم والعرفان تضيء على هذه الشطوط القديمة التي نشأت في ربوعها اللغة وكبرت فيها . همة الفينيقي التجارية والعقلية فجاء بما يدهش الافرنج حتى اليوم من آيات الفكر الباهرات . ومن غرائب الاكتشافات والاختراعات . سرتني ان اري روح اولئك الاجداد الكرام تنبعث اليوم فينا فتنهض بنا الى العليا . وعجبت بصدف ترينا في صدف الحوادث لو'لو' الاماني . فلبيت الدعوة على ما كنت فيه من شغل شاغل وتأهب للسفر مزعج حياً بزيارة مدينتكم وبمساعدة هذه الجمعية الوطنية في مشروعها هذا اذا كان في حضوري ماينفع وفي كلماتي ما يفيد . على اني في قراءتي كتاب الجمعية وقفت عند عبارة مذهشة فيه والظاهر ان كاتبه الكريم طویل الباع في طرق الاطراء . واسالي به . فبعد ان غلاني بالغلو واغرقني بالاغراق . رغب اليّ ان

(١) خطبة القيت في حفلة جمعية الخدمة الوطنية بصيدا في ١١ اذار

اتحفكم بخطبة « لم تفتق رتق سمع » ولا خطب مثلها في جمع «
 - السجعة له لا لي - فقلت في نفسي وماذا يبتغي الصيدونيون
 مني وما انا بصاحب معجزات او كرامات . ان خطبة مثل هذه
 ايها السادة في زمن كثرت فيه المناير والمطابع لا يستطيع ان يأتي
 بها بشر مثلي . لا جديد تحت الشمس ولا فوقها . فالمذنبات التي
 لا نراها نحن الا مرة في حياتنا مثلاً قد مرت لا شك في فلك
 الارض برأى من اسلافنا مرات عديدة في ما مضى من الزمان .
 لا جديد اذاً فوق الشمس . وصوت الحقيقة الذي احب ان
 اسمعكم اياه هذه الليلة طالما رددته قبلي العلماء والانبياء . لا جديد
 اذاً تحت الشمس . على انني استطيع ان احدثكم بلغة لم تسمعوها
 بعد اذا كانت بغيتكم تنحصر في مجرد رويتي واستماعي خطيباً .
 يمكنني ان احدثكم في عصارطة ^(١) السياسة ودهاقينها ^(٢) ، الذين
 يلهوجون ^(٣) اعمالهم ويلهوقونها ^(٤) . او في زراذرة ^(٥) يمشون في
 الارض سهلاً ^(٦) ، ولا يحسبون سواهم للمجد أهلاً ، او في
 سباهلة ^(٧) يحمشون ^(٨) العججرات ^(٩) ، ويعدون ترهات العصر

-
- (١) المضارط الخادم على طعام بطنه والاجير والتميم (٢) الدعقان
 « معربة » رئيس الاقليم (٣) لهوج الامر لم يبرمه والشواء لم يتضجه
 (٤) لهوق العمل لم يحسنه (٥) الزرزار البطرك « اعجيبة »
 (٦) جاء الرجل سهلاً اي مختلاً وغير مكترث (٧) سهيل بطل كسل
 (٨) جمش غازل (٩) العججرة من النساء الخفيفة الروح

ايات منزلات ، او في دعايب ^(١) يسمدن ^(٢) في المركبات ، او
يتبهنسن ^(٣) في العرصات ، ويحسبن المخشلب ^(٤) على صدورهن
درراً وريش الطيور على رؤوسهن تيجاناً . او في صفاريت ^(٥) من
الادباء يطوفون حول القصور المشمخرات ^(٦) ، عليهم يفوزون
بشيء من اعلاق ^(٧) السراة ، او في خريث ^(٨) من ولادة الامر
خيدع ^(٩) اذا استذريت ^(١٠) به قاذك الى محطمة سجيل ^(١١) . او
في غطريف ^(١٢) كبير ، رفته الدنانير ، وحسدته على اذنيه الحمير ،
او في متنطع مخربق ^(١٣) دفطس ^(١٤) وقته في حشو جوجوه ^(١٥)
بما لا يفيد من العلوم . او في - ولكن البساطة اولى واشفى .
مالنا وخطة « لم تفتق رتق سمع . ولا خطب مثلها في جمع » فيها
قد اسمعتكم ما يفتق الاسماع حقاً بل يفلق الصخور .

- (١) الجارية الرعوب الحسنة الرطبة الحلوة الناعمة (٢) سمد
الرجل رفع رأسه تكبراً (٣) تبهنس تبختر (٤) مخشلب خرز
من الزجاج (٥) الصفريت الفقير (٦) اشمخراطال والمشمخر من
الجال العالي (٧) العلق النفيس من كل شيء (٨) الخريث الدليل
الحاذق الذي يهتدي الى آخرات اي مضايق المفاوز وطرقها الخفية
(٩) الخيدع من لا يوثق بوعده (١٠) استذرى بفلان التجأ اليه وصار في
كنفه (١١) سجيل وادري في جهنم والمحطمة باب فيها (١٢) الغطريف
السيد الشريف (١٣) تنطع في الكلام تعمق وغالى وتأنق . والمخربق
المطرق الرصين (١٤) دفطس اضاع (١٥) الجوجو الصدر .
وهذه عشرون وخمس فعلات لغويات استغفر الله منها .

ساحتكم الليلة في موضوع قريب منا كلنا . وبلغة تسمونها
 كل يوم . وبعبارة تفهمونها وانتم الى اشغالكم سائرون . موضوعي
 قيمة الحياة . واريد بادي . يد . ان اسدل ستاراً على الماضي
 وآخر على المستقبل فاحصر الحياة في الحاضر واسألهم سوّالاً :
 لو علمتم حق العلم ان الحياة صدفة من صدف الطبيعة وان لا
 سابق قصد لها ولا لاحق . لا قوة مدركة ورا . المهد ولا ورا .
 اللحد . فترسلها وتبعثها عقلاً وروحاً وبكلمة اخرى لو تأكدتم ان
 الحياة مادية محض والموت ضجعة ابدية فكيف تعيشون ياترى
 وكيف تعملون لترفعوا من قيمتها وتجنوا الناضج اللذيد من
 ثمارها ؟ اتعملون قاعدتها الاساسية قاعدة التجار والمتمولين ان
 لا حقيقة في العالم الا المال ؟ اتقولون قول السياسيين والمسيطرين
 ان لا حق في العالم الا للقوة ؟ اتذهبون مذهب فلاسفة اليونان
 الكليبيين ان لا حقيقة في العالم الا للذات . او تقولون قول
 حشاشي الزمان القديم ان لا حقيقة في العالم على الاطلاق وكل
 شي . مباح ؟ لو تأكدنا ان الكون مركب من المادة والقوة فقط
 وان الحياة كذلك أفينبغي ان نعيش كالحوانات ؟ وان نحن فعلنا
 انأمن شر انفسنا ان لم اقل شر الاقوياء . فينا . اذا احب احد الناس
 ان يعيش كما لو كان هو العالم وبيته الدنيا واستطاع الى ذلك
 سبيلاً . يستطيع ان يذهب على هواه دون ان تذهب حياته
 ضحية الاطماع والاهواء ؟ ولو ضحاني هذا السيد العظيم الاثيم

وضحاكم على عرفات قدسه ومجده واهوانه ايامن ياترى صولة
الجماعات حين يستيقظون فينهضون ؟ ايامن هو ويد فوق يده
تاخذ بناصيته يوم يثار الحق باعدانه ؟

حكم عبد الحميد ثلاثاً وثلاثين سنة وهو لا يحسب ان في
العالم من ينبغي ان تراعى حقوقهم وحياتهم سواء . فاذا كانت
عاقبة بغيه وجوره واثرته ؟

لا انكر ان نظرة عمومية سطحية في احوال الانسان
الاجتماعية ترينا الشرير يسعد بشره والصالح يشقى بصلاحه .
ولكن ذلك لا يكون الى الابد . وانما يظهر كذلك لمن لا ينظر
في الامور الى ما وراءها . لمن لا يرى في الحياة غير ظواهر
الحوادث . مات كثيرون ممن قاسوا اليم العذاب من الدور
الماضي دون ان يشاهدوا نكبة سلطانه واعوانه . ماتوا يائسين
من الحياة التي ينتصر فيها مثل هولاء الاشرار الكبار . ولكن
قصر نظرهم فيئسوا . ولو تشوفوا الى المستقبل وكان ايمانهم
شديداً بالعناية التي لا تترك الاثيم عزيزاً الى الابد لما ماتوا
يائسين . ان ما نراه نحن اليوم مثلاً وننفر منه ساخطين حائقين
ليراه غداً آخرون فيستجلون فيه اليقين . ان شر الامس لينتج
اليوم خيراً وخير اليوم قد ينتج غداً شراً . اجل سادتي . ان في
الاشياء والاكوان عناية لا يعقلها الانسان ولا يدركها ارباب
العرفان . ان في الحياة اسراراً تدك العروش وترزع الجبال لو

تجلت كلها دفعة واحدة في آن واحد . ولكنه تعالى عليم رحيم .
 فهو لا يَمَكِّننا الا مما نحتاج اليه من القوات الخفية في الحياة
 فنستخدمها لو عقلنا خيرنا ومنفعتنا . ونقف صابرين هادئين ثابتين
 امام مفطعات الوجود ومبهجاته . وعندى ان هذه الاسرار تتجلى
 للانسان تدريجاً على حسب ارتقائه العقلي والروحي . ذلك لان
 الحياة سلم اوله الحيوان . ووسطه الانسان . وآخره الملاك . وقد
 يأتي يوم يشاهد فيه ابناء الارض رجل المستقبل العظيم وقد
 ترقى فيه القوى الحيوية كلها اى القوى الحيوانية والبشرية
 والالهية الى منتهى الدرجات . فالانسان مركب من هذه القوى
 كلها وهي كامنة فيه الى الابد . فان رعى احداها دون الاخرى
 يقف في سلم الارتقا . وطبائع الحياة فيه ناقصة فاسدة . نعم انى
 ممن يعتقدون بالنشوء والارتقا . ولا حاجة الى ان يؤيد العلماء
 اعتقادي . فاني لمؤيده بما اعرفه وبما اجهله من لوح هذا الوجود .
 من الحياة ومن الاكوان . ان في نشوء الانواع وارتقاها عناية
 الهية عظيمة . والناموس الطبيعي الذي يكتر من ذكره العلماء
 انما هو مشيئة الله في الاشياء . انى لا ارى يد الله في كل مظهر من
 مظاهر الحياة . واوئل ان ارى ولو بعد موتى بمليون من السنين
 روح الانسان متجلية في كل مظهر من مظاهر الله .
 ارانى تجاوزت الحدود الوهمية التي حصرت هذا الوجود ضمنها
 فاصبحت والماضى والمستقبل يتجاذبان في المعقول والمحسوس .

وكيف نستطيع ان ننظر في الحياة نظرة بعيدة صائبة دون ان نتلفت الى الماضي ونتشوف الى المستقبل . كيف يمكننا ان نقيسها لنعلم قيمتها وكل شي . فينا وحولنا ينطق بما مضى وبما هو آت مما هو قسم جوهرى من الحياة البشرية ؟ احببت ان احصر الموضوع في الحاضر لاريكم ان الحياة وان كانت مادية محض لا يستطيع الانسان ان يذهب فيها حسبما يشاء . ويسترسل الى ملاذ هوانه دون ان تخثر نفسه . فيغلظ شعوره . فيكثر عثاره . فيشتد بلاؤه . وان شقاء الناس اليوم لنتيج عن هذه الحياة المادية الحيوانية التي يكبرونها ويمزونها ويعرقون دماً في سبيلها . الا ائنا نعيش اليوم كما لو كانت الحياة منحصرة في (البورص) والمخزن وغرفتي الطعام والنوم . نعيش كما لو كان قوام الحياة في جمع المال وفي تربية دود الالهواء والشهوات . وبالحا من دود تحوّل للنفس وللجسد اكفاناً من الحرير . نعيش كما لو كنا الات هضم واكثرها في هذا الزمان مصدنة . وانصاب مجدداً واكثرها متهدمة . فالسياسي لا يرى في الحق قوة تستحق الاعتبار ان كان الحق لا يؤيده في ضلاله وفساده . ورجال الدين يصمون اذانهم عما جاء في كتب الدين من شديد التعاليم ويستخرجون من بعض الايات والعقائد قواعد تمكنهم من الضغط على الانفس والعقول لتكون لهم في ذلك سلطة ما انزلها الله على احد من الناس . والصحافيون يزفون ثنائهم لهذا الخاطب ويبدلون

شهادتهم لذلك الطالب حباً باعلان او اشتراك يحرزونه . او انهم
يوقفون الحق على رأسه غواية ونكاية . او انهم يتحاملون على
الناس ويشيرون المفسد والفتن حباً بالظهور والاشتهار . والغني فينا
يعيش كما لو كانت الاموال تقيه الموت وتكسبه الخلود . والتاجر
يضرِبُ اخماساً لاسداس ليل نهار فيستنبط طرقاً بل حيلاً جديدة
للكسب والاثراء . والوجيه الفاضل الواقف على شفير الافلاس
يكتد الفلاحين الفقراء . ويعرقهم ليؤيد فيهم منزلته العالية ومقامه
الرفيع الشأن . ترانا نعيش كأن الحياة بنت يومها منحصرة بين
شارقة وغاربة . مركبة من امشاج لا أثر فيها للعقليات والروحيات .
بلى . نعيش كما لو كنا مركبين من السنة ومعد واكباد فقط
فنجس القلبقة والكبكية والشر الثالث الذي ذكره النبي في
حديثه الشريف ولا نحسن سواها . نعيش لاهوائنا واطماعنا
وملاذنا . نعيش لمجد في العالم باطل . نعيش لوجاهة فينا فارغة .
نعيش لازياء . تستعبدنا . لعادات واصطلاحات تسوقنا الى المذلات .
وفوق ذلك نعيش في الخداع والجريزة والتلبيس . نخادع لخوف
فينا يسودنا . نلبس على الله والناس لغايات في النفس خبيثة
ذميمة . نتأخى طمعاً بربح من هذا الاخاء . نتصادق حباً بما
في الصداقة من عائدة مادية بائدة . وقد قال المتنبي :

ولما صار ود الناس خباً جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن اصطفيه لعلمي أنه بعض الاتام

كانت لامرئ كرمه يأوي الثعالب اليها ويفسدون فيها .
 فنصب هناك مفزعة او خيال صحراء ليردعهم عنها فجازت الحيلة
 على الثعالب وعجبوا لصاحب كرمه يحرسها ليل نهار ليقطع
 نصيبهم منها . الا ان احدهم وكان اشجعهم وادهاهم بادره الريب
 من ذلك جفا الكرمه ذات يوم ووقف ساعة امام المفزعة دون
 ان يفزع منها . ثم تقدم اليها قليلاً قليلاً وضربها بيده فوقعت
 الى الارض . فضحك ثم ضحك ورفع فوقها جنبه . وراح يدعو
 اخوانه الى اجتماع وطني سياسي . وخطب فيهم قائلاً : ان الانسان
 لخداع مكار . فقد حرمانا نصيبنا من الكرمه بخيال نصبه فيها .
 ومن رأيي ان نخذو حذوه لنفوز عليه . فاقترح عليكم نصب خيال
 اسد هناك لننال قسمتنا من الكرمه . فصفق الثعالب الجياع له
 ونصبوا في كرمه الانسان مفزعة بهيئة الاسد . ولما جاء الانسان
 في اليوم التالي ورأى الاسد واقفاً هناك ينظر اليه وقف شعر
 رأسه وهرول راجعاً الى بيته . وكذلك نال الثعالب الجياع
 قسمتهم من الكرمه . خدعهم الانسان بخيال فخدعوه بمثله .

وكم من خيالات وبعبعات تحفظ اليوم كياننا وتدفع عن
 شرفنا الوهمي عاراً وهمياً . كم في حقول الدين وصحاري السياسة
 وكروم التجارة من مفزعات لو ضربت مرة لاصبحت
 مفضحات . اجل ان الحياة اليوم سواء كانت في ارقى مظاهرها

الاوروبية او في افخم مظاهرها الشرقية انما هي حياة خاسنة فاسدة ناقصة . هي عند الغربيين محض مادية تجارية . وامست عندنا لا مادية تعرف ولا روحية . حياتنا ايها السادة . وان كنا لا نزال نؤم الكنائس والجوامع كاجدادنا . ان هي الا العوبة في روحياتها واضحوة في مادياتها . هي مزيج فاسد من الاثنين . وهذا سبب الشقاء والبلاء والفساد في طبقات المجتمع كلها . بل هذا من وجهة خاصة السبب الاصيل في انحطاط الشرق والشرقيين . ولكني اقول . وحق ما اقول . ان سيادة الاربيين في الشرق لا تدوم طويلاً اذا كان اساسها القوة المادية فقط . وان نهضة الشرق لا تنجح اذا كانت أسسها الروحيات فقط . الكتب المقدسة تصلح الحياة . ولكنها لا تعمّر البلاد . والعلوم المادية تعمّر البلاد ولكنها لا تصلح الحياة . اذن كتبكم المقدسة احفظوها وكتب العلم عززوها . وكل كتاب ايها السادة يساعد على حفظ الحياة وتحسينها وارتقاؤها هو عندي كتاب مقدس كريم . والحياة الصحيحة القوية الجميلة السابغة هي التي تتغذى بكل كتاب مقدس روحياً كان موضوعه او مادياً . ذلك لانها مركبة من الاضداد . ذلك لانها مادية روحية عقلية . ومن النواميس الطبيعية المعروفة ان قوى الانسان تنمو وتشتد في التمرين والممارسة . فاذا كنا لا نمارس الاقوانا الحيوانية وفينا قوى اخرى عقلية روحية نظل ولا شك في درجة واطئة من سلم الحياة . بل

نظل والجهل والبلا. اكبر ما في حياتنا. ذلك لان القسمين
الكبيرين فيها اعتراها الفساد من الالهال. ولو مرّ المرء قواه
العقلية والجسدية فقط لظلت الروح فيه مهمة مغبونة. وكثيراً
ما تكون تشوّقات النفس المظلومة سبباً لعوارض وامراض
شقي. كثيراً ما يكون شقاؤنا ناتجاً عن فساد احدى قوانا العقلية
او الروحية.

وها في وصلت الى الحد الذي ينبغي ان نعرف عنده الحياة
لنعرف كيف نقيس قيمتها. قد اتضح مما تقدم ان الحياة اصلاً
انما هي قووان عقلية روحية مادية تظهر في الناس بمقادير متباينة
ناقصة ولكنها كامنة بالقوة وغير محدودة في كل نفس بشرية.
قلت « انها كامنة بالقوة » والعبارة فلسفية وضعية لا احب ان
ارددها واكثر من مثلها. على انني اورد الفكر بعبارة بسيطة.
ان في كل منا قوى غير محدودة من هذه المتابعات الثلاثة تظهر
فيها او في نسلنا بظاهر شتى طوعاً لا حوال نعقلها اذا اعتبرنا
ولاسرار لا نستطيع اليوم ادراكها. هذي هي الحياة نظرياً.
مبدئياً. واما عملاً - آه لو كانت حياتنا الدنيا ابتسامة دائمة
تبتدى بالسرور وتنتهي بالابتهاج. آه لو كانت حلماً من احلام
الشعراء او لحناً مطرباً مفرحاً من الحان الموسيقيين! ولكن الحياة
في نظر احد القديسين انما هي عقاب الانسان في هذا العالم. وفي
نظر الفيلسوف هي سلسلة من حديد المصائب فيها حلقات قليلة

من ذهب العزاء والهنا . وفي نظر الشاعر هي هيات هيوالية
 محزنة الاسرار سامية غامضة . هي خيال زائل لحقيقة ازلية دائمة .
 وفي رأي سيدنا سليمان : كل شي باطل وقبض الريح . وفي رأي
 جمهور الناس انما الارض وادي الدموع . فللقديس اذا والفيلسوف
 والشاعر والحكيم والناس كلهم مجمعون على ان حياتنا الدنيا
 لا تساوي العناء الذي نقاسيه من اجلها . بل لا تساوي العرق
 الذي يتصبب من جباهنا في سبيلها . ولكني ارفع على هذه
 الاراء كلها رأياً اخر اود لو سمعتموه وحفظتموه وتثلمتم به في
 كل موقف وفي كل آن . الا ان الحياة صالحة اذا كان المرء صالحاً .
 وهي جميلة اذا كانت نفس المرء جميلة . والانسان لا يكون
 صالحاً ونفسه لا تكون جميلة اذا كان لا يربي ويرقي فيه قواه
 الروحية والعقلية والمادية كلها على السواء . ومن النادر ان نجد
 في العالم اليوم حياة تامة الاجزاء ارتقاء ونشاطاً وادراكاً في شخص
 واحد . فاذا كانت القوة العقلية عظيمة في احد الناس راقية . تكون
 القوة الروحية او الجسدية فيه منخطة . والعكس بالعكس .
 ودفعاً لما قد يكون في كلامي من الابهام ازيدكم ايضاحاً
 بما اريده بالحياة التامة الاجزاء ارتقاء وفهماً ونشاطاً . فالقوة
 الحيوانية التي ينبغي للانسان ان يرعاها ويتمهدا بالتربية تظهر
 نتائجها في صحته وصحة نسله . والقوة الروحية تظهر في شعوره
 الراقى وحبه . والقوة العقلية في ادراكه ونباهته وحكمته .

واعلموا ان العالم مثلاً يكون غالباً قوي الادراك ضعيف الشعور
والشاعر شديد الشعور ضعيف الادراك . والفلاح او البدوي
يكون غالباً شديد الجسم ضعيف الشعور قليل الادراك . اما
قيمة الحياة في كل من هؤلاء . وان كانت ناقصة فتختلف بالنسبة
الى ما يأتون به من الصالحات الباقيات . فقد تكون قيمة حياة
البدوي في نسله اعظم منها في نسل العالم . وقد تكون في الشاعر
اعظم منها في العالم العلامة والجبر الفهامة .

قد لا ينتبه ارقى الشعوب حتى في هذا العصر الى ما في
الوجود من دواعي الارتقا . كلها ومن الصحة والسعادة . ففي
الشرق نظن الوسخ عرضاً . والحمول نعمة . والخبيل مصدراً
للتجليات الروحية . وعن هذه الاوهام ينشأ التقشف والزهد
وما يصحبهما من اذلال الجسد واماتته . وفي الغرب بدأنا نرفع
من اسباب النظافة والصحة الى حد لا تعلوه اقصى الغايات .
وقد قال الفلاسفة هناك ان من واجبات الانسان الاولية ان
يكون حيواناً نشيطاً قوياً . ولكن اذ انحن اهلنا ترويض الاجسام
فهناك بدأوا يهملون ترويض الارواح . وفي الامرين نقص ظاهر .
على الانسان ان يعتني على السواء في تربية وترقية قواه العقلية
والجسدية والروحية كلها . سأضرب لكم مثلاً من هذا النقص
في التربية حتى في مشاهير الرجال . في الفيلسوف سبينوزا كانت
قوة الادراك راقية الى حد نادر المثال عجيب . واما قوة الاحساس

والعُطف - اي القوة الروحية - فكانت فيه اضعف مما قد تكون
 في احد سكان اواسط افريقيا . وفي الشاعر دنته نجد القوة
 الروحية عظيمة في شعره كما كانت في حياته . واما القوة العقلية
 اي قوة الادراك فما هي كذلك . ومثل هذه الموازنة تصح بين
 ابن الفارض وابن رشد . او بين البها . زهير وابي العلا . وعندى
 ان الفيلسوف سبنسر والشاعر دنته . او العالم باستور والقديس
 اوغسطينوس . او ابن الفارض وابن رشد ليتجسدان في رجل
 المستقبل العظيم . اجل . سيجبل الله انساناً جديداً كاملاً من
 الطينتين . النصفين . وهو على كل شي . قدير .

من هذا يتضح لكم رأيي في ماهية الحياة واقصى غاياتها .
 اي سادتي . ان الحياة الحقّة هي التي تجمع بين محاسن فلسفة
 الروحيين وفلسفة الماديين . هي التي يشارك صاحبها ابيكوردوس
 في لذاته وافلاطون في روحياته وسقراط في ادراكه وحكمته .
 هي التي تعظم فيها قوة الجسد وقوة العقل وقوة الروح . هي التي
 تولف بين اول درجات سلم الحياة وآخرها . بين الحيوان
 مصدرها والملاك محبتها . مثل هذه الحياة كثر من كنوز الدنيا
 وقيمتها لا تقدر ولا تحصى .

اما حياتنا اليوم - حياة عالمنا او تاجرنا او كاهننا او فلاحنا -
 فهي ناقصة . ضيقة . خاسنة . فاسدة . وكذلك نتائجها . فكم من
 عمل فيه اخلاص وما فيه شي . من العقل ؟ وكم من عمل فيه عقل

وما فيه شيء من الاخلاص؟ وكم من عمل فيه اقدام وشجاعة بل
 قحة وسلطنة وما فيه ذرة من العقل والاخلاص؟ ومع ذلك اننا
 نستطيع ان نجعل حياتنا اليوم ذات قيمة تذكر اذا سرنا الى
 غرضنا بحزم وعزم ونشاط وثبات واقتطفنا من الاعمال الناقصة .
 ما هو صحيح ناضج من ثمارها . اذا كنا حقاً احراراً . اذا كنا
 صادقين مخلصين محبين مدركين فنعرف اين تنتهي حريتنا واين
 تبتدي . حرية جارنا . نهدي بشيء من العلم والصلاح سبيل الحياة
 الحقة التي وصفتها . الحياة البشرية المستقبلية التامة الاجزاء ارتقاء .
 وصحة وفهماً . نعم ان قيمة مثل حياتنا اليوم لهي ناقصة تافهة
 ولكنها بالنسبة الى ما هو دونها تستحق الاعتبار . حسبنا ان
 تنقص فينا اليوم الجريرة والتلبس والخداع فتعلو بقدر ذلك
 النقص قيمة الحياة . حسبنا ان يتقدم في كل بلد احد الناس
 الاقوياء بصلاحتهم . الجريئين بفكرهم . فيضرب احدي مفزعات
 الناس ويحطمها . الخيالات والبعبات والاهام والخزعبلات .
 كلما زال شيء من هذه ترتفع بقدر زوالها قيمة الحياة .

قل لي اذا ايها المحترم ما هو اعتقادك الحقيقي فاقول لك
 ما هي قيمة حياتك . قل لي يا صاحب السعادة والعزة ما هي
 امالك في اعمالك فاقول لك ما هي قيمة حياتك . قل لي ايها
 الصحافي الحر ما هي غايتك الكبرى في تسويد الصحف فاقول
 لك ما هي قيمة حياتك . قل لي ايها الغني ما هو قصدك الاولي

في جمع المال فاقول لك ما هي قيمة حياتك . قل لي ايها الانسان
ما هي اسرار قلبك اقل لك ما هي قيمة حياتك . قولي لي ايها
الامراة ما هي غايتك القصوى في الدنيا اقل لك ما هي قيمة
حياتك .

اخواني . اخواتي .

ان قيمة حياتنا اليوم ما نزرعه في القلوب من البر والصلاح
وفي العقول من العلم والحكمة . قيمة الحياة ما يعود اليها من
ثمار الحب الذي نزرعه في صدور الناس . قيمة الحياة ما يأتي به
كل منا من الصالحات الباقيات مادية كانت او عقلية او روحية
فالغني الذي يقدر حياته بما عنده من المال يرفع من قيمتها اذا بذل
من ثروته لنشر المعارف . واستئصال الامراض . وتخفيف وطأة
البؤس والظلم في العالم . والعالم الذي يقدر حياته بما عنده من
العلم يرفع من قيمتها اذا محص علمه من الغش والخداع . من
السفاسف والالوهام . وبثه في الناس صافياً لوجه الله . والمتقشف
الذي يقدر حياته بما عنده من الزهد والتقوى يصنع خيراً اذا
كان تقشيره يفيد في الاقل افادة سلبية فيخفف فيناوطأة زخرف
هذه الحياة المدنية . على ان العالم والغني والزاهد قلما تنفع حياتهم
وقلما تكون ارفع قيمة من حياة احقر الناس واجهلهم اذا كانوا
لا يعملون لغير انفسهم . وشر الحياة حياة لا عطف فيها ولا
اخلاص ولا حب ولا حماسة .

واما رجل المستقبل . ذاك الذي تتم فيه اجزاء الحياة كلها
وتساوى صحة ونشاطاً وفهماً ورقياً . فسيتمكن ان شاء الله
من الجمع بين حسنات العالم والغني والمتشرف . بين محاسن العقل
والجسد والروح . بين الخيال والحقيقة . بين جمال الشعر وجمال
الحكمة وجمال الصحة . مثل هذا الرجل يعيش في الحاضر كما
لو كان الحاضر الابدية كلها فلا يعمل عملاً لا يشترك فيه عقله
وروحه وقلبه . هو يشغل رأس ماله في اسواق الحياة الثلاثة فلا
يكون عالماً عاجزاً الا يحسن التصرف في غير منزلته . ولا غنياً
جاهلاً . ولا زاهداً اخبل . هو الذي يجي قواه كلها ويرعاها
فيغذي العقل والروح دائماً كما يغذي الجسد . هو الذي يروض نفسه
للسدائد كما لو كانت من ضرورة الحياة . هو الذي لا يعول في
اموره على احد من الناس . هو الذي لا يحترم في البشر الا العلم
والذكا . والصلاح . هو الذي لا يحايي في سبيل العدل احداً .
ولا يخشى في سبيل الحق انساناً . هو الذي يعيش لنفسه ولربه
وللانسانية في وقت واحد . ان حياة مثل هذا الرجل الكثر من
كنوز الدنيا وقيمتها لا تقدر ولا تحمد .



(١) هملت وشكسبير

يتوقع مني بعض الناس ان اوجه كلمة الى اولئك الذين اساءوا
فهم خطابي الاخير في الكلية الاميركية . ونشروا على صفحات
الجراند مثالا من تسرعهم في النقد وبطنهم في الافتهام . ولكنني
آليت على نفسي ألا اوضح لاحد وألا اجادل وناقش احداً .
فان الذين يعرفونني ويفهمونني بغنى عن الايضاح والذين لا يحبون
ان يعرفوني ويفهموني فانهم لا يقتنعون ولا يفهمون . وان صرفت
ما بقي من حياتي شارحاً مفسراً موضعاً . لذلك لا اضيع وقتي
فيما لا طائل تحته لا لكم ولا لي . لذلك لا اجادل احداً ولا اناقش
بشراً . بل جعلت مبدائي وخطة حياتي هذه الكلمات الثلاث
« قل كلمتك وامش » . فاننا اذا وقفنا لنسمع المداحين والمهجائين
الناطقين بالحجارة والناطقين بالازهار . ننصرف عن بث المبادئ
الحرية والتعاليم السديدة في الناس الى ما يعرفه سعيينا ويقعد
بهمتنا ويكدر صفاء افكارنا ويعودنا مقاتلة الناس لا تهذيبهم .
لذلك جعلت شعاري « قل كلمتك وامش » .

هذا هو مبدائي وهذني هي خطة حياتي الكتابية . وهذي
هي نصيحتي لاخواني الادباء اجمعين . بناء على ذلك سأقول كلمة

(١) خطبة القيت في مسرح زهرة سوريا ببيروت اول ليلة مثلت فيها

رواية هملت .

في رواية هذه الليلة كي لا اخرجكم من الموضوع الجميل الذي انتم فيه . وانني لا استحسن قطعاً الخطابة في المواضيع السياسية والاصلاحية في مثل هذه المواقف الادبية . فانها تصرف افكاركم عما جئتم من اجله هذه الليلة وتقطع سلسلة الخيال التي تنقلكم من المكان الذي انتم فيه الى مكان الرواية وزمانها . وهذه من شروط الاتقان في التمثيل . فان الممثل الذي لا ينسني وانا جالس على ذلك الكرسي امام هذا المسرح كوني في بيروت وفي الجبل العشرين . الممثل الذي لا ينقلني بمغناطيس صناعته الى الدانيمارك في هذه الرواية لا شاهد هناك مليكها واميرها ورجالها واشباحها يعانون تكاليف الحياة لا يكون قد احسن اوليات هذا الفن .

يسرني جداً ان ارى روايات نابغة المراسح بل نابغة العالم تمثل في سوريا . فان شكسبير من سائر الشعراء كجبل الارز من سائر جبال لبنان . ورواية هملت من روايات شكسبير كضهر القضيبي من جبل الارز . بل شكسبير هو امير شعراء العالم ورواية هملت هي اميرة روايات شكسبير وكم قام بعده من المقلدين . من الانكليز والالمان والافرنسييس فاجادوا في طريقتهم ولكنهم لم يشقوا غيوم مؤلف هذه الرواية الفريدة . ومن مميزات هذا الشاعر العظيم انه لم يترك عاطفة من العواطف البشرية كلها . دقيقة كانت او غليظة . واطنة او سامية . راقية او وحشية . ظاهرة او غامضة . الا والبسها من شعره سربالاً شفافاً جميلاً

واستخرج منها حكمة سامية جليلة . فاذا ذكرنا الحب نرى في
« روميوجوليت » ارقه واشرفه واسماه . وفي « ترولس وكريسيدا »
احطه واكرهه واذناه . واذا ذكرنا الغيرة يدهشنا بل ينجلنا تمثيله
اياها في رواية « قصة من قصص الشتاء » بصورة خبيثة صفراء
خالية من الوان العطف والسماحة والحشمة . ويعجبنا بل يسحرنا
في رواية « اوتلو » الشهيرة . تلك الرواية التي تستنشق الغيرة فيها
انقى هوا . البحار والجلال . وما فادى الزنجي الاي « اوتلو »
« بدره اثن من قبيلة كلها » الاكرها وفي سبيل عرضه وشرفه .
بعد ان افرغ الخائن يعقوب كل سمه في قلب من اخلص له الوداد .
واذا ذكرنا الانتقام نشاهده في افطع واوحش هيئاته في « تيتوس
اندرانيكوس » وفي اشرف واسمى مظاهره في رواية الليلة .
وفي هذه المقارنة تظهر عظمة الشاعر الذي يسقط الى اعماق اغوار
الحياة فيستخرج منها درر الشعر والفلسفة . ويرتقي الى اعلى
السمكين فيجيشنا بكواكب من الحكمة السامية والحقيقة الالهية .
هذه ست روايات ذكرتها موجزاً لأمثل مقدرة الشاعر
واتساع نطاق افكاره وتصوراته وفلسفته وشعوره . فمن
« كريسيدا » الى « جوليت » ومن « آنذرانيكوس » الى « هملت »
ومن « بوليكسين » الى « اوتلو » ننتقل من جحيم الحب الى
سمائه . ومن ادغال الانتقام الى ذرواته . ومن اكواخ الغيرة الى
قصورها . وقد تجتمع اسمى مظاهر هذه العواطف كلها في دور

(هملت) . لذلك هي اعظم الروايات التي تمثل على المسارح اليوم . هي رواية منقطعة النظر فريدة في بابها وجلبابها . فالضمير والفلسفة فيها يمتزجان فيتمازجان بين التردد والاقدام . وفيها الدقائق والحقائق تسيل حباً . فتتلون غضباً فتبهيج انتقاماً . وفيها من الشعر والتصور والفصاحة ما لا يجتمع مثله في رواية واحدة لغيره من الشعراء . وفيها . وهذا اهم ما فيها للممثلين . غوامض اطوار (هملت) وشذوذاته . فان دور (هملت) للممثلين هو كالنور للفراشة . وندر في اوروبا واميركا من لم يحرق جنحيه من الممثلين الشهيرين في بادئ امره ولتأكدوا اهمية هذه الرواية في عالمي الشعر والتمثيل اقول ان من مائة ممثل في انكلترا واميركا لا يحسن تمثيل هذا الدور العظيم اكثر من عشرة ممثلين . وكل واحد من هؤلاء يمثل الدور بطريقة تختلف عن طريقة سواه . وذلك لان المؤلف اكثر فيه من اوابد الفلسفة . وغوامض الحكمة . واسرار المعاني البديعة . ما يحتمل التفاسير والتأويل العديدة . لا اقول هذا لاثبط من عزم هؤلاء الشبان النشيطين . فاني اكبر همتهم واثني على اقدامهم . وارجو الا يققوا في درس هذه الصناعة الجليلة واتقانها عند حد تصفيق الناس واستحسانهم . فقد يضر المديح بالشاعر والممثل اكثر من نقد الناقدين وتحامل المتعنتين .

وان بينكم ولا شك كثيرين ممن سافروا الى اوروبا وشاهدوا

فيها تمثيل الروايات . واكتفي لا اظن ان احداً منكم دخل العالم الكائن وراء الستار هناك . فان المسرح . بادواته وعجلاته وانواره واخشابه واسراره وممثليه وجدران الورق والنسيج فيه . لعالم آخر لمن يتسنى له الدخول اليه .

اذكر لما كنت امثل دوراً صغيراً في هذه الرواية مع احد الممثلين الكبار في الولايات المتحدة انني دهشت اول ليلة من امر الشبح فيها و كيفية ظهوره . فلما قال « برناردو » (ها هو ها هو) رأيت من كان يمثل هذا الدور يتخطى تحت الارض . اي تحت المسرح فسألت احد الممثلين : هلاً يخرج لتشاهده الناس ؟ فقال : بل هم يشاهدونه الان . فقلت : وكيف ذلك ؟ فاشار اذ ذاك الى مرآة طويلة في مؤخرة المسرح وقال : ترى الذي يمثل دور الروح واقفاً تحت المسرح امام المرآة فينعكس خياله فيها فيخيل للناظرين انه شبح حقيقي واقف بين الارض والسماء . واذا تكلم فصوته من تحت المسرح اقرب الى حقيقة حاله . فانه اشبه بصوت خارج من القبر . وعند ما ينتهي من كلامه لا يخرج كالا حياء ماشياً بل يتحول الممثل من امام المرآة فيخيل للناس ان الروح طار في الفضاء . روا اذا الى اي حد من الاتقان والتفنن ترتقي هذه الصناعة هناك .

وقد جاءني منذ اسابيع مجلة انكليزية موضوعة للتمثيل والممثلين قرأت فيها ان ابن السيدة إلن ترى وهي كساردا برنار

عند الانكليز طبع رواية (هملت) على حدة في خمس مجلدات ضخمة طبعة فريدة في بابها فنشر فيها صور اشهر من ايجاد في تمثيل هذا الدور من الممثلين من ايام شكسبير حتى يومنا . ورسوم الثياب ووصفها في زمن (هملت) مع المواعين والاشياء التي تستخدم على المسرح اثناء التمثيل . وفيها ايضاً وصف المشاهد والمناظر وحركات الممثلين وسكناتهم كلها وكيفية القائهم مسندة الى تقاليد تكاد تكون مقدسة عند عشاق هذا الفن واربابه . وتباع النسخة من هذه الطبعة من رواية (هملت) بخمسة عشر ذهباً انكليزياً . فتأملوا !

اذكر هذه لتقدروا هذه الرواية حق قدرها . فانكم . مهما تعددت مشاهدكم اياها . لترون فيها كل مرة شيئاً جديداً من رائع الحكمة وبديع المعاني وجميل الخيال .

وقد يخطر في بال البعض منكم ان كيف تكون يا ترى تأثيرات مثل هذا المسرح ومثل هؤلاء الممثلين في نفس من مثل على مسارح اميركا وشاهد هذا الفن في ارقى مظاهره وعرف شيئاً من اسراره وخبائاه . اما الممثلون فاذني وان كنت لا استصوب هجومهم دفعة واحدة على روايات شكسبير وبالاخص اعظمها فاذني أكبر همهم كما قلت واثني على نشاطهم وارجو ان يتوقفوا في سعيهم واجتهادهم ودرسهم المتواصل الى شيء راق من هذا الفن . واما المسرح او الملهى او الملعب او

التياترو او بالحري هذه الاخشاب المسندة التي تدعى تياترو فانها
تذكرني بايام شكسبير لما كان هو نفسه يمثل ادواراً في رواياته .
فان فن التمثيل هناك ولد في مثل هذا المهذ الحقيق . ولا
عيب ولا عار في ذلك .

ولا بأس بذكر شيء من سيرة هذا النابغة العظيم فان فيها
عبرة لمن اعتبر . في ايامه اي منذ ثلاثماية سنة كانت لوندرا
شبيهة ببيروت اليوم من حيث اسواقها وابنتها وملاهيها . ولم
يكن فيها عربات ومركبات . بل كانت شوارعها دائماً كشوارع
مدينتنا يوم الاعتصاب . فكان الناس يجيشون التياترو راكبين
الحيل فاقضى لذلك وجود اولاء امام الباب يستلمون هذه الاجياد
فيحفظونها لاصحابها الى ان تنتهي الرواية . ووليم شكسبير
ايها السادة كان من هؤلاء الغلمان . ولكنه عمل عمله بنباهة
وامانة واخلاص حتى اصبحت بعد قليل زعيم الساسة وسيدهم .
فكان الناس عند وصولهم الى التياترو لا ينادون الا شكسبير
فيجيشهم هذا ويجيشهم ذاك قائلاً انا ياسيدي من رجال شكسبير .
وكذلك ترى الرجل العظيم فازاً مقدماً في اول عمل باشره . نراه
فازاً لانه اتقن العمل وتأثر على الصدق والامانة فيه . وقد كان
ارتقاءه ابهى واسرع من فوزه . صعد السانس الى المسرح واخذ يمثل
الادوار الصغيرة الى ان استيقظت في قلبه ربة الشعر . فطفق
ينظم الروايات ويمثل فيها حتى آخر ايامه .

قلت لكم ان لوندرا منذ ثلاثماية سنة كانت من بعض الالوجه
مثل بيروت . وكان فن التمثيل فيها كما هو اليوم عندنا . وكانت
التياترو الخاصة بشكسبير وشركائه شبيهة بهذه . فالحالة الاجتماعية
التي الف فيها هذا العبقري رواياته كانت كحالتنا اليوم دون
تصوراته وافكاره ودون المثل الاعلى في الفنون .

فهل كتب الشاعر ما يلائم طبائع قومه وامياهم في تلك
الايام ؟ هل راعى خواطر شعب لوندرا منذ ثلاثماية سنة ؟ فانه لو
فعل ذلك لما كنا نقرأ رواياته ونمثلها اليوم . بل هو الف هذه
الروايات لكل جيل ولكل زمان . الف رواياته والحقيقة آخذة
بضميره . وربة الشعر تلي على فواده . والحكمة تنير زوايا قلبه
ونفسه . الف رواياته ولسان حاله يقول : ان لم يقدرها ابنا .
اليوم حق قدرها فسي فعل ان شاء الله ابنا . المستقبل . وهذه من
نبوات الشعراء . فالنابغة ياسادقي يتقن أي عمل اتاه بشرط ان
يكون قلبه مائلا الى ذلك العمل . ومن مميزات شكسبير في
صعوده من احقر الاشغال الى المهنة التي تتصل بالالهة اسبابها
انه كان يفرغ قلبه ودماعه في قالب عمله . وان حياة هذا العبقري
لشبيهة بتمثال حي لما جاء في رواياته . فانه ارتقى السلم من اوطى
الدرجات حتى اعلاها ووقف هنيهة في كل منها ليفكر بالحكمة
التي فوقها والحكمة التي تحتها .

ان الفوز المبين اذاً لني اتقان العمل مهما كان . ان الاتقان

في الفلاحة كان او في النظم او في التمثيل هو اساس كل ما
يدوم طويلاً من الصنائع والفنون . ونحن الشرقيين مفتقرون
جداً الى الثبات الذي يتغذى به الاتقان . فاننا لا نتقن شيئاً ولا
نثبت في شيء . بل ترانا نياس قبل ان نتمم عملاً . ونبغى فوق
ذاك الاستحسان والتقريظ . فعماسا اذا ان نتمثل بشيء من
حياة هذا العبقري الانكليزي الذي اتقن عمله سائساً . واتقنه
ممثلاً . واتقنه شاعراً .



حول المساواة^(١)

سيداتي وسادتي

عندما كتبت هذه الرواية الصغيرة لم يخطر في بالي امر تمثيلها . وقد الفتها لغرضين غرض ادبي وغرض سياسي . فالغرض الادبي ظاهر للالبا . من خلال الخيال . والغرض السياسي نقطة محوره . ومهما كان من امر الرواية فما هي الا وقفة امام الباب الذي لا بد ان يدخله الادبا . بعد حين . فقد عفنا الروايات المترجمة التي قلما تنطبق على حالنا وقد حان لنا ان نضع تاريخ الامم الشرقية وبالاخص تاريخنا على المسرح ليقتفي الناس اثار اجدادنا الحسنة ويتحاموا منها السيئة . ومن العجز ان نتهاقت على مواند الافرنج وعندنا في تواريننا العربية وفي حياتنا الاجتماعية من الحوادث والعبر ما كان يكفي (ساردو) و(روستان) و(ابسن) خمسين عاماً لو تفرغوا لدرسها ووضعها في قالب التمثيل . وما روايتي هذه سوى وقفة كما قلت امام باب الموضوع . وبما انني اشتغل اليوم في نظم بعض حوادث تاريخ العرب لتمثل في انكلترا او اميركا او دولو يهتدي بعض اخواني من الادبا الى شي من هذه الحوادث المهمة فيفرغونها في قالب تمثيلي على طريقة

(١) اقيت انشاء تمثيل رواية السجناء او عبد الحميد في الاتيني للمرة

الاولى في المسرح الجديد ببيروت سنة ١١٠٦

قريبة بقدر الامكان من كمالات هذا الفن .

اما الغاية السياسية من الرواية فلا شك انها ظهرت لاكثر كم
وتدبرتموها . وما عبد الحميد فيها سوى واسطة لظهار الحقيقة
المؤلمة التي طالما شغلت المفكرين .

من الالفاظ الساحرة التي تجري على السنة الخطباء في هذه الايام
لفظة المساواة . والمساواة ايضاً هي محور الفكرة السياسية في
الرواية . ولكن بين ما ارتأيه في هذا الموضوع وما يرتثيه غيري
بوتاً شاسعاً . فالمساواة لفظة طالما تحمس لها الشعوب في ما مضى
من التاريخ ووجدت فيها الامم خلاصها الى حين . وان كان في
تاريخ الرومان او الفرنسيين او الاميركان فان هي الا فترة مرت
فاضرمت في الشعوب هوساً ابعدهم عن الحقائق الطبيعية
والاجتماعية واعادهم اليها بعد حين . والتاريخ شاهد على ما اقول
ولكن الوقت لا يسمح الان في استطلاع شواهد فترى كيف
خابت آمال الرومان والفرنسيين والاميركان في عقيدة زال شغفهم
بها بعد ان وضعوها في حيز العمل .

على انني اصرح امامكم الان انني لست من المعتقدين بان
الناس ولدوا متساوين كما جاء في دستور الولايات المتحدة .
فالناس لا يولدون متساوين لا في القوى العقلية ولا الجسدية
ولا الروحية . وهذه حقيقة لا حاجة للاسهاب فيها . وانما الناس
متساوون اسماً امام الشرع . اما فعلاً فهم في البلاد التي تدعى

مهد المساواة كاخوانهم في البلاد التي كانت في الماضي قبرها .
 فالاميركي والعثماني شبيهان من هذا القبيل . وذو النفوذ في
 الامتين يخنق المساواة بنفوذه . وذو المال بماله . وذو السيادة
 بسيادته . وذو العقل بعقله . وذو القوة بقوته . ومهما تحمسنا
 وبالغنا في القول ينبغي ان تكون الحقيقة محجنتا في كل حال .
 الحقيقة ياسادتي هي ان لا حقيقة للمساواة في البشر اليوم .
 والذي يمكننا ان نصل اليه بعد طويل الجهد والثبات في مضمار
 الارتقاء هو ان يعرف كل امرئ مقامه ويجازي كل امرئ على
 عمله وهذه في نظري هي المساواة الحقيقية . ليجازي كل امرئ
 على عمله بعدل وانصاف وانا الكفيل بان الناس لا تحلم بمعدنذ
 بالمساواة . اذما الفائدة للفاعل ياترى من معرفته انه وسيده
 متساويان اذا كان سيده لا يجازيه على عمله بعدل وانصاف .
 المساواة الحقيقية اذا هي ان يجازي كل على عمله . ان يجازي
 المجرم على جرمه . والفاعل على عرق جبينه . والعالم على علمه .
 والذي على ذكائه الذي يظهر في اعماله . ورب الفنون على عرائس
 صناعته . والشاعر على نفائس شعره . فالمجرم اذا كان من المتشردين
 او من السلاطين ينبغي ان يكون في نظر الشرع واحداً . وفي
 نظر القضاة واحداً . وفي نظر السجنان واحداً . اي ان الحقيقة
 تطلب شريعة واحدة . وميزاناً للعدل واحداً . وسجناً واحداً . لمن
 ساوت بينهم الجرائم والاثام . ولا فرق بين الصعلوك من هذه

الوجهة والامير وبين الفقير والغني . اذكر لما كنت في الولايات
 المتحدة ان المحكمة العليا حكمت مرة على احد ارباب الاحتكار
 هناك بالحبس ستة اشهر لخرقه نظام الحكومة المختص بالشركات
 الاحتكارية . فزج بالسجن كبقية المذنبين ولكنه لم يعيش هناك
 كما عاش اخوانه السجناء . فقد اختصته الحكومة بثلاث غرف
 فرشها من ماله بالطنافس والرياش . وأذنت لاحد المطاعم ان
 يقدم له طعامه كل يوم في الاوقات الميمنة . وكان اصحابه وعماله
 يزورونه كما لو كان في بيته او في مكتبه . فما قولكم بهذا العدل
 في ارض تدعى مهد الحرية والمساواة . افلا ترون ان بين حال
 عبد الحميد اليوم وحال ملك الاحتكار الاميركي بعض الشبه
 فالمال الذي تدفعه الامة اليوم لاعاشة السلطان المخلوع هو ما
 يحق لكل المجرمين في البلاد ان يطالبوها بحجز منه . هذا ما
 ندعوه المساواة امام الشريعة وهذه هي المحجة التي لم نزل
 بعيدين عنها . اما المساواة في الهيئة الاجتماعية فالعقدة فيها اشد
 وامنع . وان عقدة عقدها الله لا يحلها الا هو . ليعمل كل منا
 عمله باخلاص واتقان . ليعرف كل منا مقامه . ليحاز كل منا عمله
 على اعمالهم بعدل وانصاف . لنكن احراراً بمعنى الكلمة الحقيقي
 فنصبح متساوين فضلاً واباءة في عين الله . — قلت في خطابي في
 زحله كلمة عن الذين يتلبسون بالحرية ويفخرون الناس بانهم من
 الاحرار وذكرت علي سبيل المجاز بيع البصل او بالحري من لا

يعرف كنه الحرية والمساواة واصبح يجتمع اليوم والاحرار
الحقيقيين في ناد واحد . فقام احد الخطباء . يعترض على تحقيري
الشعب وعبثي بعقيدة المساواة المقدسة . وهو لا . الناس يحاولون
تعزير عقيدة لم يعزها الله وما عززتها الطبيعة . فقال كيف لا
يحق لبياع البصل مثلاً ان يكون من الاحرار وكيف لا يحق
له ان يجتمع وسيد الامير في ناد واحد . لا ياسادتي اذا كان ببيع
البصل او الامير نفسه يبيع حريته ببصلة فهو من العبيد الذين
لا يحزرهم الا الله . اذا ظل المرء حراً ما دامت حريته لا تضر
بمصلحته او بمنصبه او بنفوذه فلا الدستور ولا الثورة ولا المصلحون
يستطيعون ان يرفعوا عن نفسه سلاسل العبودية .



(١) الشعب والسياسيون

أيها السادة

ان لهذه المدينة مزية طبيعية جميلة ما رايت مثلها في مدن العالم الكبرى التي زرتها واقت فيها . وهذه المزية المبهجة تظهر في هذا الفصل من السنة في اجمل معانيها فتسير مع النسيم في الليل فتتسنى السائر حفر الاسواق واوحالها . نعم ان اجمل ما في بيروت جنائنها وان نفحات ازهار الجنائن تسكرني وتحزنني معاً . فقد طالما سألت نفسي وانا سائر ليلاً في شوارع المدينة - متى يا ترى تنتشر مثل هذه الروائح الشذية في ادياننا وادياننا واخلاقنا ومبادئ زعماننا ؟ متى يا ترى تصير ارض سوريا صافية كسمائها ؟ متى يا ترى تصير قلوب ابنا سوريا نقية كهوانها ؟ متى يا ترى تصير حكومة هذه البلاد صالحة كانبياؤها ؟ سوالات يطرحها الرجا على اليأس بل النور على الظلمة . سوالات طالما رددتها نفسي فكنت كن يقاب جذوة في الرماد كلما حركتها صغر حجمها فتمسى اخيراً رماداً

سوالات اذا سألها علم العالمين يجملهم يجيب عليها جهل من ادعى العرفان . سوالات اذا سألتها ازهار الحب والتساهل والاخاء نبت حولها شوك التعصب والتزاع والخصومات .

ولكنني لا اياأس من كل ما هو جار اليوم . انا لا اتشام
 باخبار الاستانة المكدره . فان الامة هي كالام ساعة الولادة .
 الامة الجديدة كالطفل تولد بالعذاب والالام .

اعذروني ايها السادة اذا خالفت هذه الليلة رأيي في امر
 الخطابة خلال الفصول . فاني وان قلت بابطال هذه العادة اعلم
 جيداً ان ذلك غير ممكن قبل ان يصير عندنا دار خصوصية
 للاجتماعات العمومية .

واذا كان الخلط بين الخطابة والتمثيل اليوم لازماً فالاشارة
 الى ان الطلاق كافل سلامة الاثين لازمة ايضاً . .
 وبعد هذا الاعتذار ماذا عساني اقول .

ان قلت كلمة في الحالة الحاضرة اخشى ان تظهروا استحسانكم
 باطلاق الرصاص فلذلك لا اقولها . ان الصحافيين كثيرون وكلهم
 في القول يتاجرون . بل كلهم من الاماجد الكرام كما يقول
 انطونبوس في جنازة القيصر . والذي يقوله هو لا . الاحرار
 الافاضل لا يتجاسر ان يقوله هذا الفقير . الذي يقوله المسدس
 والخنجر لا يقوله اليوم القلم والمبر . الذي تقوله الحماسة الوطنية
 لا ترده دائماً الحكمة . الذي يقوله انصار الامة لا يقوله انصار
 الحقيقة . واني اؤكد لكم ايها السادة ان لسان الحال اليوم افصح
 من لسان الاتحاد . ولسان التمهق اطول من لسان الترقى . وبلاء
 بابل في سنتها . ولكن هذه البلبلة لا تدوم . وسينطق غداً

لسان آخر هو لسان القوة والحكمة فيردد صدى كلماته لسان
الحال ولسان الاتحاد ولسان الترقى ولسان التقهر ايضاً . وان غداً
لناظره قريب .

واما الان خربة للانسانية ارى من الواجب ان نلفت
انظار زعماء الفوضيين في اوروبا الى حالتنا المبهجة المفيدة فيبيعوا
بوفد من قبلهم الى بيروت ليتعلموا فيها كيف تكون الفوضى .
ولا بأس بالفوضى اذا علمتنا شيئاً واحداً وهو انه لا يثبت في
العالم والناس الا الانقلاب . لا بأس بالفوضى اذا تعلم الشعب
في مدرستها ان يثقي زعماءه وأسياده . فان الزعماء الذين يغرون
الشعب اليوم على الصحافة حباً بالامة يغرونه غداً على الامة حباً
بالصحافة . عفواً سادتي . قد جاملت من حيث لا اقصد المجاملة
فان الزعماء السياسيين يثيرون خواطر الشعب لا حباً بالصحافة
ولا حباً بالامة بل حباً بانفسهم الكريمة وبمطامعهم السياسية
الشريفة . فاتق ايها الشعب الزعماء ولا تكون في ايديهم آلة صماء .
واتقوا ايها الزعماء الشعب فانكم اذا اغريتموه اليوم على احد
زملائكم يقوم غداً من يغريه عليكم . لا يثبت الا الانقلاب .
اذكروا هذا ايها الثابتون في القلب

وقد قيل ان صوت الله في صوت الجماعات . وكم هو ياترى
عدد العثمانيين الذين لا يقفون مع الواقف ولا يتزلفون الى القوي .
فالشعب اليوم واقف . الشعب اليوم قوي . ولكن الحق يقف

فوق كل واقف . الحق اقوى من كل قوة بشرية .

فاذا قال السياسيون ان صوت الله في صوت الشعب يقولون
ذلك يوم يكون الشعب خادماً ماآربهم السياسية . ويوم ينقلب
الشعب تنقلب ولا شك الآية . يوم تصرخ الجماعات فلتسقط
الصحافة الحرة تقول الحكومة المسؤولة ان هذا لصوت الله . ولا
تكاد تنتهي من تهليلها حتى تصرخ الجماعات فلتسقط الحكومة !
فيقول اذ ذاك الحكام انه لصوت ابليس . والحقيقة ايها السادة ان
ابليس بري . من هذا الشعب وان الله بعيد عنه . الحق يقال ان
صوت الشعب هو صوت ابي براقش لا صوت ابليس ولا
صوت الله . الحق يقال ان ابا براقش هو معبود الشعب
ومعبود السياسيين .

تبارك الشعب وتباركت صبغاته السياسية . تبارك السياسيون
وتباركت نزواتهم الوطنية .



في وصف بيروت

ايها البيروتيون

اقت في هذه البلاد بلادنا ست سنوات ولم استطع قبل
الآن ان اقول في بيروت كلمة حق يرضاها قلب شغف بحب
بلاد ولا ينكرها عقل شغف بحب الحقيقة . نظرت الى هذه
المدينة بعين رأيت مدن اوروبا واميركا فاستصغرتها وندبت حظها
ثم نظرت اليها بعين شاهدة غيرها من مدن سوريا فاحببتها
واكبرت شأنها . وانا الان ناظر اليها بالعينين فاصفها وانصفها .
بيروت ام البلاد السورية وأمة البلاد السورية . اميرة المدن
الاسيوية واجيرة المدن الاسيوية . بيروت حسنة من حسنات
التمدن وآفة من آفاته . بيروت لؤلؤة شرقية في صيغة من
النحاس غربية . هي خلخال في رجل سلطنة المشرق عند الصباح .
واسوار في معصم ربة المغرب عند الغروب . هي درة في احوال
تن فوقها الكهرباء . هي مرجانة على ساحل اختلط تبره برماله
ولجينه باحواله . ساحل النغولة مهد ام المدن السورية وعرشها .
فم الاتون بيروت . وافق النور بيروت . ومطلع الظلمة بيروت .
عروس الحرية هي وعجوز الحرية . يوماً تتهادى تحت علم الوطن
عفة وكبراً ويوماً تتوكان على عصاها كيداً ومكرراً . يوماً تلبس
الرعاة العتاة اكليلاً من الازهار ويوماً تقبل منهم اكليلاً من

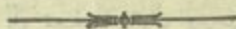
الشوك . تصغر يوماً خدها للظالم وامام سدته تغفر يوماً وجهها .
بيروت منبر الدستور ومشنقته . بيروت حسناء النظام وبيروت
صخبانة القوضى .

مدينة المدن السورية بيروت . منبت الياسمين والقلام .
مغرس الورد والشوكران . القراص فيها يرفع رأسه عزة تحت
ازاهر الليمون . والعليق يسرح ويمرح في ظلال النخيل . مدينة
الدماء . مدينة المدن . مدينة الخلسة والرجاسة . اخت اورشليم .
روحها تنن في الازقة . نفسها تحشرج في المجاري . قلبها يغرد في
البساتين . عينها تدمع في دوائر الحكومة . جسمها يذوب في
الموبقات . وعقلها يدق على سندان التفريق في المدارس . بيروت
احدى وصيفات باريس . هي قرينعكس فيه نور المغرب فيضي .
المشرق وتنعكس فيه ايضاً ظلمة الغرب فتزيد الشرق ظلاماً .
بيروت منبت العلوم ومغرس الخرافات . هي حقل خصب التربة
تررع فيه اوروبا قحها وزوانها ووردها وقلائها . ومع ذلك نراها
سائرة الى الامام ساهرة صابرة . اذا اقبلت سوريا فيبيروت امامها
وان اديرت فيبيروت وراها . اذا كانت اليوم كاذار من السنة
تتراوح في رعدھا وبرقها بين الظلمة والنور غداً تصير كايار بل
كتموز . كايار بازهارها . كتموز بثمارها . اذا كانت اليوم اسيرة
شياطين التفريق تصبح غداً ربة الالفه والاخاء . اذا كانت اليوم
عرش التعصب الديني فهي غداً قبره .

مدينة المدن السورية بيروت واثمها مثل مجدها كلاهما عظيم .
 اذا بكث هاج بكائها بكاء الامة . اذا غردت رددت انغامها
 بلابل حلب وشعارير الشام وحساسين لبنان وحمام الجليل . اذا
 وردت بحيرة الاصلاح » ورد الفرات زهيرها والنيلا » . واذا
 افسدت افسدت بناتها في السواحل وعلى شواطئ العاصي والاولي
 والاردن ووردى . كلمة باطل تنطق بها بيروت تسمي حجة في
 دمشق . كلمة - ق تصدع بها بيروت تروي غليل القرى الظمآنة
 وتبعث في مدن السواحل والسهول روح الجهاد .

ام المدن السورية هي وعجوز المدن السورية . تعلم بناتها
 الفضيلة يوماً ويوماً تعلمهن الرذيلة . تحمل اليهن نوراً وتحمل اليهن
 سماً . اثمها مثل مجدها كلاهما عظيم . واعظم من الاثنين واجب
 فرضه الله على الامة . احسني القدوة يا بيروت يحسن بناتك
 الاقتداء . في المروج والجبال وفي السواحل والسهول بناتك
 يستقين من ينابيع علمك وادبك . من مدارسك من صحافتك
 من منابرک من مطابعك . فصفي مياهاً تسقينها بناتك . اخفري
 السبل . صوفي المناهل . تعهدي المسارب . اقطعي يد كل اثم
 يشتغل اليوم في تمكيرها او تخريبها او تسميمها . اقطعي الايدي
 التي تحمل اليها سرّاً فضول الاديان واوحال التعصب واوساخ
 سخافات الادب والسياسة . طهري ينابيعك . ارحمي بنيك
 وبناتك .

أشهد ان لا نور ولا دخان ولا وحول في سوريا اليوم غير ما
 كان مصدره بيروت . وأشهد ان بيروت وجه سوريا وان
 الهوتنتوتي في هذا الزمان يغسل وجهه . بيروت قلب سوريا .
 والعلم يقضي بان يكون العقل كالقلب والجسم نظيفاً نقياً ولكن
 المدينة التي تدعى درة في تاج آل عثمان هي درة في احوال وغبار
 تن فوقها وتحتها الكهرباء . وتبمس حولها حباب الادباء .
 احوال واقذار وغبار في اسواق المدينة . وفي آدابها وفي
 سياستها وفي اديانها . ودرة العلم ودرة الدين ودرة تاج آل عثمان
 في هذه الاحوال والاقذار غائصات ضائعات . وماذا يزيل الاحوال
 والاقذار والغبار . لا الصحافة ولا قرض البلدية ولا قصائد
 الشعراء ولا كلماتي تريلها . هذه الاقذار من فضول العصر
 والاجيال ولا يزيلها ابدأ سرمداً غير التربية الحقة والتهديب
 الصحيح . تربية اساسها الشجاعة والحمية والصدق والنظافة .
 وتهذيب اساسه النزاهة والامانة والاقدام وحب العدل والوطن .
 متى تأصلت هذه الفضائل في الرعاة وفي الرعية . وفي السائدين
 والمسودين . تصطحج جادات المدينة وتستقيم جادات الادب والدين
 والسياسة . اصلحوا الحياة تصلحوا الحكومة . اصلحوا الحياة
 تصلحوا المدينة .



في لبنان

اخواني . ابناء وطني .

اذا كان في حضوري حفلة هذه الجمعية ما يسركم وفي كلماتي ما يفيدكم فالفضل في ذلك لرسول الجمعية الي . جاني هذا الرسول الاسبوع الماضي فذكرني بعد ان قص قصته بمخبري الجرائد الاميركية . بولئك الشبان الاقوياء الذين يتسقطون حتى من السماء الاخبار . وينالون بغياتهم بالجهد والثبات ولو حالت دونها الاقدار . ورسول الجمعية نال بغيته مني بالجهد والثبات . طلبني في محال عديدة بالمدينة فما وجدني . سأل عني بعض الاصحاب فشبطوا من همته . علم اني ساخط في بيروت خطبتي الاخيرة واتأهب للسفر وما كان ذلك ليوقفه عن سعيه . عرض علي نواجذه وراح وجاء باحثاً طالباً حتى لقيني فحاصرني واستولى على اعجبني من الشاب نشاطه وجدده وثباته . فاحبت ان انوه بها في هذا المقام . وحبذا هذه المزايا الحميدة في شباننا بل في كهولنا وفي نساننا . حبذا العزم في الاعمال . والثبات في الاعمال . والاخلاص في الاعمال . فلا التربية في بيوتنا نحن السوريين ولا التهذيب في مدارسنا يغرس فينا مثل هذه الاخلاق

(١) خطبة القايت في جمعية الاجتهاد الروحي في برمانا لبنان في ١٤ ايار

سنة ١٩١٠

الطيبة • مثل هذا العزم والجد والاقدام • الشاب الذي نوهت
 به من متخرجي الكلية والمزايا التي اعجب بها انما هي من محاسن
 الاخلاق الاميركية • وحبذا لو تخلقنا بمثل هذه الاخلاق فنأخذ
 عن اصحابنا الاميركان والانكليز امثال العزم والجد والاقدام
 ونترك لهم عبادة المال والتكالب في سبيل الاثرا •

فكم من خوار هلوع اذا قامت في وجهه عقبة واحدة يعرض
 عن غرضه ويعود الى خموله خائباً • وكم من رسول لفساد في خلقه
 وضعف في عزيمته يخدع مرسله ويخونه • وكم من مأمور يركب
 الى غايته مطية الغش والتلبيس ريطلي عُقد الامور بالاكاذيب
 ويدور حول العقبات مثل كدش الناعورة فلا هو يذلل العقبات
 ولا هي تعززه • الاخلاص في الاعمال • والامانة في الاعمال •
 والجد والثبات في الاعمال • هذا ما انصح به لاخواني ابناؤنا واطني •
 فالجد يدني كل امر شاسع والجد يفتح كل باب مغلق
 وان من يمد يده الى السماء راغباً عاجزاً جاداً متشوقاً لتدنو
 منه كواكب السماء واقارها •

ولكن الطبيعة تنفر من الاحلاح ونواميسها تكره العجلة •
 وقبلما نرى نحن السوريين ما لا يماكس الطبيعة ونظام الاشياء •
 اذا شاقنا امر طلبناه كالاطفال ضاجين ملحين صارخين صاخبين •
 مئات السنين نريد ان يحشرها الله من اجلنا في مدة صغيرة •
 نريد ان ينير من اجلنا الشمس في الليل والقمر في النهار • نريد

ان يصالح شوؤننا ونحن اماناثون واما صاخبون • ولا الصخب
 وایم الله ولا النوم • لا العویسل والفوضى ولا التلبط والقنوط
 تصلح الشؤون •

الكعكة تريد يابني • اصبر تنلها • واما هذا التلبط منك فلا
 يفيد • وهذا الصراخ لا ينفعك • بمثل هذا الكلام تخاطب الام
 ابنها اللجوج والامة بنيتها • زید في لبنان تهذیباً وحرية وعمراناً •
 زید في لبنان اصلاًحاً • وأیم الله لا زید في لبنان الا الوظائف •
 اقول وحق ما اقول ان بلاد لبنان وفساد حاله لمن مصلحيه •
 مصيبة الجبل اولئك الذين يضربون على وتر الاصلاح حباً
 بالاشتهار • او خدمة لمآرب احد المفسدين الكبار • اولئك
 الذين يصطادون بشبكة التهمويه والتغريز الدينار • بلیة لبنان
 اولئك الذين يزحفون على بيت الدين باسم الدستور فينصبون في
 باب السراي مشنقة الدستور • اولئك الذين يصطبغون بصبغة
 الاحرار واذ يتبوؤون كراسي السيادة يولون للحرية الادبار •
 اولئك الذين يصطبغون بصبغة الماسون يوماً ويوماً بصبغة المارونية
 فلا ماسونيين يعرفون ولا بكر كيين • مصيبة هذا الجبل العزيز
 في امثال اولئك البنائين المحترمين الذين يناهضون الاكليروس
 يوماً ويوماً يتزلفون اليه ليسلبوه النفوذ والسيادة • كنا في الماضي
 نقول ان بلأنا من الاكليروس • واما اليوم فياما احلى
 الاكليروس الى جانب هؤلاء الذوات المصلحين • مسكين

الاكايروس اللبناني ! صرخة واحدة اوقفته . ضربة واحدة اقمده .
 وكاني بالبنانيين والمصلحين يصرخون اليوم في وجهه قائلين :
 اشلح تريح . هذي هي حال الاكايروس اليوم وحال المصلحين .
 بليتنا يا اسيادي من هذه الاحزاب . من هؤلاء الزعماء
 والسياسيين العتق منهم والجدد . وما اكثّر المصلحين فينا وما
 اقل الصالحين . ما اكثر الواعظين وما اقل المتعظين . عودوا الى
 بيوتكم ايها الناس فآلزموها . عودوا الى انفسكم فاصلحوها .
 افسدتم باصلاحكم البلاد . اهلكتم بسياستكم الناس . اقول ولا
 اخشى لومة لائم ان كل ساسة لبنان الموقرين سواء في الضلال
 والفساد . وما اشرنا مرة الى احد معجبين ممن اشتهروا بغير
 الضلال والفساد وكان عند رجائنا فيه . قلنا في هذا الرئيس قولاً
 جميلاً كذبه باعماله . مدحنا الزعماء الوطنيين فحببوا في الطالحين .
 ما كدنا نقول في هذا النائب ما شاء الله حتى اضطرنا ان نقول
 انا لله . كلهم في الفساد والضلال سواء . عودوا الى بيوتكم ايها
 الزعماء الاعزاء . الى حقولكم . الى املاككم . فتمهدوها بالتربية .
 اصلحوها اصلحكم الله . بارت ارض لبنان من اشتغال اصحابها
 عنها بالسياسة . غاضت مياه لبنان من اهمال الغابات فيه
 والاحراج . وسيذهب لبنان ضحية اصلاح المصلحين الذين
 يهملون بيوتهم وعيالهم واملاكهم ليصلحوا حكومة لبنان .
 اقول وحق ما اقول لو سكّت الزعماء والمصلحون العتق

منهم والجند وعادوا الى بيوتهم يحترقون لهم حرفة شريفة
لاصطلحت عاجلاً شوون لبنان السياسية . واما شوون الاجتماعيه
والعمرانية فلا يصلحها غير المدارس الراقية والتربية الحقيقية .
لا يصلح حالنا ادبياً ودينياً غير المدارس الاعدادية العلمانية الوطنية
والتربية الاميركية الحقيقية . اما الاصلاح السياسي فلا ينفع
كثيراً بل لا ينفع قطعاً في مثل احوالنا اليوم . وهاك ما قاله
طومس كرليل في هذا الصدد . انا قارىء ما عربته من سديد
حكمة هذا الفيلسوف العظيم .

« قد قيل مراراً وينبغي ان يقال ايضاً تكراراً ان كل اصلاح
غير الاصلاح الادبي لا يجدي نفعاً . فالاصلاح السياسي مع شدة
الحاجة اليه يحصر فعله في استئصال الاعشاب البرية كالشوكران
القبيح السام والنباتات المشوكة التي يكثر غوها وتقل فائدتها
ولكن الارض وقد اصبحت بعد ذلك بوراً تقبل البذور الكريمة
كما تقبل ما قد يكون اخبث واضر مما استئصل منها . اما الاصلاح
الادبي فهل يتحقق يا ترى رجائنا فيه ان لم يزد يوماً فيوماً عدد
الرجال الصالحين فينا . اولئك الذين ترسلهم العناية الكريمة ليبثوا
روح الصلاح في الناس ليزرعوه كما تزرع الشجرة الحية بذورها .
فالرجل الصالح انما هو قوة سريعة حية مثمرة وكذلك في كل
زمان ومكان يكون . ونفوذها اذا تدبرناه لا يقاس لان اعماله لا
تموت . هي ابدية لانها بنت الابدية . وقد تتحول فتتغير وتنشر

في اشكال جديدة ولكن جوهرها الحي المحي هو واحد . فيا ايها
 الصارخ من خبث الزمان ولوئمه القائل ان ديوجن في يومنا يحتاج
 الى مصباحين في رابعة النهار اعلم ان لا سلطة لك على الزمان .
 وليس لك ان تصلح البشر - ان تنقذ عالماً منغمساً في الغش
 والفجور والنفاق . وانما كتب لك ان تصلح رجلاً واحداً فيه
 واعطيت لذلك قوة عظيمة مطلقة فانقذ هذا الرجل . اصلحه .
 قوم اوده . ان في اهتمامك بنفسك شيئاً بل اشياء تذكر .
 وحياتك واعمالك لا تكون بعدئذ باطلة . »

وكلنا هذا الرجل . وكلنا نستطيع ان نصلحه اذا سعيننا
 وكنا ثابتين في سعيننا صادقين . اما الاصلاح السياسي فهو ينقي
 الارض ويحبسها فقط . والاصلاح الادبي الذاتي يعطينا بذوراً
 صالحة نزرع منها هذه الارض المنتخبة الطيبة . واما اذا حصبناها
 ونقبنها وكانت بذورنا رديئة فاسدة يجي . كل اصلاح سياسي شراً
 من الآخر . وبأسف اخبركم ان ما في جراب بذارنا اليوم غير بذور
 الخنظل والقرقفان والعوسج والقراص . فاذا كانت لنا غيره على
 بلادنا وكان في قلبنا حب لارضنا حقيقي نأبى ان نتعبها ونهلكها
 بالاصلاحات السياسية العقيمة . لنسع في تنقية البذور قبل
 تنقية الارض . اطرحوها الى النار جراب السياسة وما فيه غير
 آسفين وخذوا لكم جراباً جديداً تملاً . ونه من بذور النفس المصلحة
 الجديدة . فقد اعطي كل منا كما قال كرليل قوة عظيمة . مطلقة

ليصلح نفسه وكل منا يستطيع الى ذلك سبيلاً اذا سعى قليلاً .
ونصيحتي لـ اخواني اللبنانيين لابناء وطني المحبوب ان يبتعدوا
عن السياسة ويقتربوا من الحقول . ان فلاحاً في كرمه وراء محراثه
لاشرف من كثيرين من ذوات لبنان . ان صانعاً في معمله لاظهر
ذنباً وازره نفساً من سياسة لبنان . ان حائكاً في نوله لاسلم قلباً
من مصلحي لبنان . - جبالنا المقدسة ! أيجرب بنوك حقول
السكينة فيك ليتلوثوا باوساخ السياسة واوحالها ؟ ايهملون
ارضك فتصير بوراً وغاباتك فتصير صخوراً حجاباً بمنصب في
الحكومة يذل النفس ويفسد الحياة ؟ الى الحقول ايها السياسيون
الى الحقول . بارت اراضي جبالنا من الاهمال . تصخرت غابات
جبالنا من الاهمال . غاضت مياه جبالنا من الاهمال . انشقون
في السياسة اخواني والمحراث ينشدكم نشيد الهناء والحبور ؟
اتمرغون في احوال الوظائف والارض تحن اليكم حنين الام الى
اولادها ؟ استذلون وتستضعفون وتستعبدون في دوائر السياسة
والحقول تدعوكم اليها لتلبسكم تاج الاستقلال ؟ لتعيد اليكم شرف
الرجال . لتمتعكم بحرية الفكر والعمل والمقال ؟ الى الحقول اخواني .
الى الحقول . ليرع كل منا خويصة نفسه ليشغل كل منا عن
اصلاح الناس باصلاح شؤونه . ليتعهد ارضه واملاكه بالحرثة
والتربية فيصطلح عندئذ لبنان . ويصطلح شعب لبنان . وتصلح
حكومة لبنان .

التساهل الديني

فطية

أقيمت في احتفال جمعية الشبان المارونيين

ليلة ٩ شباط سنة ١٩٠٠

في نيويُوك



وطبعت أولاً هناك

تقديم

هذه اول خطبة القيتها في لغتي وقد انتشرت في سوريا ومصر واميركا
وقرظتها الجرائد والمجلات هنا وهناك . لذلك احببت ان ابقي عبارتها على
ما كانت عليه في الطبعة الاولى .

مقدمة الطبعة الاولى

قد طبعت هذه الخطبة لاعتقادي اننا بحاجة كلية الى
التساهل الديني فأمل ان تصادف من المتساهلين استحساناً ومن
المتعصبين قبولاً تكون نتيجة الارتياح والاستحسان على ما
ارجو فيزول اذ ذاك التعصب ويسود التساهل وتبرز بعد ذلك
امتنا السورية الى عالم الوجود قائمة على صخرة لا تقوى عليها
نيران الجحيم .

نيويورك في الشهر الخامس من سنة ١٩٠١

مقدمة الطبعة الثانية

وهذه عشر سنوات مضت والتساهل الديني لا يزال من
الادوية الناجعة . وفي ذلك دليل على ان داء التعصب الدفين لا
يزال متأصلاً في الصدور . وقد قال لي احد كبار الاتحاديين ان
الجمعية تود لو انتشرت هذه الخطبة في كل اقطار المملكة .
فلتكرم الجمعية اذا وترجها الى التركية . ابدلوا « الامة
السورية » في الخطبة بالامة العثمانية ولا تحشوا اللوم والتثريب .
فان عناصر هذه الدولة كلها كالعنصر الذي عاجلته . وان ما نثني
منه نحن المسيحيين لاشد وطأة عند اخواننا المسلمين . أفيسقمننا
التعصب ويجهز علينا التمويه ؟ اتقوا الله ايها الناس . فقد صاح
بكم الاحرار الاصفياء . عودوا الى كتبكم ظناً منهم انكم تعودون الى
الحسن السمح السامي من اياتها . فخاب ظنهم . لذلك اقول ارفعوا
اعلام الوطن ولا تعودوا الى كتبكم في غير المعابد لانكم تعودتم
ان تسرعوا الى ما خط فيها من آيات فتفسرونها بما لا يقتضيه
حالتنا اليوم بل لا يحجزه . عودوا اخواني الى ضميركم . الى وجدانكم .
الى معقولكم . الى حكمة موروثه فيكم . وساعدوا هذه الدولة
الجديدة فتساعدكم . ساعدوها ايها الروس . والاسياد في بث روح
التساهل الديني والجنسي في الناس . وسيف والله يرفع علي شر
من سيف ارفعه على اخوان لي في الوطنية . وشر من الاثنين ايها
العثمانيون سيف يرفع علينا اجمعين . بيروت في ٦ نيسان سنة ١٩١٠

مقدمة الطبعة الثانية

كان يفتخر بـ **وسفر من الاثنين سيف يرفع علينا اجمعين**

(من مقدمة الطبعة الثانية)

والسيف اليوم والأسقاء ! علينا اجمعين . الا ان صاحب السيف غير ذاك الذي حاول منذ خمس عشرة سنة تركتنا واستعبادنا . صاحب السيف مهما كان من المرء اليوم ، وكيل مسؤول - مسؤول امام شرف في تقاليده . ومحمد في تاريخه . ونور في آدابه . وضيق في عهده . ومع ذلك فهو لا يساعدنا اذا كنا لا تساعد انفسنا . او لا نحن التعاون .

والتعاون لا يكون بغير سيف بتار نستله على التعصب الخبيث الدم . التعصب القبيح الاثم . بل على التعصبات كلها جمعا . - على التعصب الديني الكافر . والتعصب المذهبي الفاجر . والتعصب الجنسي الخوون . والتعصب الطائفي المعلن . وان سيقا على هذه المآثم كلها هو آية الحق . والعدل . والاخاء .

اقول . وحقا ما اقول . ان الخلاص في يدينا . ان الخلاص في التساهل الديني . وفي الاتحاد الوطني المبني على الاشتراك بالصلحة والاشترك بالروية . اقول . وحقا ما اقول . ان في اتحادنا صالح واعى الانتداب وحالنا . اجل ان الاتحاد الوطني المجود عن كل صبغة مذهبية او طائفية ليحمل فرنسا على احترامنا واحترام مطالبنا . فتقدم اذ ذلك وتستفيد . وتؤيد فوق ذلك تلك المبادئ السياسية السامية التي رفعتها يوما الى امم الارض جمعا .

الفرصة في ٣١ ايار سنة ١٩٢٣

امين الربحاني

١٩٢١ . تحت راية ٢٠٠٠ . نيعبوا لنيلك وفيدت

التساهل الديني

أيها السادات والسادة

لما علم بعض اصدقائي باني انتقيت موضوعاً دينياً اقبله على
 مسامعكم في هذه الليلة الخافتة انتشر الخبر في جاليتنا السورية
 واخذ كل رجل يبني عليه العلامي والقصور ويستخرج النتائج
 ويقدر العواقب ويفسر الموضوع بحسب مبلغ ذوقه وادراكه وهواه
 وقد اتفق هؤلاء المفسرون في شيء واحد وهو اني سأعرض
 للدين تعرضاً خبيثاً وهم ينوون توقيفي عن الخطابة لانهم لان
 لم يألفوا حرية القول والانتقاد فعسى ان يصادفوا الفشل وخيبة
 الامل لانهم حكموا علي قبل ان يسمعوا كلامي ويتدبروا
 براهيني وهذا شيء يناقض الشريعة والعدل ويأباه الراي المستقيم
 والذوق السليم فالقاضي الذي يحكم على مجرم بالقتل قبل ان يسمع
 دفاعه يكون ظالماً مجرماً جاهلاً . فلا تحكموا قبل ان تسمعوا
 ولا تقصدوا الشر قبل ان تتبينوا شراً اكبر يستوجبه . وقد يظن
 البعض ان البحث في الامور الدينية متعلق بروساء الاديان فقط
 ومحرم على سواهم وهذا عين الضلال والغلط فالمرء لا يدرى مساوئ
 ولا ينتقد الحرفة التي يتوقف عليها معاشه . وروساء الاديان لا
 يتكلمون عن الدين شيئاً مشيناً ومضراً به على مسامع الشعب
 ولو لم يكن منافياً للعدل والاصلاح بل كل مباحثهم الفلسفية

وكل اقوالهم العلمية هي مستنتجة من مقدمة تسبق كل بحث
وكل تنقيب يطبعونها في جنانهم قبل ان يقدموا على الكتابة
والجدال وهي هذه . الدين تأييده واجب وتعزيزه اوجب واذا
افسده الزمان ولوى فيه الالسنه بعض رؤساء الاديان فلا يعلن
الفساد للشعب فاذا كانت المقدمة على هذا المنوال فهل يرجى منهم
انتقاد جهري يكشف للعلمانيين ما لا يظنونه موجوداً . ان ذلك
لا يكون فالرؤساء لا يرجى منهم اصلاح جهاري في الدين اذ
ان ذلك يضر بمصالحهم ويضعف سلطتهم ويسقط سياحتهم . واذا
سألتهموني لماذا تبحت وتتكلم في الدين وانت لست من رجاله
فاجيبكم كما اجاب روسو الفيلسوف الافرنسي الشهير لما سئل
عن تعرضه للبحث في السياسة وهو ليس اميراً ولا حاكماً قال :
انا لست اميراً ولا حاكماً ولكنني من اجل هذا كتبت فاني لو
كنت اميراً او حاكماً لما اضعت الزمان بكتابة ما ينبغي ان افعل
بل كنت افعله والزم السكوت . وانا لست قسيساً او مطراناً
ومن اجل هذا اخطب بموضوع ديني فلو كنت قسيساً او مطراناً
لاصلحت وحسنت واستغفيت عن الخطابة ولزمت السكوت
فالبحث في اي موضوع كان محرم على الحيوانات العجم فقط اما
الناطقه العاقله فمن حقوقها ان تحوض عباب اي موضوع شئت
ولكن الذي اوقعني في مثل بحر من الاضطراب هو الطلب
الذي طلبته مني عمدة هذه الجمعية (جمعية الشبان المارونيين)

كي اعدل عن الخطابة بهذا الموضوع تجنباً للشر وهرباً من العواقب
الوخيمة حسب زعمهم ولعمري لا ينجم عن البحث والتفتيش
المصحوبين بالمعرفة والحكمة الا كل شي . مستحسن ومفيد .
البحث ام الحقيقة . ماذا افعل اذن . أأرمي نفسي في بحر البحث
والتنقيب ام اسلم تسليماً غير شرطي دون ان انبس ببنت شفة .
من وجه لا اريد ان اخون ضميري واعود نفسي التردد فالشاعر
يقول :

إذا كنت ذا رأي فكن فيه مقدماً

فان فساد الرأي ان تترددا

ومن وجه آخر اود لو راعيت خواطر اعضاء الجمعية التي
انا عضو منها واجبت سوئهم . فان تكلمت استأوا وان لم اتكلم
استأوت الحقيقة وهذه هي الورطة التي وقع بها ذاك الخطيب
المفوه اسكندر افندي العازار لما تكلم عن « الجرائد وجراندنا »
في مدينة بيروت فاخذ في البدء يسرد تاريخ الجرائد مبتدئاً بالصين
ومنتهاً في اوربا ووقف يتبصر لما اتصل به البحث الى جرائدنا
وحالتها في تلك المدينة . والموقف يستوجب كثرة التبصر اذ
كانت تلك القاعة غاصة برجال الحكومة واصحاب الجرائد ونخبة
الجواسيس وكلهم كانوا واقفين للخطيب بالمرصاد يتوقعون منه
كلمة واحدة ضد الجرائد او المكتويجي ليشوا به ويسعوا بتوقيفه
وحبسه فبعد ان تبصر قليلاً قال : جرائدنا . . . احسن صبغة

للشعر عند عيد عون . . جرائدنا . . . احسن دواء لوجع الرأس
 عند ابي نحول . جرائدنا . . . جرائدنا . . . فنهض احد اصحاب
 الجرائد في ذاك الشغل وقال له « ما معنالك لم لا تتكلم » فاسكتته
 الخطيب اذ قال :

« الله يضيق على من يضيق »

اما نحن فلسنا في بيروت الآن وللسنا محاطين بالوالي
 والمكتوبجي والجواسيس ولا توجد فوق رؤوسنا ايدي رجال
 حكومة ظالمة جائزة مستبدة من شأنها الضغط على العقول
 وتوقيف كل من نطق بالحقيقة وصرح عن افكاره بحرية واخلاص .
 نحن في بلاد طرحت فنمت في ربوعها بزور الحرية منذ نشأتها نحن
 في جمهورية عظيمة يحق لكل من وطئ اراضيها المباركة ان
 يتكلم بحرية تامة بشرط ان لا يمس حرية غيره . وهذه الحكومة
 العادلة قد كفلت لشعبها الحرية بجميع انواعها كحرية الاديان
 وحرية الصحافة وحرية الخطابة وحرية التعليم وحرية العمل ولعمر
 الحق هذا اكبر باعث لتقدمها السريع ونشأتها الغربية . فما لنا اذا
 ومراعاة الخواطر عند البحث عما يعود باكبر الفوائد على السوريين
 في بلادهم وفي المهاجر . . . موضوعي التساهل الديني اتريدون
 ان اتكلم (بقاء الجواب من الجمهور اخطب ! تكلم !)
 أأتكلم ؟

تكلم . تكلم تكلم !

سأتكلم اذاً وعلى الله الاتكال .

موضوعي في هذه الليلة الحافلة مشعب الاطراف جليل
الشان جزيل الفوائد ذو اهمية تأثيرها في المجتمع الانساني لا
يقاس ولا يحدد . هو الموضوع الذي انقسمت عليه الرجال في
الاعصار الغائرة المتوسطة حين كان يدافع عنه كل المدافعة العلماء
والفلاسفة والاحرار ومحبو البشر الابرار ويعارضهم كل المعارضة
الروساء والامراء والملوك وكل من فضل قطعة معدن تدعى
خطاء تلجأ على ذلك الشي الخفي السري الالهي الذي يسمى ضميراً
(تعريف للتساهل)

التساهل هو التسامح بوجود ما لا يستصوب بتمامه ^(١) وهذا

(١) كل عقيدة وكل مذهب وكل تعليم لا تعتبر صحته عند جميع الناس
والشعوب فهو غير مستصوب بتمامه وان كان صواباً . الدبابة المسيحية مثلاً هي غير
مستصوبة بتمامها ليس عند الشعوب الغير المسيحيين فقط بل عند المسيحيين انفسهم
فالمسيحي البروتستاني لا يستصوب المذهب الكاثوليكي بتمامه والعكس بالعكس وذات
الحالة تغتور الشيع البروتستانية العديدة . والدين الاسلامي هو غير مستصوب بتمامه
عند كل اناس حتى عند المسلمين نفوسهم فان منهم الشيعيين والسنيين والصوفييين
والمعتزلة والمجسنيين وغيرهم من الشيع المتعددة . وكل من هذه الشيع لا تصطلح
تعاليم الاخرى بتماما . ولا يستصوب بتمامه الا الحقائق الراجحة التي لا ينكر صحتها
احد على الارض وهي ما كانت من طوق ادراك العقل لها فناموس الجاذبية مثلاً هو
مستصوب بتمامه عند كل من يعرفه واثنان واثنتان تسليوي اربعة لا ينكر احد صحتها
ولا يوجد رجل على البسطة له مسكة من العقل يقول لك $2+2=3$ ولو قلنا : الخطان
التساويان لا يتحدان . هما ادت مذهباً فهو تعليم يقر بصحة كل من درس الهندسة او
تروى قليلاً في القصة . اهـ هي الحقائق الراجحة . حقائق رياضية قاطعة لا ينكرها
احد وهي تستصوب بتمامها . والشيء الذي يستصوب بتمامه لا لزوم للتساهل به لان
كل الناس تألف وتتفق بخصوصه .

تحديد كلي اما الجزئي فهو اجازة العقائد الدينية والطقوس الطائفية
التي تخالف الطقوس والعقائد المختصة بالدولة . وهذا تحديد لا
يطابق حالتنا ولا يوافق الظروف الحاضرة . فاليكم اذا بتحديد
يأتي بالمراد : التساهل الديني هو الاعتبار والاحترام الواجب علينا
اظهارها نحو المذاهب المتمسك بها ابناء جنسنا ولو كانت هذه
المذاهب مناقضة لمذاهبنا وتقاليدها وطقوسنا على خط مستقيم
يجب علينا ان لا نمكن ما لا يستصوب بتمامه من ان يفرق
بيننا ويشتت شملنا ويقسمنا على انفسنا

التساهل لا يكون في الامور الدينية فقط بل في كل المسائل
التي تطرأ على عقول البشر ويعمل بها الكبار والصغار عدا ما
يستصوب بتمامه . ولا نستطيع ان ندخل هذا الباب دون ان
نطرق باباً اخر . فالتساهل نجم عن التعصب وهاتان الكلمتان
ضدان وهما ثانوية من ثانويات الطبيعة كالنور والظلمة والفضيلة
والرذيلة والخير والشر والعدل والظلم . فلولا ذلك لما كان هذا .
لولا الاول لما كان الثاني . فالتعصب اذاً ولد التساهل والتساهل
ولد السلام والسلام ولد النجاح والنجاح ولد السعادة مثلما ابراهيم
ولد اسحق واسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا واخوته .
فالسلسلة واحدة لكن الترتي يأخذ مجراه حسب سنة النشوء والارتقاء .
والتعصب يسبق في كل الاحوال ليستوجب التساهل لان القضب
المستقيم يكون تقويمه اعوجاجاً .

ولكي يكون الشيء صريحاً والبرهان جلياً اجعل لكم تشبيهاً ثانياً
التساهل هو الابن والتعصب هو الاب ولحسن الطالع لم يوجد في
العائلة البشرية برمتها اب وابن لم يتفقا ويتواليا في زمانهما قط الا
هذين الاثنين فالاب التعصب يكره الابن التساهل والابن لا
يستطيع ان ينظر الاب فاستعرت بينهما نيران الفتن وحمي
وطيس القتال في الاجيال المتوسطة التي يدعوها المؤرخون
الاجيال المظلمة وكان الفوز احياناً لهذا واحياناً لذلك حتى دخل
المتحاربون القرن التاسع عشر فاخذ الابن يفوز على الاب . اخذ
التساهل ينتصر على التعصب واخيراً شق قلبه بخنجر العدل وفراه
بسيف الرحمة . مات التعصب ولكن والأسفاه كان موته الى حين
اي ان روحه عند خروجها من جسمه الديني تقنصت بقوتها
الاصلية بالجسم السياسي . خرجت من الجسم البشري ودخلت
الجسم الحيواني عوضاً عن التعصب الديني الذي سود صفحات
التاريخ في الاجيال الغابرة قد ابتلينا بايامنا هذه بتعصب سياسي
او دولي اذا شئتم لم نزل له مثيلاً في تاريخ العالم بأسره . فها هذه
الحروب التي تشهرها الدول الاوروبية على الشعوب الحقيرة
والقبائل الضعيفة الصغيرة الان نتيجة التعصب الدولي نتيجة
الفكر الفاسد الذي تتمسك به الدول وتعمل بموجبه فانكثرت
تعتقد نفسها اصلح من فرنسا وفرنسا ارفع واعظم من جرمانيا
وجرمانيا اقوى واحسن من الاثنين الخ واذا راقبنا حركات الدول

واطلعنا على اسرارها ودرسنا سياستها وكشفنا الحجاب عن
 خفاياها وتأملنا الحروب العديدة التي تهدم هيكل المجتمع
 الانساني وقفنا حيارى نسأل انفسنا هذا السؤال المضحك ونحن
 من الجيل التاسع عشر جيل التمدن والنور جيل المبادي
 الديموقراطية والاشتراكية والرحمة المسيحية ام نحن على باب القرن
 العشرين . اجل نحن من الجيل التاسع عشر . . . قبل المسيح وليس
 بعده . وقد تميز هذا الجيل بالتعصب الدولي ولذلك دعوت خطائي
 التساهل الديني الناتج عن التعصب الديني لا يميزه عن التساهل
 السياسي . اما المبدأ الاساسي لهما فهو واحد ولا يتغير منه سوى
 التكوين الخارج والاحوال الظاهرة .

ثم التساهل يكون اما من الدولة واما من الشعب واما ان
 يكون طوعاً واختياراً واما كرهاً وجبراً . اما التساهل الدولي
 الديني فهو يشمل الان الدول الاوروبية بمعاملاتها بعضها مع بعض
 ولكنه لا يشمل الشعوب التي يدعوها الاوروبيون متوحشة
 فالدول لا تتساهل مع هؤلاء المساكين الضعفاء بل يتساهل بعضها
 مع بعض لانها تضطر الى ذلك وليس جباراً بالمبدأ الشريف فكثيراً
 ما تراها تشهر الحروب على القبائل الضعيفة وتدعوها حروب
 الانجيل وذلك لكي يعتنق " البرابرة " الدين المسيحي كرهاً وجبراً .
 وهذا هو التعصب الدولي الديني هذي هي الاضطرابات التي كانت
 تمارسها الدول الاوروبية المسيحية بعضها ضد بعض والآن تمارسها

أولاً
 ثانياً
 ثالثاً

ضد « البرابرة » كما ترعم والبرابرة قوم يشعرون ويتألمون مثلنا .
 هذه هي حروب شارلمان واضطهادات الملكة حنة الانكليزية
 والملك كارلوس الافرنسي . هذه هي مذبحة ليلة القديس برتلماوس
 فعوضاً عن حدوثها في باريز وفي الجيل السابع عشر تحدث الان
 في صحارى افريقيا وفيافي آسية وتلول السودان وفي اخر الجيل
 التاسع عشر . ياللعار وياللسنار ! عبثاً يكتب العلماء ويندد
 المصلحون ويبحث الفلاسفة . عبثاً اتى السيد المسيح الى الارض
 لمثل هؤلاء الاقوام

٦٨
 اما الدول المسيحية بمعاملاتها بعضها مع بعض فلسنا
 نرى للتعصب الديني اثر بينها فصار الكاثوليكيون بأمن
 وسلام في الجزائر البريطانية والبروتستانتون يأمنون على انفسهم
 في اسبانيا وفرنسا وايطاليا واليهود لا خوف عليهم من الاخطار
 والطرد في اي بلاد حلوها ما عدا الروسية وصرنا نرى في مجالس
 الامراء الانكليزية اللوردة والنواب الكاثوليكين واليهود . وفي
 الدولة العثمانية نرى الموظفين على اختلاف نحلهم ومذاهبهم من
 المسلمين والمسيحيين والدروز . فالتساهل اذاً في الدولة موجود
 غير انه بين الملل والشعوب المختلفة مفقود . لان الكاثوليكين
 في هذه البلاد الحرة كطائفة لا يحبون البروتستانتين والبروتستانتون
 يكرهون الكاثوليكين وقس على ذلك في كل الامم لاسيما في
 الامة السورية فلو كان بوسعنا نحن السوريين كلنا لاضطهد بعضنا

بعضاً وشهرنا على بعضنا الحروب الدموية ولكن الدولة لا تساعدنا على الاضطهاد الديني وروءساء الاديان لا يستطيعون ذلك وحدهم ولو استطاعوا لا يترددون .

عندنا نحن شي . اقبح من الاضطهاد واضر من الحروب . عندنا السياسة السرية والايدي الخفية والاعمال الباطنة الشيطانية فكل هذه المنكرات تشير الى غرض واحد وهي اكبر باعث على ابتعادنا وانقسامنا بعضنا على بعض ومعاداة بعضنا لبعض . فالسياسة الخفية هذه اقبح من الاضطهاد لاننا بالاضطهاد نستأصل دابر من خالفنا بالمذهب فلا يبقى لنا معاند مقاخر ولا عدو مكابر ولكن السياسة السرية تفسد القلوب وتقتل في الانسان كل عاطفة شريفة . السياسة هذه هي الجبن والضعف واللوم والخيانة والغش والنفاق والايدي التي لا تظهر مخالفا الا في الظلمة الكالحة يدعو عليها بالكسر كل حر صادق وكل شجاع . هذه سياسة سيئة غايتها ووخيمة عاقبتها وابناء امة واحدة يبقون بسببها منقسمين . منفردين عاجزين عن العمل مشمولين بالحمول ومكتنفين بالجلل فيتسلط عليهم شعب آخر او امة غريبة فيبقون اذلاء جبناء الى ما شاء الله . هذه سياسة لا طائل تحتها ولا نجاح وراؤها بل ان صاحبها يلقي الفشل ويبتلى بخيبة الامل قبل ان تمتد نيران فتنه فتفضي بالامة الى البوار ايها السوريون نحن امة لا يتجاوز عددها ثلاثة ملايين نفساً

منهم مليون متشتت في اقطار المعمور الأربعة فاذا وجد فينا خمسة عشر حزباً او ملة فاذا ياترى تكون عاقبة شقائنا وانقسامنا الا يكفيننا الضعف الذي يشملنا بكوننا امة صغيرة حقيرة حتى نبتلى ايضاً بضعف الانقسام وماذا تكون قوة كل حزب او كل طائفة اذا شرعت تعمل عملاً خطيراً يستغرق الوقت الطويل والسهر والكد والاجتهاد ويستوجب تضحية المال والنفوس وخيرات البلاد .

اي عمل قامت به هذه الطوائف الصغيرة وكانت فوائده اكثر من اضراره ؟

فلو كان عددنا مائة مليون لما ضرنا انقسام الاحزاب الى عشرين حزباً ولا خمسة عشر طائفة فعندئذ يكون الحزب قوياً واذا شرع يعمل عملاً او ينهض نهضة سياسية او ادبية كلها بالفوز والظفر . هذه الامة الاميريكية يبلغ عدد سكانها ما ينيف على الثمانين مليوناً ومع ذلك لازى فيها اكثر من خمسة احزاب سياسية واما الطوائف الدينية فكثيرة ولكن لا قوة ولا ذكر لها في الامور السياسية والوطنية والمدنية . قد سلبت منها سلطتها او بالحري قتلت بيدها ولذلك هي ضعيفة ذليلة . قد قالت الحكومة الجمهورية لهذه الطوائف الدينية ما معناه : لكل دين حق البقاء . ولا حق لدين ان يبيد ديناً آخر بالقوة الوحشية .

لكل دين حق البقاء ! افتكروا في ذلك وابقوا هذه الالية في حافظتكم . ودولتنا العثمانية تنهج نفس المنهج فالمسلمون يتساهلون مع النصارى ويسمحون لهم بممارسة دينهم حسب طقوسهم وتقاليدهم ولما كان الانسان يجتهد ليستفيد من كل شي . استنتجت الدول ولاسيما الدولة العثمانية نتيجة حسنة تأول الى سياستها بالراحة تعويضاً عن لذة الاضطهاد الوحشية ففدا التساهل ضرباً من السياسة الدولية بواسطتها تستميل الدولة الرؤساء والرؤساء قادة الشعب وسادته فتصبح البلاد بواسطة هذه السياسة براحة وطاعة - راحة لا تشكر ولا تراد وطاعة لا تحمد ولا تحقد . اني افضل الاضطراب والعذاب على هذه الراحة اني افضل الثورة على هذه الراحة المحقونة . راحة الذل والحمول راحة الجبل والعبودية .

وكانت قد اتخذت هذه الخطة الدولة الرومانية التي كانت تتساهل بوجود الاديان في الاجيال الاولى للمسيح . وقد وصف هذا التساهل المؤرخ الشهير غِبْنُ بَكْلَامَ وجيز مفيد فصيح قال : « ان انواع العبادات على اختلافها كانت سائدة في العالم الروماني وكان الشعب يعتقدونها كلها صحيحة والفلاسفة يعتقدونها كلها خرافية والحكام رأوها كلها نافعة مفيدة » . هذا كلام فيلسوف ومؤرخ مدقق . افتكروا به . وهكذا انتشر التساهل وجلب على الشعب ليس فقط السلام والراحة بل

الاختلاف الديني والجامعة المدنية فالحاكم هنا رأى في الديانات المختلفة شيئاً مفيداً وقال في نفسه فلندعهم يختلفون ما دام اختلافهم يسبب غبطتنا وسعادتنا ويؤيد سلطتنا ويعظم شوكتنا ويرفع مجدنا .

والدولة العثمانية تتساهل مع النصارى كي تبقئهم اذلاً .
شاكرين ولرؤسائهم مطيعين ولسلطتها خاضعين !

قد برهنت لكم كيف الدولة تتساهل مع النصارى ولا اظن احداً منكم يشك في تساهل المسلمين معنا ولكن عجباً كيف ان النصارى لا يتساهلون بعضهم مع بعض . الا جانب يتساهلون معنا ونحن لا نتساهل مع اخواننا في الوطن الواحد ولا نواري اختلافاتنا عند مصلحة امتنا ولا نتناسى صفائنا عند محبة وطننا ونجاحه ولربما قال بعض اللاهوتيين : كيف نتساهل مع من لا صحة لدينهم ولا حق في معتقدهم فاقول : ان التساهل مبني على التناقض والخلاف في صحة من ادعى الصحة وبوحي من ادعى الوحي ولو لم يكن ذلك لما تساهلت الحكومة مع الطوائف المخالفة لمذهبها لان الغاية القصوى من غايات الحكومة المتعددة هي ان تحامي عن كل مبدأ صحيح وتكفل لكل رجل حرية القول والفعل اذا لم تمس حرية غيره . فلو تأكدت الحكومة ان الدين الفلاني هو الدين الصحيح لما كانت تساهلت مع بقية الاديان ولا اجازت ممارسة دين يخالف هذا الدين الصحيح الا

لغاية سياسية كما ذكرت ولكن لما كان الخلاف سائداً والتناقض
شائعاً والحكومة المدنية تهتم بسياسة تنافق و كل من رؤساء الأديان
يدعي صحة دينه ضاع صواب الشاعر في ضوضاء أقوالهم فانشد
قائلاً :

” في اللاذقية ضجة ما بين احمد والمسيح
هذا بناقوس يدق وذا بمأذنة يصيح
كل يعظم دينه ياليت شعري ما الصحيح“
الله لا يفضل امة على امة ولا طائفة على طائفة الله لم يصطف
له في الارض شعباً خاصاً من حيث انه ذرية لها حق الانتماء الى
اختيار الله لها دون غيرها وما يقرأ في التوراة من تفضيل الاسرائيليين
على غيرهم فلكون عبادة الاصنام والمنحوتات وسائر المخلوقات
هي من خرافات الدين فلو تركها قوم من المغضوب عليهم كما في التوراة
وساروا بحسب الناموس الطبيعي لكانوا كالا سرائيليين الذين استلموا
الوصايا اذ الوصايا العشر كلها طبيعية يفهم ضرورتها العقل المتنور
ويغلط من يفهم اختيار الله للاسرائيليين انه اختارهم ليعضدهم
ويهددهم دون غيرهم فلو كان هذا هو المفهوم لبقيت عجائبه فيهم
بعد مجي المسيح ايضاً . ولكن عدل الله ارفع من ان يحصر
خلاصه بذرية دون غيرها ولذلك قال في الانجيل الطاهر اذهبوا
وبشروا كل الامم . ان من سار حسب الشرائع الطبيعية فعمل
الخير وابتعد عن الشر كما يرشده عقله ولم يتوصل الى معرفة الدين

الحقيقي فانه لا يهلك لان الله رؤوف ورأفته لا منتهى لها ولذلك
اقول مع محمد (صلعم) ما الناس الا امة واحدة . هذه آية منزلة
وهي عين الحكمة التي اوحاها الله لاوليائه . ما الناس إلا امة
واحدة . افكروا فيها . انها لا آية فلسفية سامية وما الدين
التوحيدي الا دين واحد فكلنا نتجد بالرب و كلنا نعبد الهاً واحداً
قلت ان الساهل مبني على الخلاف وادعاء الحق للذين قد
يكونان اوصالا الشبطين انى الشك في كل شي . فقالوا عن كل
امر « لا ندري » وهم السالادرية المسخور بهم لانهم يقولون لا
ندري عما هو حقيقة مدركة لا لانهم يقرون بقصورهم عن ادراك
مسائل شتى وحقائق فوق العقل ففي مثل هذه الحال تفتخر العلماء
والحكما . بقولهم لا ندري جواباً عن المسائل التي تفوق مداركهم
والكنوه الالهية التي يعجز عن تحديدها العقل البشري . فلم
نتعصب ولم نستبد ما دمنا نتذبذب من ضعفنا عن البحث في
امور دينية كثيرة لم يصل العقل اليها . من قال لا ادري جواباً
عن مسألة لا علم له بها فقد برهن عن صحة عقله . وسلامة ذوقه .
وحسن رأيه . وعمق حكمته . وثاقب فطنته .

وقول القائل لا ادري كما قال العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي
خير من ان يقال له اخطأت وقد عد ذلك من جملة ماثر ذوي العلم
وادلة كماله فيهم حتى ان السيوطي عقد باباً في كتاب من
مؤلفاته في من سئل من العلماء عن شي . وقال لا ادري فذكر

عدة من مشاهيرهم كالاصمعي وابن دريد والافخش وابي حاتم وغيرهم من اهل هذه الطبقة . قال الزعفراني : كنت يوماً بحضرة ابي العباس الثعلب فسئل عن شي . فقال لا ادري فقال له بعض من حضر اتقول لا ادري واليك تضرب كبار الابل واليك الرحلة من كل بلد ؟ فقال : لو كان لأمك تمر بقدر لا ادري لاستغنت . وسئل الشعبي عن مسألة فقال : لا ادري . فقيل له : فبأي شي تأخذ رزق السلطان ؟ فقال : لا قول فيما لا ادري لا ادري . ويقرب من ذلك ما حكاه بعض علماء العصر من الفرنسيين قال : ان احدى خواتين الاشراف تصدت يوماً لاحد مشاهير العلماء في مجلس حافل فقالت له : أمطر يكون بعد الهلال ام صحو ؟ فقال لا ادري . قالت اذا ما علة اتصال الغيث في هذا العام ؟ قال : هذا مما لا نعلمه . قالت : اتظان سكان المشتري يكونون على خلقنا ؟ قال ايها السيدة اني لا اعلم شيئاً عن ذلك . قالت : يا عجباً فلم يتبجر المرء في العلم اذا ؟ قال ليقول احياناً انني لا اعلم شيئاً .

فلنتساهل اذا في الدين اذ اننا لاندري والذي يدعي المعرفة هو هو الذي لا يدري بانه لا يدري بل يخبط في الامور خبط عشواء . فليبق كل على دينه اذا دله عقله على صحته بعد التنور الكافي والترفع عن الالهواء ولا ينتظرن احد رؤية دين غير مستصوب بتمامه كما يرى الحقائق الرياضية والعلمية مثلاً مما هو

مستصوب بتمامه .

ولتجمعنا الوطنية اذا فرقنا الدين والله لا يريد التفريق

لا تأخذوا كلامي على غير مأخذه ولا تحملوه على غير محمله
وتقذفوا عليّ لحق ظاهر بكلمة باطلة فتقولوا وا أسفاه على من لا
يعرف الدين الصحيح فان قلتم ذلك فانا انشد معكم قائلاً اسفأ على
العالم بأسره ما اكثر الضلال فيه . واصفوا اذا شتم لاقص عليكم
رويا رأيتها ذات ليلة وكنت قبل ذهابي الى الفراش اترصد النجوم
والكواكب واستطلع طلعة البدر تحدجني السماء بعينها الزرقاء
واتأمل في ما رصعتها به يد القدير من الدراري الزاهرة كالمصابيح
الباهرة . حدث لي ذلك لما كنت في جبل لبنان الجبل العزيز
الذي كثرت فيه الخرافات وتعددت بين سكانه البسطاء المذاهب
والديانات . الجبل الذي ترى في اكثر جهاته الشمامسة والكنائس
والأديار والقلانس . الجبل الذي ابتزت خيراته الكثيرة رؤساء
الدين والدنيا وضاعت بين كيس هذا وجراب ذاك . وملكت
ارزاقه الرهبانيات العديدة الوطنية والاجنبية وفي مقدمتها
الرهبانية اليسوعية .

كنت في تلك الليلة اتأمل في الكواكب والبدر والثريا
ودرب التبان التي تدعى ايضاً نهر المجرة وقد شبهتها بدرب
التساهل على الارض لانها بيضاء نقية تسري بها النجوم في
مناطقها لا تلتطم فهن موتلفات مفترقات لا تتساقط منها الشهب

ولا تتنافر اجرامها في دورانها .

فلكثر تأملي في الخالق والعزة الالهية في تلك الليلة البهية
 حلمت بانني **(صعدت الى السماء حياً في مركبة من نار)** - ولما
 دخلت تلك الجنة الالهية التي يعجز عن وصفها بيان الانسان
 رأيت هناك عرشاً مرتفعاً عظيماً يأخذ بالابصار لشدة تألقه ولمعانه .
 ورأيت امام ذلك العرش اربعة رجال منتصبين ممتثلين امام الديان
 العظيم كل منهم يرشق الآخر بنظرة الغضب والبغض فسألت
 احد الملائكة عنهم فاجابني قائلاً :

ان هؤلاء هم ممثلوا اديان العالم في السماء فهذا سفير المسيحية .
 وذاك سفير الاسلام . وهذا سفير البوذية . وذاك سفير اليهودية .
 فقلت : وماذا يبتغون من العزة الالهية ؟ فقال : قد اقلقوا راحة
 الملائكة وسكان هذه الديار بخصوصياتهم واختلافاتهم المتواصلة
 وجاؤوا الان يستغيثون رب السماوات والارض . وبعد ان
 تشاغبوا وتشاكسوا واوشك ان يفضي بهم الامر الى القتال وكل
 يتهم الآخر بالكذب والبهتان نظر الديان العظيم اليهم برأفة
 وحنان وقال : كلكم يا بنياتي صادقون - كلكم صادقون .

قلت في بدء خطابي يجب علينا ان لا نجيز ما لا يستصوب
 بتمامه ان يفرق بيننا ويشتت شملنا ويقسمنا على انفسنا كوننا
 امة ضعيفة صغيرة نحتاج الى التناصر والتعاون غاية الاحتياج ولم
 اقل ذلك الا بعد ان رأيت كيف اخذ الدين منا كل مأخذ فنخلطه

بكل اشغالنا ونتخذ حجة بكل اعمالنا فالتجارة عندنا تجارة دينية والجمعيات جمعيات دينية والنزل (اللوكندات) نزل دينية والبقال بقال ديني وقس على ذلك وهذا الذي يبعثنا على الانقسام الذي يسببه التعصب الديني الذميم .

فلنتأس الديانة في التجارة ولننبذ التجارة في الاجتماعات السياسية والادبية ولنسجد لرَبنا ولنمجده (اذا كان لنا رب غير المال) مفترقين في المعابد والكنائس فقط اذ انها شيدت لهذه الغاية واني لاعجب من التناقض الذي يخالط اعمالنا وعقائدنا فمن وجه نقول ان الدين هبط من وراء الغيوم وهو مقدس ومن وجه آخر نستخدم الدين لتنفيذ ما رَبنَا الدنيئة فنسلب منه القداسة ونترع عنه الاحترام بادخالنا اياه الدوائر المدنية من تجارية وسياسية وادبية .

هل اوحى الدين ليقينا من الفاقة ويكفل لنا المسرة واللذة في هذا العالم ؟

هل اوحى الدين لنتخذ عضداً لنا بتحقيق امانينا الدنيئة وابتغاء الاشياء الزمنية التي لا حد لها ؟

هل اوحى الدين ليساعدنا على الجشع والطمع والتعامل على ابناء جنسنا والازدراء بهم ؟

هل اوحى الدين ليكون سبباً اولاً للخصام والشقاق والقتال ؟

هل اوحى الدين لتسلح به فئة من الناس ضد فئة وتستخدمه

كسيف تسله على كل من لا يقر لها بالسلطة الوهمية ؟
 هل اوحى الدين لتأسيس الدواوين التفتيشية التي تألفت في
 رومية واسبانيا والتي اربعبت العالم بظلمها واستبدادها وجرائمها
 الفظيعة ؟

هل وجد الدين لبعضهم وسيلة لافساد الهيئة البشرية ؟
 هل وجد الدين كي يستخدمه الرؤساء آلة نافعة لتنفيذ ما ربههم
 الخصوصية وغاياتهم الشخصية ؟

هل وجد الدين كي يتعصب به خدمة الاديان ويستأثروا
 بالسلطة المسلوبة فيظلموا العباد ويضطهدوا من خالفهم في الرأي
 ويحتقروا من هو اعظم منهم علماً وفلسفة وعقلاً ؟
 هل وجد الدين كي نفسه ونصلحه ونغيره ونقلبه بطناً
 لظهر ؟ كلا ثم كلا ثم كلا .

لو نظر الله عز وجل كما ينظر البشر الى نتيجة وحيه لما كان
 تعذب وتنازل ليكلم موسى وعيسى ومحمداً صلواته عليهم جميعاً .
 ولو نظر ايضاً الى ان عاقبة الدين الذي ازاله ستكون الاضطهاد
 والطرده والحروب والشقاق والخصومة لكان ابقاه عنده في السماء .
 ولكن الله الله اعلم .

الدين اماموحي واما غير موحي . اما مقدس واما غير مقدس
 فاذا كان موحي ومقدساً فلا يحق لنا ان نتخذة واسطة لتحسين
 اشغالنا التجارية . وتنفيذ غاياتنا الشخصية . فلنحق بامتنا الضرر

الجسيم . اذ اننا نكون حجر عثرة في سبيل الجامعة التي يجب ان
تجمعنا كسوريين ونحن بحاجة كلية الى الجامعة الآن . قلت
واقول ذلك مراراً . واما اذا كان الدين غير موحى وغير مقدس
فارى من وجه الحكمة ان لا نتمسك الا بالجيد منه وننبذ
الباقى ظهرياً نبذ النواة ولكن الدين مقدس ولذلك يقدم له
الشعب الاحترام ومنه ما قدسته العادات التي مكنها الزمان
وثبتتها الممارسة وكفى بذلك قداسة تفرض علينا الاحترام والتوقير
والاعتبار .

لماذا اذاً نستخف بالدين ونتخذ كالعوبة نلتهي بها في
الشوارع والحوانيت . نحن باخراجنا الدين من الكنائس لغاية
عالمية نرذله ونجذف عليه . ومن التعصب الممقوت ان نميز كل
حانوت وكل بيت تجارة وكل ادارة او كل جمعية بدين مخصوص
فنقول هذا التاجر ماروني وذاك الطبيب ارثوذكسي وهذا
الصحافي كاثوليكي وما شاكل ذلك . ما هذه الحالة التي وصلنا
اليها . أينقصنا شي . الا ان نضيف الى اسمائنا اسماء طوائفنا ونقول
زيد الماروني وعمر الارثوذكسي ومحمد المسلم . فتشوا معي لاريكم
كيف تنقسم تجارنا وجرائدنا وزلنا واطباؤنا وجمعياتنا . اولاً
عندنا التجار المارونيون والتجار الارثوذكسيون والتجار
الكاثوليكيون والتجار البروتستانتيون . واي من هؤلاء التجار
المستقيمين يبيع سلعة وسبحة ودبابيسه لقديسينا المكرمين .

أيتعامل التاجر الارثوذكسي مع مار ميري ومار نقولا ؟ أيتعامل صديقنا الماروني مع ايونا مار مارون ؟ وعندنا الجرائد المارونية والجرائد الكاثوليكية والجرائد الارثوذكسية . وعندنا المطاعم المارونية والمطاعم الارثوذكسية والمطاعم الكاثوليكية والمطاعم البروتستانتية . واي منهم نزل طعامها من السما ؟ وهل يريد القديسون ان نمجدهم بالكعبه والمريسه والمجدره ؟ وعندنا الجمعيات الخيرية المارونية والارثوذكسية والكاثوليكية وما ضرهم لو كانت كلها جمعية واحدة - جمعية خيرية سورية ؟

ونار ان نفخت بها اضاءت ولكن انت تنفخ في رماد
لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي
وهذه الحالة تعتور كل اعمالنا واشغالنا وحرفنا
متى ترول الشقاكات الدينية ويداس التعصب تحت نعال
المدنية .

متى نولف جمعية التساهل ونبي كنيسة التساهل ونشيد
مدرسة التساهل ونونس جريدة التساهل ونفتح محل التساهل
ولو كندة التساهل وتصير اعمالنا كلها تساهلاً بتساهل . اي متى
تشمطنا هذه الحالة السعيدة ؟

انا الآن اقترح على اصحاب جرائدنا العربية في الشغل خصوصاً
وفي العالم العربي عموماً اذا كان صوتي هذا الضعيف يصل
اليهم ان ينشروا على صفحات جرائدهم الغراء اعلاناً باحرف

ضخمة كبيرة عن التساهل الديني وانه يعطى بلا ثمن ومن اراد
 ان يقتنيه ويعمل به فليقرع باب ضميره فهو البائع وهو الشاري .
 هو الواهب وهو الموهوب . ولو كنت ذا قدرة مالية لنشرت هذا
 الاعلان على نفقتي فيسدي الحساب الله يوم الغنيمة . يوم لا تجزى
 نفس عن نفس شيئاً . فلنتساهل اذاً . فلننشر اعلان التساهل .
 التساهل ايها الشيوخ الاجلاء . التساهل ايها الشبان
 الادباء . التساهل ايها الصحفيون والاطباء . التساهل ايها التجار
 والروّساء . التساهل ايها السوريون الاحباء . التساهل ! لو كان
 لي الف لسان ولو تكلمت من الان الى يوم الدين لما عييت من
 تكرار وترديد هذه اللفظة العذبة السهلة اللطيفة . لفظه كرهتها
 الاجيال المتوسطة وكلف بها الجيل التاسع عشر . لفظه عززتها
 الجمهورية في هذا الجيل . لفظه انفتحت لها قلوب المتمدنين
 المخلصين لابناء جنسهم وتأهلت بها الضمائر الحرة والعقول
 الصحيحة . لفظه طيب شذاها يملأ الفضاء وذكا عرفها ينعش
 الصدور . هي احسن واظرف والطف وابدع وامتن واجمل وارفع
 واسهل لفظه وجدت في معاجم اللغة

التساهل هو اساس التمدن الحديث وحجر زاوية الجامعة
 المدنية .

التساهل شدد عزم الاحرار فبرزت من عقولهم اسمى الافكار
 التساهل اوجد الترقى والتقدم في كل فروع العلم والدين

والفلسفة .

التساهل أيد سلطة الضمير وبحق السلطة التي لم ينزل الله بها من سلطان .

التساهل اعطى كل امرئ حقه فتمتع به ومارسه بحرية واستقلال .

التساهل وضع حداً للاضطهادات الفظيعة وكسر السيف الذي استخدمته الدول لاستئصال شأفة من خالفها بالمذهب .

التساهل اطفأ بنفسه القوي النار التي اضرها الاكليروس لمحاربة اليهود والكفار .

التساهل جعل كل رجل صحيح العقل والجسم اهلاً للوظائف في الدولة واهلاً للانتخاب .

التساهل قوَّض عرش التعصب وبدد جفافل الجور والعسف الدينية .

التساهل قال للكنيسة انت سلطانة وقال للانسان ايضاً انت بذاتك سلطان . وكل له حدود واينما وجدت الحدود كانت الحقوق واصبح الامر خارجاً عنها ظلماً والايها جوراً .

التساهل هو اللين والرفق والمسامحة وهو الحلم والسلام والحكمة التساهل يحسم الاختلاف ويمهد سبل الائتلاف .

التساهل يزيد الانسان غبطة وسعادة ونجاحاً في الحياة الدنيا ولا يضره في الآخرة .

التساهل هو الطريق الوحيد الذي من تحته تجري الانهار
وعن يمينه ويساره الاشجار . طريق يدر لبناً وعسلاً . طريق
مستوٍ مستقيم لا يميل بنا عن روض السماء .

التساهل هو الدواء لكل داء ادبي او ديني او سياسي او علمي
التساهل اصيل لا تنكره التوراة ولا الانجيل ولا القرآن
ولنا كيد ذلك نذكر بعض الايات الانجيلية والقرآنية .

« من لطمك على خدك اليمين فحول له الايسر . ومن اراد
ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فدع له رداك ايضاً . ومن سخرك
ميلاً فسر معه اثنين » (متى ٦٥ و ٤٠ و ٤١) « ان الله لا يجازي
بالوجوه فكل رجل من اي امة كان يصنع الخير ويكره الشر
فهو مقبول عند الله » . (بطرس الرسول)

افعلوا بالغير ما تريدون ان يفعله الغير بكم او كما قالها
كنفوشيوس الذي عاش قبل المسيح باربعماية سنة « لا تفعلوا
بالغير ما لا تريدون ان يفعله الغير بكم » . وهذا الآية هي منزلة .
هي الآية الذهبية الفلسفية . هي كل الدين وكل الادب وكل
الشرعية وكل العدل وكل الفضيلة .

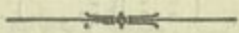
ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن
بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون . (سورة البقرة)

من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف

عليهم ولا هم يزنون . (سورة هود)
 من اسلم وجهه لله وهو محسن . ما قال وهو ماروني او
 ارثوذكسي او مسيحي او يهودي او محمدي . قال : من اسلم
 وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم
 يزنون . ما اجل هذه الآية وما اشرف تلك الآية الذهبية التي
 مر ذكرها . ان هاتين الآيتين عظيمتان . الواحدة منهما من
 الانجيل والثانية من القرآن . انهما منزلتان . ذهبيتان .
 فلسفيتان . اني اهبكم كل الكتب المقدسة بهاتين الآيتين .
 ادفع بالتي هي احسن السيئة (سورة المؤمنین) اليس هذا
 ضرباً من التساهل ؟

لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن (سورة
 العنكبوت) ايشتم من هذه الآية رائحة التعصب ؟

التساهل اذن هو الناموس وهو الطريق وهو النور وهو
 معطي الحق وهو الحياة وهو روح الله . هو اول درجة في سلم
 العمران وآخرها . هو الالف وهو الياء .
 التساهل هو الباب . ومن يدخل فيه لا يهلك . فلندخل اذا
 فلندخل ! فلندخل !! فلندخل !!!



المقالات

وصية فوءاد باشا السياسية^(١)

قيل ان دخول الحقيقة قصور الملوك لمن اصعب الامور . وهي حقيقة جديدة بالنظر . فلو تأملها الساسة العثمانيون والمصلحون لكانوا يقلعون عن مخاطبة الحاكم في اصلاح شؤون الدولة . فالحاكم لا يصلح . الحاكم يحكم . وعلى المحكومين اذا كان النير عليهم ثقيلاً ان يخلعوه وينبذوه . على المحكومين اذا كان الحاكم ظالماً ان يصلحوه او يابوه .

فالحاكم الظالم مظلوم مثل رعيته . وكفاه متاعب الحكم وعذابه متى بدأ النير يتقلقل على رقاب العباد . لو كنت انت الحاكم ايها القارى . المظلوم وجاءك وزيرك ذات يوم يقول : قد تخلّع النير وتفككت يامولاي . فاذا تقول له اذا كنت لا تستطيع اصطناع او ابتياع نير جديد ؟ اتامره بان ينزع النير المخلع او يصلحه ؟ لا . فانك تقول له : اصلحه وثبته في مكانه . وهذا هو الاصلاح الذي يباشره الملوك والسلاطين هذا اذا كان يرجى منهم اصلاح .

(١) ترجمها الى العربية جميل بك معلوف وطبعت في مطبعة المناظر

وجدير بنا ان نذكر ان الاصطلاحات التي جرت في الدول
الاجنبية لم تكن الا نتيجة القسوة التي استخدمها الشعب نحو
حاكمه . والشعب لا يلتجئ الى هذه الوسيلة الفعالة الا اذا افاق
من سباته وتنبيهه الى حقوقه وتهذب شعوره المدني . فبدل ان توجه
الكلام في وصيتنا السياسية اذًا الى الحاكم لنعلمه بان النير تخلع
ويقتضي اصلاحه - بدل ان نبسط الكلام الى السلطان في كيفية
تأييد وتعزيز دولة استبدادية كان الاجدر بنا ان نبسطه الى
الشعب المظلوم فترى بعض اسباب الظلم التي تورث البلاء والشقاء .
ونهديه الى بعض الوسائل الفعالة التي تزيل هذه الاسباب .

فلو وجه فؤاد باشا خطابه الى الامة لا الى حاكمها لو وجهه الى
المظلوم لا الى الظالم لكان افاد حيث اجاد . لان رأي من يطاع
يوثر في الشعب الجاهل اكثر من رأي من لا يطاع . والافراد
المستنيرون يثقون بكلام وزير فقته الحوادث وانارت العلوم
فؤاده . لاسيما وفي هذه الوصية كلمته السياسية الاخيرة . وكلمة
السياسي الاخيرة قلما تشوبها السياسة . وقد ادرك هو ذلك اذ
قال : « ان الصوت الخارج من القبر لا يكون كاذباً » على انه
ان لم يكن كاذباً فقد يكون مخطئاً . وقداسة الضريح لا تمنعنا
من ان نشير الى هذا الخطأ . نشير اليه مع اجلالنا صاحب الوصية
واعتبارنا وصيته كمجموعة آراء سياسية فيها الفث وفيها السمين .
فاننا نحترم بعض السياسيين ولكننا لا نأمن احداً منهم . اما

الوصية اجمالاً ففيها دليل ناصع على اختبار صاحبها الواسع وحكمته وعلى تعمقه في درس مآدق وخفي من الامور السياسية . وفيها ايضاً من الاراء السديدة والحكم البليغة ما يسر ويدهش المتفلسفين واليك شيئاً منها

« ان ترقيات جيراننا السريعة وتأخرنا الناتج عن اغلاط اجدادنا غير المقصودة قد اوقعنا الان في مهلكة عظيمة لا يمكن الخلاص من عاقبتها الوخيمة الا بقطع كل علاقة مع حالتنا السابقة والعمل على تجديد قوى الدولة بالوسائط المصرية الحديثة »

وكيف يتسنى للفرد او للامة الانسلاخ عن الماضي . انها لا تحدى طرق الاصلاح ولكنها ليست بالاقرب والاسهل . بل هي نتيجة لها مقدمات . وذروة ذات عقبات . فالانسلاخ عن الماضي ليس بامر سهل بل يكون في الغالب مستحيلاً . واما التخلص من « اغلاط اجدادنا غير المقصودة » فتلك مسألة اخرى ومن هذه الاغلاط غلطة مدنية عظيمة بل خرافة سياسية وخيمة لا نظنها تسلط الى الابد على عقول الناس والامم . فان العلم يزعمها وان كانت متأصلة في الاجيال . والزمان يهددها وان كانت راسخة كالجبال . وزيد يهذه الغلطة . بل هذه الخرافة . الحكومة الملكية حيث الامة ومعظمها من الفقراء والبائسين تلزم بمعاش فرد عظيم فيها لا يتعيش ابداً في حياته فترضاه عليها ملكاً وتعدله الصروح والقصور وتحيطه بالحجاب والحرس وتنفق عليه

ما ينيف على مئة او مئتي الف ذهباً كل عام فضلاً عما تنفقه على ذريته وحواشيها . ومع ذلك فصاحب التاج والصولجان اليوم قلما ينفع الامة وغالباً يرهقها . فهو اما خيال كملك الانكليز واما مقلق كامبراطور المانيا واما ظالم ك....

ولكنهم كلهم يظلمون متى استطاعوا الى الظلم سبيلاً . فالحكومة الملكية غلطة من اغلاط الاجداد لا بد ان يصلحها لعلم والزمان في كل مكان . وهناك غلطات اخرى ذكر صاحب الوصية بعضها . فالماضي من هذا القبيل يا اسيادي لا يتسلط الى الابد على المستقبل . والتقاليد لا تستعبد الامم الى الابد . فان القوى الكامنة في المستقبل الغير المحدود لا تقوى عليها سلطة محدودة هي ابنة اربعمائة او الف عام . بل من المستحيل ان تخضع الابدية لبضع ساعات زائلة . ونسبة القرن الى الابدية كنسبة الساعة الى الالف عام . ففي المستقبل اذاً دول جديدة ورجال . ومن خلال المستقبل ينظر الله بعين واحدة الى ذوي المحارث وذوي التيجان .

اما الترقيات الحديثة التي يروم فؤاد باشا ادخلها الى الدولة فانها في رأينا لا تكفي لتعزيزها واصلاح شؤونها . لان السكك الحديدية والتلغرافات والتلفونات والقوات الكهربائية والبخارية جميعها تريد الامة قوة ولكنها لا تريد هاعقلاً . تريد الملك مناعة ولكنها لا تريد علماً . والامة اليوم الى نور العلم الصحيح افقر

منها الى نور الكهرباء . هي اخرج الى التهذيب منها الى السلاح
ولعمر الحق ان الامة المهذبة لامضى سلاحاً في يد الدولة . نحن
الآن الى مدارس راقية وطنية افقر منا الى السمك الحديدية .
واما اذا وضع حجر زاوية هذه المدرسة عند خطوط « السكة »
فلا بأس بالاثنتين . واذا كان ذوو الامر يعاملوننا مثلما كان احد
الامراء الاشعيا يعامل ذويه فيقول لهم : اليوم تأكلون اما لحماً
او عنباً . اختاروا احد الاثنتين . فجوابنا حاضر : امسكوا علينا
البخار والكهرباء الان واسسوا لنا المدارس الوطنية . دعونا يسافر
كما كان يسافر اجدادنا ولو فترة اخرى من الزمن . حكيم على حمار
خير من حمار في السكة

لنعد الان الى الوصية فقد جاء فيها : « ولزيادة الايضاح
اقول ان دولتكم العلمية اذا لم يكن لها قوة انكثرتا البحرية وقوة
فرنسا العلمية وقوة روسيا العسكرية فلا يمكن سلامتها »

فقوة فرنسا العلمية تكون لنا في مستقبل الزمن اذا
تأسست في المملكة اليوم المدارس العمومية الوطنية المجانية
الاجبارية وامتنع فيها تعليم الاديان لتتخلص رويداً رويداً من
التعصب الديني الذسيم الذي لم يزل ينخر في عظام العقائم والمستنيرين
منا . وتأسس من الجامعات الدينية المتعددة جامعة وطنية عثمانية
واحدة . عندئذ يصير لنا وطن ننتمي اليه . ونستمد من العلم
قوة تساعدنا على ادخال الترقيات الحديثة الى بلادنا بواسطة

شركات وطنية لا شركات اجنبية . فتعزز اذ ذاك الدولة مادياً وادبياً وتتمكن قليلاً قليلاً من مساواة الروسية بجنديتها وانكلا ترا ببحريتها .

قلنا ان التعصب الديني الذميم لم يزل ينخر في عظام العظام والمستعيرين من العثمانيين . واليك برهاناً على ذلك من نفس هذه الوصية . فان صاحبها على ما هو من سعة الاختبار وغزارة العلم ورجاحة العقل يظل متمسكاً بما يدعيه « اغلاط اجدادنا غير المقصودة » وينسى مراراً تلك النفس الراقية فيه . فترينا نفسه الفطرية ما يحاول ان يخفيه . فقد جاء في كلامه عن الدين الاسلامي والدين المسيحي (وليته لم يطرق هذا الباب) ما يلي :

« ومهما بلغ عدد الزاعمين بان الدين الاسلامي هو الحاجز دون ترقى هيئتنا الاجتماعية فانهم جميعهم في خطأ عظيم وضلال مبين ... »

فالدين الاسلامي لتجرده عن قواعد سر الثالث والعصمة قد رافق مجرى الترقيات الكونية »

ولسنا نحن من الزاعمين بان الدين الاسلامي هو الحاجز دون ترقى الامة . ولكننا من الزاعمين بان السفسطة تستولي حتى على عقول الوزراء . والشعوذة ابداً تستهويهم . فاذا كان سر الثالث يؤخر في ترقى الامة ويضر في مصلحة الحكومة وجب ان تكون حكومتنا العثمانية ارقى بدرجات من الحكومات المسيحية

لتجرد دينها الرسمي عن هذه الاشرار . واذا كان الدين الاسلامي قد رافق مجرى الترقيات الكونية كما يزعم صاحب الوصية فلم لا نرى لهذه الترقيات اثرًا في دولتنا العلية ؟ لا والله فاننا نحترم بعض السياسيين ولكننا لا نأمن احداً منهم . فانهم دائماً يؤثرون الحقيقة الوقتية الزائلة على الحقيقة الدائمة الابدية . واذا كان الفرق بين الاثنين غير باد للمقارن اللبيب فبكلمة ايسر نقول ان السياسي يستخرج دائماً من الحوادث والاحوال شيئاً من الحكمة السطحية ويدمغها بدمغة الحقيقة السامية . ولولا ذلك ظلت اقوال فواد باشا من التعصب والتناقض . وهل ممكن ان تتوحد كلمتنا وتتحد عناصر الدولة المختلفة اذا كان وزراؤنا يتعرضون لغير داع ويتعصبون ؟ خذ لك مثلاً آخر من هذا التعرض والتعامل . فان صاحب الوصية يشارك الفلاسفة في ذم الاكثريوس ولكنه يبتعد عنهم منددًا حينما يتعرضون للدين الاسلامي . أجل النظر فيما يلي :

« ويحب على الباب العالي ان لا يغمض الطرف عن المساعي التي ستبذل في سبيل اتحاد كنيسة الارمن والاروام وان يساعد جهده على انتشار المعتقدات الفلسفية بين التبعة المسيحية لانها ترفع عن عائق بني البشر نفوذ الاكثريوس . »

واما التبعة الاسلامية فهي بغنى عن مثل هذه المعتقدات ! نعوذ برب الناس من شر المنطق والقياس . فاذا كانت المعتقدات

الفلسفية تنفع البشر فلمَ يَتمنى نشرها بين المسيحيين دون المسلمين ؟ لا والله لا . اننا نذكر من المصلحين العثمانيين من كانت نيّاته انظف واثره من نيّات فيواد باشا . فهو ضمناً يود لو ازال الفلسفة الدين المسيحي . على ان الاعتقادات الفلسفية اما ان تكون مضرّة بالاديان واما ان تكون نافعة . فاذا كانت مضرّة فالدين المسيحي لا يستحقها وحده . واذا كانت نافعة فلا يجوز ان يحرم منها الدين الاسلامي . ارايت كيف ان الاقوال تسقط الرجال ؟ هل اتضح لك ان بعض السياسيين لا يستحقون النعوت الشريفة التي ينعمتهم بها الشعب الغافل . نحن نعلم وكل عاقل يعلم ما للاكليروس بل لرجال الدين على الاطلاق من النفوذ السيّء على الامة ولكننا لا نقبل ان يقول لنا ذلك على سبيل التعصب سياسي يود اذلالنا . فاذا شار كنا اخواننا المسلمون في انتقاد الاكليروس فليذكروا دام فضلهم بان البطريك والامام صنوان وان الشيخ والكاهن اخوان . والسلام



تركيا الجديدة وحقوق الانسان^(١)

الكتاب النفيس هو الذي تشعر وانت تطأه بان نفس الكاتب تنفس في سطره وخلالها . هو الكتاب الذي لا تجد في صفحة من صفحاته شيئاً من جرائم القنوط . هو الكتاب الذي يجري دم الحياة الراقية في كلماته . ويشع نور الاخلاص من سطره . وتتوفر فيه المادة التي تغذي النفس فتعش فيها الامل وتحى منها العزيمة والارادة . هو الكتاب الذي يولده العلم مقروناً بالاختبار . والحماسة مقرونة بالتفكر . والجرأة الادبية مقرونة بالحكمة . بل هو الكتاب الذي تتجلى فيه النفس البشرية والذكاء البشري والصناعة الكتابية في ارقى واجمل صفاتها . وان لم يكن كتاب صديقي جميل افندي معلوف من هذه الطبقة العليا فهو من اعلى طبقة دونها .

ولعمري ان الكتاب الذي ينهه العثمانيين في هذه الايام الى ان الامة العثمانية في بداية ثورة عظيمة . وان الثورة السلمية لا تغني عن الثورة العلمية شيئاً . وان التفرنج الحقيقي هو تمول لا تفرنج . وان التمدن كالهواء والنور مشاع لا حجة للافرنج فيه . وان مدارسنا الاكليزيكية والسلطانية هي المستنقعات في ارض

(١) تركيا الجديدة وحقوق الانسان تأليف جميل بك معلوف - طبع في مطبعة المناظر بسان باولو برازيل

الحرية العثمانية الجديدة . وان الحكومة الدستورية ومجلس الامة لا يسلمان من الخطر ان لم تصالح حالة العثمانيين الاجتماعية باصلاح العائلة وحالتهم الادبية باصلاح المدارس . وان من الخطأ ان تضع حجراً واحداً من البناء الجديد قبل ان يسقط البناء القديم بامر . وان استناد الشرقيين على الدين في احوالهم العالمية يقضي على مستقبلهم السياسي والاجتماعي والادبي . وان الحرية متى حلت ارضاً لا تسمح ببقاء نصف اهلها عبيداً بينما النصف الآخر احرار وان الحكومة التي تستعبد رعيتهما يسلط الله عليها حكومة اقوى منها فتستعبد بها (وما ظالم الا ويبلى باظلم) وان الثورة التي تنفع حقاً شعوب الارض هي التي يقوم بها المصلحون على المبادئ . الفاسدة لا التي يقوم بها السياسيون على الحكومة - الكتاب الذي يصدع بمثل هذه الحقائق هو حري بالاعتبار . الكتاب الذي فيه مثل هذه المنبهات والمقويات لامة دوختها المظالم السياسية وخررتها الخرافات الدينية هو حقاً جدير بان يطالعه كل عثماني .

على ان المؤلف حباً بوطنه يفادي في بعض المواطن بحكمته . فقد يطلق العنان لحماسته في مضمار ضيق فيضطر وقد بدت له الهاوية ان يقف غير موفق دفعة واحدة . وهذا هو السبب فيما جاء في بعض الفصول من ترزع الرأي والتضعضع . فالتا لا نستصوب البحث الآن فيما قد يعود على الامة وهي لم تكد تقف على رجليها بالنكسة والبلاء . اذا ما الفائدة

اليوم من البحث في استقلال الولايات مثلاً والحكومة الرئيسية لم تتخلص بعد من سيطرة دول أوروبا ومدخلاتها . وما الفائدة من البحث في اقفال المدارس الاجنبية وابطال الامتيازات الاوروبية ونحن لم نزل عاجزين . وان تحريض الشعب على مثل هذه الامور يحدث في البلاد من القلاقل والفتن ما قد يلحق طفل الحرية منها لطمه واحدة فتقتله وتقضي علينا بالخضوع لنير أوروبا . واما نشر ما يدعوه صديقي جميل افندي الديانة الوطنية اي ديانة حب الوطن فهذا وحده يخلصنا رويداً رويداً من النفوذ الاجنبي . من هذه المدارس الاكليريكية وهذه الامتيازات الاوروبية . فمدارس (آباءنا) اليسوعيين مثلاً تضطر ان تقفل ابوابها متى تأسست ازاها مدارس وطنية كاملة العدة . مستوفية الشروط .

والبوسطات الاوروبية تمنح مأموريها عطلة على الدوام متى رأت ان دخلها لا يقوم بنفقاتهم . والامتيازات الاجنبية تسقط دون ان نسقط او نقوم عليها متى نبغ فينا رجال يستطيعون ان يقوموا باعمال اصحاب هذه الامتيازات حق القيام . وكل ذلك ممكن يا اسيادي متى أصلحت داخلية الحكومة وظهرت فيها نتيجة اعمال الاختصاصيين الاوروبيين المشتغلين فيها الان . كل ذلك ممكن متى بدأت الحكومة تؤثر المقتدرين والمتمولين والناخبين من رعيته على امثالهم من الاجانب .

حينما تنمو في الامة عاطفة الوطنية يقوم الوطنيون اذابا
تطلبه حياتنا الجديدة وامتنا الحرة من المشاريع الخطيرة . وبكامة
اخرى حينما تنشر فيها ديانة حب الوطن - الديانة الجامعة المقدسة -
يضعف نفوذ الاجانب ويتلاشى . وتسقط الامتيازات الاجنبية .
كما سقطت دولتنا الاستبدادية . بطريقة هادئة سليمة .

هذا ما احب ان الفت اليه نظر صديقي المؤلف لانني
رأيت في مثل هذه المواقف يفادي بحكمته حباً بوطنه . ولعمري
هي ضحية ثمينة في كل زمان ومكان وفي اي سبيل كان .



فاتحة مباركة

جاء في النطق الشاهاني كما دعت الصحافة . او خطاب العرش
 كما يدعى عند الانكليز . او خطاب الحاكم والوزراء كما هي الحقيقة .
 ان السبب في فض مجلس النواب الاول هو ان الامة العثمانية لم
 تكن اذ ذاك اهلاً لحكومة نيابية . وهو عذر سياسي لا عذر
 حقيقي . وان روح مجلسنا الاول لتتميز غيظاً لدى استماعها هذا
 الكلام . وكانها تقول : الكذب محذور في الدين ولكنه مباح
 في السياسة . وكيف لا تكون الامة اهلاً لحكومة نيابية
 ومفاوضات المجلس في ذاك الحين ادهشت حتى الاوروبيين !
 فضلاً عن ان الحاكم باره يستطيع ان يفسد ويستبد . بل الحاكم
 المطلق العادل . الحاكم المحب رعيته العامل خير امته . يستطيع
 ان يقلب حكومته الاستبدادية الى حكومة نيابية في ليلة واحدة
 اذا شئت جلالت . ولا ينجم عن مثل هذا الانقلاب السريع ما
 يضر بالامة او يقلقها . لان من اطاع مليكه وهو ظالم يعبد
 لا شك وهو عادل . وما حدث في الامة اليابانية وحكومتها يؤيد
 من هذا القبيل حجتنا . واننا لنكتفي بهذه الاشارة الى ما جاء
 في الخطاب عن عدم اهلية الامة . لان ما مضى قد مضى ومجلس
 النواب قد عاد ليحيا ان شاء الله
 على ان في الخطاب مأخذاً آخر جديراً بالانتقاد . وعلى

النواب والصحافيين ان يتيقظوا لمثل هذه التمويهات السياسية .
وايذكروا دام فضلهم بان حكومتنا النيابية اليوم لم تزل مكتنفة
بظل حكومتنا بالامس المظلم الكثيف . والى ان تخرج من هذا
الظل وتنفض عنها غبار السياسة القديمة سيبقى التمويه سائداً
بين العرش والنواب او بين الحكومة والامة . وانها والله لفاتحة
غير حميدة ونحن في فجر حياة جديدة . لان الحكومة التي تخرج
من باب العسف والظلم فتدخل توةً باب التمويه والمواربة لا
تكون قد حققت آمال الامة والوطن . اذاً ماذا عسى ان يراد في
ما جاء في خطاب العرش من ان السبب في اعادة مجلس النواب
هو ان الامة والسعي في الثلاثين سنة الاخيرة لنشر المعارف كان
متواصلاً أصبحت الان اهلاً لان تحكم نفسها بنفسها . فهل يراد
بكلام العرش ان الفضل للحكومة في نشر المعارف والعلوم في
الامة ؟ او ان بين الوزراء من يحسن المجون ويجد حتى في هذا
الوقت فرصة للمداعبة ؟

ومن يجهل ان الحكومة الماضية سعت سعياً جليلاً لنشر
العلوم والمعارف بواسطة المراقبة ؟ ومن ينكر ان يد الجلسوسية
ساعدت في زرع بذور الحرية ؟ ومن لا يعلم بان نور الحق
والمساواة كان ينبعث على المايين من قعر البوسفور . وان اشعة
الدستور كانت تنعكس على العرش من منفي الاحرار ومن
نجومهم الآفلة ؟ اجل ان حكومتنا في الامس كانت تروض الامة

وتوذيها لتكون اهلاً لحكومة نيابية . فالرقابة والجالسوسية
استاذاً الامه الماهران . والبوسفور والمنفى هما الفلق والقضيب .
والحمد لله قد تحررنا بعد ان تكسرت رؤوسنا وارجلنا .

ان حكومتنا النيابية اذا لمهي من مكارم حكومتنا
الاستبدادية . شي : والله جميل . فمن يقول الآن ان العوسج لا
يشمر ثمرًا طيباً ؟ بل ان دستورنا هو من مكارم «مالك رقاب
العباد» لا نتيجة سمي الاحرار والجنس لرفع النير عن رقاب
العباد . فان كان كذلك فلم لم يتكر موابه قبل ان جمع نيازي
جنوده واستل انور حسامه ؟

لا يا ايها الاخوان لا يحق ان يقال ذلك في هذا الزمان .
واعلموا اننا في زمن لا يرد فيه تيار العلم مهما اشتدت المراقبة
ولا يطفأ فيه مصباح الحرية مهما تعاظم الظلم والاستبداد . وان
ما جاءنا من امواج هذا التيار ومن نور هذا المصباح فمن روح
الزمان جاء . لا من ارباب العرش والتيجان . وقد تحررت الاممة
العثمانية الان وحبطت مساعي من حاول دفع هذا التيار العظيم
واطفاء هذا المصباح الكريم . ومن المغالطات ان ظلم الحكومة
الماضية واضطهادها الاحرار وضغطها على المطبوعات الخ تدعى
كلها في خطاب العرش «السعي لنشر المعارف» فاذا كانت الصحافة
لا تحتج على مثل هذا الادعاء والنواب لا يتحذرون من مثل
هذا التمويه فالتنا في نور الدستور والحرية لم ترل كما كانت في

ظلام الظلم والفساد .

اشرنا في بدء كلامنا الى ان النطق الشاهاني كتب بموازرة الوزراء او على الاقل بموازرة الصدر الاعظم وكل خبير في شؤون الحكومات الملكية يعلم بان خطاب الملك لا يكون من قلم واحد ورأي واحد بل هو غالباً نتيجة جلسات عديدة ومفاوضات طويلة بين الحاكم ووزرائه . واذا فرضنا ان الملك يستقل في عمله هذا كما يفعل امبراطور المانيا مثلاً فلا بد ان يطلع على كلامه الوزير الاكبر قبل ان يلفظه فيغير وينقح فيه ليوافق الاحوال . وخطاب العرش الى مجلس نواب الامة العثمانية لا يستثنى من هذه القاعدة . وفي الوزراء من هو من جمعية الاتحاد والترقي على ما نظن او فيهم على الاقل من اذا اصدر منشوراً باسم الجمعية يردفه بلفظة « المقدسة » فهل بدأت زعماء الاحزاب بالمجاملة والمخاطلة يا ترى . لا سمح الله . ولكن العبارة هذه اي « السعي في نشر المعارف » هي مقصودة لا شك والمقصود فيها ايها الاخوان التسموية والمواربة . وانصار جمعية الاتحاد والترقي في مجلس الوكلاء يعرفون ذلك ويغضون الطرف ساكتين . وما ضرهم لو اعطوا الان كل ذي فضل فضله . وتحروا الصدق في اول خطاب من خطب العرش لمجلس الامة . ما ضرهم لو اهلوا في الاقل ذكر امر لا يستطيع ان يوارب احد فيه دون ان يشعر بنفور في نفسه من نفسه اذا لم نقل باستياء الناس طراً .

ومجلس النواب لم يستحسن هذا التتمويه على ما ظهر لنا .
و كنا نود لو عبر عن استيائه بطريقة ايجابية لاسلبية . فقد انبأنا
البرقيات انه عند الفراغ من تلاوة الخطاب لبث النواب صامتين
ولم يفه احد منهم بذلك الدعاء المعروف الذي طالما رددته الامة في
الزمن الماضي . وهذا على ما نظن هو جواب النواب على مواربة
العرش وتمويهاته . على اننا كنا نود لو فاه احد الاعضاء على الاثر
بكلمة احتجاج وجيزة . ولكن اذا اظهر المجلس استيائه بطريقة
سلبية فعلى الصحافة وهي خير صلة بين المجلس والامة ان تظهر
ذلك بطريقة ايجابية . على الصحافة ان تبرهن الان على انها
متنبهة متيقظة . وان من حقوقها ان تطالب المجلس والعرش
بحقوق الامة . وان ترد الفضل في نشر المعارف والعلوم الى مكانه
وذويه .



العفو العالي

جاء في الارادة السنية التي قرأها علي جواد باشكاتب المابين .
في مجلس النواب ان « قد صدر العفو العالي عن العساكر الذين
اجتمعوا في هذا النهار (يوم سقوط وزارة الاتحاديين) فلا
يسألون عما فعلوا » وقد علمت الامة جمعا ان من نتائج اجتماع
بل هياج العساكر المتמרدة قتل ناظر العدلية وعضو من اعضاء
مجلس الامة . فما معنى العفو يا ترى وماذا عسى ان يكون وراء
هذا التسامح الشاهاني الجميل .

ان الاعتداء على احد النواب فضلا عن قتله . يعد اعتداء
على المجلس كله بل على الحرية والدستور بل على الامة بأسرها .
ولكن من يعفو عن انصار الجمل والتعصب اليوم وان عدوا
بالالوف يعفو غدا عن انصار النور والحرية . اليس كذلك ؟
وان مراحم « جلالة مولانا » لأوسع من السماء . فاصدقنا الدستور
واعداؤه - الاحرار والخنوة كلهم - يقيمون في ظلها الظليل
آمنين . اليس كذلك ؟

ولكن الرب خلة في بعض الناس . ولا غرو اذا وجد في
المجلس من ارتاب بحسن نيات جلالة مولاه فقام يعترض على ما
جاء في الارادة السنية فيما يختص باجتماع العساكر . يوم قتل ناظم
باشا والامير محمد ارسلان . ولا فرق بين ان يصدر المرتابون

احتجاجهم من المجلس او من المكان المختبئين فيه . فان مجلس النواب في مثل هذه الايام هو حيث يجتمع او بالحري حيث يجتبي . النواب .

ومن جميل اخلاق الشرقيين وبالاخص الاتراك ان الشدة وان استهم واجباتهم المهمة لا تنسيهم فروض اللياقة والمجاملة . فقد قرأنا في صحف الاخبار رسالة تعزية من الرئيس الجديد للمجلس الى والد فقيد الوطن والحرية . ورسالة اخرى على شكلها من الصدر الاعظم فقلت وهل هذا ياترى اهم ما توجه به عليهم الوطنية اليوم ؟ هل هذا ما يتطلبه منهم الدستور وتفرضه عليهم اليمين التي اقسموها ؟ انقل الى الابد عبيد المجاملة والمصانعة . أمثل هذه الدفعة الكاذبة تسر الامة ويتعزى آل الفقيد ؟ اما كان الاجدر بالنواب ان يبعثوا الى المايين كلمة احتجاج على ما جاء في الارادة السنية ؟ فالمثل - ان العفو من شيم الكرام - لا يصح دائماً غداً يهيج الجنود ثانية فيقتلون آخر من النواب فتصدر الارادة السنية بالعفو عن القاتلين . وكلما قتل احد اعضاء المجلس يفر هارباً من يخاف على جلده ولا يخاف على شرفه ويمينه . فلا يمضي والحال هذه شهر واحد - حتى تخلو كراسي النواب كلها فينصب فوقها ثانية غراب التهمقر والظلم . ويقمه تحتها شيطان المكر والخيانة . أمثل هؤلاء النواب تنتصر الحرية ويتعزز الدستور ؟ في عهد لويس السادس عشر قبل انفجار بركان الثورة بسنة

واحدة رفض البرلمان في باريس ان يصدق على قرض اقترحه ناظر
 المالية سداً لعوز الملك والحكومة . فجاء في اليوم التالي لويس
 بذاته وامر البرلمان ان يصدق على هذا القرض فأبى ثانية وقام
 دسبرينيل فاغلظ الكلام لجلالته وصرح بحقوق البرلمان على
 الحكومة . فخرج الملك ووزيره محتدمين غيظاً وبعد ايام جاء
 الضابط داغوست ومعه فريق من الجند وبيده امر بالقاء القبض
 على دسبرينيل فدخل المجلس وقال : جئت بأمر الملك . فقابله
 الاعضاء ساكتين واجمين ثم قال : وبما انني لا اعرف احدكم
 دسبرينيل اطلب اليه ان يقف لان بيدي امرأ . . . فقاطعه
 الاعضاء قائلين : كلنا هذا الرجل . ولم يقف منهم احد . فخرج
 داغوست وجنوده يومئذ مثلما خرج مولاه ووزير مولاه في
 اليوم السابق .

فان كانت هذه وطنيتهم بل هذه حماستهم وجراتهم في امر
 يعد طفيفاً فاذا ياترى يفعلون لو قتل الجنود احد اخوانهم على باب
 المجلس ؟ ايسمعون العفو عن القاتلين ساكتين ؟ ايكتفون بتعزية
 اقاربه ويوئجلون البر بيمينهم الى ان يزول الخطر ؟ اتتهم حرمه
 الدستور وكرامة مجلس الامة . يعتدى على الحرية وانصارها .
 يهرق دم النواب على باب مجلس النواب ظلماً وعدواناً فيفر
 الجبناء من الاعضاء هاربين ويظل الباقيون منهم ساكتين ؟ اليس
 الاعتداء على احدهم اعتداء عليهم اجمعين .

امر لويس السادس عشر بنفي دسبريميل احد اعضاء البرلمان
 فاجابه البرلمان بصوت حي : كلنا هذا الرجل . غمست حراب
 فريق من العسكر بدم الامير محمد ارسلان فعفا السلطان عن
 الجانبين وسكت النواب عن عفو السلطان . وكافي بهم يشكرون
 الله على سلامة دمائهم الكريمة ! وهذا ايها الاخوان الفرق بين
 الشرقيين اليوم والغربيين في مجالسهم النيابية وتجاه ملوكهم .
 ان الحراب التي صرعت الامير محمد ارسلان حاولت صرع
 الحرية والدستور . بل هي حراب اشريت سم الخيانة من اعلى
 مورد في الحكومة . فاذكروا هذا ايها الناس ولا تنسوه ايها
 النواب .



الحرية وحدها لا توحدنا

اني ممن يقولون بالطريقة البطيئة الثابتة في اصلاح الامة والناس . اني ممن يرتأون ان لا خلاص للشعوب من الجهل والجمود والحمول الا بالتهذيب والتربية . وما الثورة عندي سوى امشولة صغيرة في تهذيب النفس وثقيف الاخلاق . لاننا اذا تعلمنا ان نشور على المستبدين والظالمين من اسيادنا نتعلم ان نشور حتى على انفسنا متى كنا من هؤلاء الظالمين والمستبدين . وهذا لعمرى اهم من ذاك . ولكننا لا نحسن نحن السوريين لا هذا ولا ذاك . نحن قوم تعددت في بلادنا المدارس الاجنبية وكثر فينا التقليد والادعاء . كنا بالامس في مقدمة الشعوب بالخنوع للضم والاستسلام للهوان . وضرنا اليوم في مقدمة طائفة من الناس لا يجر كون في سبيل الامة سوى القصة واللسان . ومتى كثر في الامة المرشدون واناصحون المتربعون بدست السيادة فبشر تلك الامة بالهلاك . بدل ان تنصحنى ساعدني . بدل ان ترشدني سر امامي . اذما الفرق ياترى بين منافق يناهض حاكماً مستبداً وليس ينسد بالصوص والقتلة ؟ ما الفرق ياترى بين متعصب يقول ما اجملك وما اسمك ايتها الحرية وشيطان يتغنى بمدح الملائكة ؟ ان الاثنين عندي سواء .

على انني اجد بوناً شاسعاً بين عالم لا يعلم ان العلم انما وجد

لنفع الناس لا لاثارة الفتن في الناس . ورجل عاش جاهلاً ومات
جاهلاً وكان من آل الفضل في الناس . واني والله لافضل هذا
الجاهل الصادق على ذلك العالم المنافق . اني لأؤثر النفس الصافية
السادجة على نفس متفقهة لا تعرف من سبيل الحياة الا تلك
الموحلة المظلمة ولا من امانى الحياة الا تلك التي يحبل بها دود
الارض وتتغذى بسم الافاعي . اجل يا اخي ان جألاً صالحاً او
اسكافاً حراً صادقاً خير من الامراء والرؤساء والعلماء الذين لا
يعرفون من الحق والعدل ومن الخير والاحسان ومن الاخلاص
والفضل الا اسماءها .

اننا اليوم الى التهذيب لاحوج منا الى السكك الحديدية
والتلفونات . ان حاجتنا الى العلم الصحيح الذي يهذب الانفس
ويرقي العقول ويمثقف الاخلاق لاشد منها الى العلوم اللغوية
والفقهية واللاهوتية والخنفشارية . والتهذيب الصحيح ينبغي
ان يعم عناصر الامة بأسرها على السواء . ليأتي بفائدة تذكر للامة .
وعندي ان اشد الويل والبلاء انما هو في بيت يعيش تحت سقفه
الجاهل والعالم معاً . ان هذا البيت ووطننا ايها الاخوان . وعناصر
الامة فيه كافر اد تنافرت اذواقهم واخلاقهم وتعددت صبغاتهم
القومية والدينية وتباينت فيهم درجات المدارك والعلوم . فاذا
ارتقى عنصر من عناصر الامة دون سواه بملتجي . غالباً الى المهجرة
اذا ظلت العناصر المنحطة واقفة في طريق ترقيه كالسد في وجهه

المياه . اما الاية . ورب فئة صغيرة غلبت فئة كبيرة . فالتاريخ لا يشهد على صحتها الا مرة في الالف . لان الطبيعة لا تسمح ان تكون المعجزات فيها مبتذلة . والغالب المبتذل هو ان الاكثرية ان كانت في المجالس النيابية او في الطبيعة تتغلب على الاقلية . على حكومتنا الدستورية اذا ان تنبّه الى هذا الامر الخطير ان كانت ترجو ان ترتقي الامة وتحيا . على حكومتنا ان تبأثر تأسيس المدارس الوطنية العمومية الاجبارية المجانية المجردة عن كل صبغة دينية . وان كانت لا تبأثر قريباً فلا ترجو يا اخا الحماسة كبير خير من هذا الانقلاب . ومن هذا الدستور . ومن هذا المجلس النيابي .

اظنك تعلم ايها القارى . العزيز ان لا غاية لي من الكتابة والخطابة والتأليف سوى نشر المبادئ . الحرة والتعاليم السديدة في الامة . وان من تجرد عن المآرب السياسية وعن الاغراض الشخصية المادية يرسل كلمته في الناس دون ان يراعي خاطر احد من الناس . منذ خمس سنوات عدت انا وطني من العالم الجديد وحتى الآن ما عرفت من الرؤساء المدنيين والدينيين الا من احب ان يعرفني او من جمعتني به التقادير . قضيت هذه المدة كلهم بعيداً عن الرئاسة والسياسة فبان لي ان في طاقة الانسان ان يعيش سعيداً دون ان يتزلف من السياسيين والامراء او عمال الحكومة والرؤساء . نعم عشت محروماً بهذا الشرف العظيم

فكانت همومي الادبية ومتاعبي السياسية اقل من هموم سواي من الادباء .

عسى ان يعذر القراء مني هذه الكلمة الشخصية . فساقلتها الا لابني عليها قاعدة عمومية هي جديرة باعتبار كل من زاول صناعة الكتابة واحب ان ينفع الناس بعلمه وادبه . ان التقرب من العظام وبالاخص اصحاب السيادة منهم يفقد الكاتب غالباً مزية الحرية والاستقلال . هذه هي القاعدة العمومية التي قلت من اجلها كلمتي الشخصية . تكلمت عن نفسي وما كنت لافعل ذلك في غير هذه الاحوال لا وكد لكم ايها الاخوان ان الاراء التي ابدتها والمبادئ التي اناادي بها انما هي ثمرة علم لا يعرف التفرقة والتحزب ولا يفرق بين الجنسيات والاديان .

احب ان اردد بعد هذا التمهيد كلمتي السابقة عن المدارس الوطنية واردفها بكلمة ليست باقل منها اهمية وهي « صيحة في واد ان ذهبت اليوم مع الريح تذهب غداً بالاولاد » ان الامة العثمانية لا تصير حقاً امة واحدة . متحدة راقية الا اذا تأسست في البلاد المدارس الوطنية العثمانية المجانية الاجبارية وتلقن فيها العلوم ابنا المسلمين وابناء الدهريين وابناء المسيحيين وابناء اليهود معاً . بقي عليّ ان اقول كلمتي الاخرى . اننا لا نصير امة راقية حرة بكل معنى الكلمتين الا متى صار ادباء المسيحيين وادباء المسلمين يتباحثون في اي موضوع دينياً كان او سياسياً

او اجتماعياً دون ان يشير ذلك في شعب الملتين غبار الجهل وسموم التعصب . بل اذا كان لا يحق للمسلم ان ينتقد المسيحيين في شؤنهم العمومية والاجتماعية ولا للمسيحي ان ينتقد المسلمين فلسنا والله بامة واحدة وليس وطننا بذاك الوطن المجيد الجامع الذي يعبد في هيكله كل ابنائه على اختلاف المذاهب والعناصر والجنسيات . بل اذا كنا لا نتجرد عن صبغتنا الدينية في شؤننا الوطنية والاجتماعية فحريتنا ايها الناس كلمة مقولة . واخواننا لفظة غير معقولة . والمساواة عندنا قاعدة باطلة مرذولة .

نعم يا سيدي . اذا كان اخواننا المسلمون لا يساعدوننا في نشر التعاليم الحرة في الامة . اذا كانوا لا يؤيدون قولاً وفعلاً اراء ابااء الحرية والدستور . اذا كانوا لا يرددون صدى احرار المغرب وعلائه ومن ينحو اليوم في الشرق نحوهم من الاحرار الاصفياء والعلماء فعبثاً يحاول ابطال الدستور والحرية تجديد حياة الامة والمسلمون العنصر الاساسي في الامة . واما انتصار الجيش فلا مجد عظيم فيه ان لم يتبعه انتصار في العلم والتهديب . لان الجيش وان دُمر معاقل الحكومة الاستبدادية فنصره لا يزيل الجهل الذي اُست عليه تلك الحكومة . وما دام الجهل سائداً في الامة . سيان عندي ان كانت الحكومة فردية استبدادية او حرة نيابية . ان لم تباشر الحكومة في تدمير حصون الجهل اذاً يعود الجهل فيدمر حصون الحكومة . ولا يتم لها ذلك الا في

المدرعات الحربية الاوروبية ومنها المدرعتان الافرنسيتان
 « لافريته » و « فكتور هوغو » فكرهت الاقامة في بلاد لم تزل
 تحتاج فيها الى مثل هذه المظاهر الكاذبة . وهل كنا نشاهد
 المدرعات الاوروبية بصفة رسمية في بحرنا لو تأسست عندنا
 المدارس العمومية الوطنية منذ ثلاثين سنة ؟ هل كانت تلتحق
 المذابيح تاريخنا فتلحق بنا وبوطننا العار والشنار لو وجد منذ
 ثلاثين سنة التعليم فتمت في قلوب العثمانيين عاطفة وطنية شاملة
 وانتشر روح التساهل الديني في الامة ؟

لا يا اخوتي . انا لا احب ان ارى هذه المدرعات على شطوط
 بلادنا . انا لا احب ان يلتجئ احد عناصر الامة الى دولة اوروبية
 انا لا احب ان ارى « فكتور هوغو » في بحر بيروت بل احب
 ان اشاهد روح فكتور هوغو متجلية في ارواح ابنا بيروت .
 لا احب ان ارى « الحقيقة » على شواطئ سوريا بل احب ان
 اراها في قلوب ابنا سوريا . احب ان تحمينا المبادئ السديدة
 لا المدافع والمدرعات . احب ان يحمينا العلم الخالص من الفس .
 والوطنية المجردة من كل مصلحة دينية



رجل الشعب

قد مضت السنة الاولى من عهد الدستور وما ولدت حرية اللبنانيين الا الكلام . وماذا ياترى يلد الكلام وبالاخص ما كان كاذباً فاسداً مبرقشاً من الكلام ؟ قد انقضت السنة الاولى من عهدنا الجديد ولم يظهر فينا رجل جري . حر صادق . رجل عزوم ثبتت سكوت يعمل من اجل هذا الوطن عملاً واحداً صغيراً دون ان يستشير فيه كيسة او منصبه السياسي . دون ان يلتجئ الى القناصل . دون ان يستعين ببكركي التي اصبح هيكلها في جمعية الاتحاد والترقي في بيروت . ببكركي وبطريقها اليوم فيلسوف تركي يحسن العبادة والصلاة مثلما يحسن العدل في السياسة والاحكام . ولكن هؤلاء اللبنانيين الذين يسجدون لشقيعتهم وهي في زي تركي اوروبي جديد وينادون في الجبل بالمحافظة على امتيازات لبنان هؤلاء يجذفون في قلوبهم اذا صلوا ويموهون وينافقون حيثما سقطوا وحلوا . هؤلاء لا يستحقون بركتك يا صديقي البطريرك . هؤلاء قوم مدغلون . والمدغل والمؤمن لا يجتمعان .

وما قولك ايها الرفيق العزيز ! اتظننا نجد رجل الشعب بينهم ؟ اتظن البحث عنه في هذا المكان يجدينا نفعاً ؟ ألا تظننا نصراف زيتنا سدى في مثل هذه الظلمات ؟ اهل سراجك اذاً واتبعني .

من هيكل الحرية العثماني الى الهيكل اللبناني فرسخ او فرسخان. تعال اذا علنا نفوزها بضالتنا المنشودة . ادخل وسرح نظرك في هذا المعبد الجليل الذي شيده قبل الدستور البنانيون . وهو لا البنانيون لا يتعشقون الا كليروس كما تعلم على انهم لا يكرهون الشوب الكهنوتي الذي يلبسونه في دور الرئاسة دائماً وفي دور السياسة عند ميسس الحاجة . هو لا الاحرار الكرام وفيهم من الشبان العالم والمصلح والحكيم وفيهم ايضاً من يحتاجون الى كثير من العلم والاصلاح والحكمة يعبدون الحرية فوق كل شيء . ويفادون اليوم وغداً بكل لبنان من اجلها . فان كان فيهم من يستحق ان يكون زعيم الشعب الا تظنه يلبس الارجوان ويغطي اذنيه بقلنسوة من حرير اذا تبوأ غداً كرسي الزعامة . دعنا من المجاز . الا تظنه وان كان رجل الشعب اسماً يكون فعلاً رجل البنانيين ؟ هل انت من رأينا . او لا تثق بهو لا الشبان المصلحين ؟ تعال اذا نطلب رجل الشعب بين شيوخ لبنان واعيانهم نحن الان في كنيسة الجامعة اللبنانية وفيها هيكل كبير في الصدر لشفيهم « مار نظام » له المجد . وهيكلان صغيران الى جانبيه للحرية والاخاء . وما قولك بهذا المجمع الجامع اللامع . هو لا هم اسيادنا اللبنانيون الصادقون . هو لا هم الوطنيون الطاهرون الذين يبيعون املاكهم كلها ليحافظوا ان اقتضى الامر على امتيازات لبنان . هو لا هم الابطال الذين يشتررون النظام

الجليل الشمين بدمائهم ودماء اولادهم ونسائهم . ايريبك قولنا ؟
 الا ترى فيهم الامير والشيخ والوجيه والصحافي والكاهن
 و « الكرخنجي » ؟ ومن من هؤلاء لا يبذل النفس والنفيس
 من اجل « مار نظام » العزيز ؟ من منهم لا يحمل « المارتيني » اذا
 اقتضى الامر دفاعاً عن وطنه وحباً بامتيازات وطنه ؟ الا تظن
 هذا « الكرخنجي » يصلح ان يكون رجل الشعب وهو اقرب
 الناس الى الشعب واعرفهم به واكثرهم انصافاً له ؟ او لا تظن ان
 هذا الخبر المفضال وهو اشدّهم شغفاً بحب الشعب الذي يظن الربة
 في رأسه طوقاً مقدساً من سيدة حريصة او هذا الامير
 ما بالك تضحك ؟ الا ترى رجل الشعب بين هؤلاء الاسياد
 الغطاريف ؟ اتظنهم كلهم مثل اخوانهم الذين يعبدون سيدة
 بكركي في هيكल الاتحاد والترقي ؟ - اتبعني اذا .
 هذي هي سراي الحكومة . اريد ان تدخل ؟ اتقول لا ؟
 وانا من رأيتك . لماذا نضيع وقتنا وزيتنا سدى ؟ اشعل السراج
 اذا وتقدم .

أتخيفك هذه الظلمات . نحن الان في قرى لبنان وقد خيم
 الليل والسكوت . اما هذا النور الضئيل الذي تشاهده في كل
 قرية فهو نور الجمعيات التي تضم اليها اليوم كل من استفاق
 مؤخراً من نومه وشفى قليلاً من مرضه . فهل تظننا نجد رجل
 الشعب فيها واعضاؤها على الحالة التي وصفناها ؟ امش اذا ولا

تيأس . قد يكون رجل الشعب في حقولي هذا الفلاح صاحب
العبادة المرقعة . وقد يكون كامناً في احشاء تلك الفلاحة التي
سلمت علينا . تباركت ثمرة بطنك ايتها الاخت الفلاحة . وتبارك
من يعرفها ويكرمها متى ظهرت في الناس لتقود وتهدي الناس .
الوداع ايها الرفيق فقد صرفنا بعض الوقت والزيت في البحث
عن رجل الشعب ولم نصرفه باطلاً .

اما الان فقد مضى العام على عهد الحرية عندنا واللبنانيون
يحتمون ويخطبون ويتباحثون ويتشاكسون وينادون - بماذا ؟
بلاشي . وينددون ويولفون الجمعيات والاحزاب والوفود .
ويحلون العقد والمشكلات بالتمويه والمسايرة والوعود .

مضى عام على حريتنا ولم يمض معه شيء من خمولنا ومصانعاتنا
ورخائنا . ومن شقاقتنا وادعائنا وعبوديتنا . مضى العام الاول على
الدستور واسيادنا الاحرار هم اسيادنا بالامس والشعب هو ذات
الشعب المفلوج الضريع الذي قضى حياته في ظلمات الجهل والعذاب .
الشعب المفلوج الضريع ماذا تنفعه الحرية والنفس فيه صماء .
الشعب الضريع المفلوج ماذا يفيدته قولك له « انا من الشعب انا
رجل الشعب » . ان كنت من الشعب يا هذا فاسفي عليك . ان
نفسك مفلوجة ضريرة . وان كنت رجل الشعب فبربك قل لنا
كيف تعالج الفالج وكيف تداوي العما . فان كان عندك دواء
نافع فهاهنا . هاته باسم الله . داو هذا الشعب بل هذه الامة . داوها

شأت اولم تشا . داوها وان اضطرك ذلك الى تقييدها ليلة
ونهاراً او سنة وسنتين لتشفى . داوها بالسيف ان كنت تتأكد
انها بالسيف تبرأ .

ان كنت رجل الشعب ايها الزعيم المحبوب . ان كنت واثقاً
ان العناية الالهية اختصتك لتكون طبيب هذه الامة فلا تنتظر
من الصحافة شهادتها ولا من الحكومة فرمانها . ولا تنتظر ريثما
الناس يسمونك ويرشحونك وينتخبونك - وبعد ذلك
يرذلونك ..

ولكن قبل ان تنادي : « دواء للفالج دواء للعين » أرني ان
شئت ما في خرجك . ما هذه المراهم والنباتات ؟ أليست التي
يتاجر بها « المغربي » ذاك الذي درس الطب ثلاثين سنة في مغارة
دانيال ؟

ألا تعرف « المغربي » ؟ أما رأيته في زمانك راكباً كديشه
وصيدليته في الخرج وراءه ؟ أما سمعته ينادي : دواء للرأس دواء
للعين ! ان اعشابك من اعشابه ايها الزعيم العزيز ومراهمك هي
نفس مراهمه . فالأصلح لك وللامة اذاً ان تبيع كديشك وترجع
الى بيتك .

تبغ وملح للفالج والعماء ! سبحان الهادي . أظن يا زعيمي
المحنك المبتك ان زرع التبغ واستخراج الملح يشفيان فالج
النفس وعماءها ؟ أظن ان التبغ والملح يستحيلان نوراً وهداية

في قلوب اللبنانيين ؟ أظن ان المال في صندوق الحكومة يصلح
الشؤون اذا لم يكن في الحكومة من يعرف كيف يستخدم
المال لخير الامة الادبي الروحي قبل خيرها المادي ؟ رح في سبيلك
ايها المداوي اللادوي وقبل ان تكرهنا او تنسانا اذكر منا هذه
الكلمة : خير لك ان تكون حملاً او سكافاً من ان تكون
مشعوذاً .

ان بلانا ايها الاخوان من (مغاربة) السياسة الذين درسوا
المداواة ثلاثين سنة في مغارة دانيال وخانيال وناققيال وشركاوهم .
ان بلانا من المصلحين الذين لا يصلحون انفسهم . ان بلانا من
المشعوذين المدغلين الذين يسجدون في الهيكل التركي لسيدة
بكركي . بلاه الشعب من اسياده الذين لم يزالوا يسخرونه
ويرهقونه . بلاه الشعب من الذين اورثوا الشعب الفالج والعما .
وجاءوا اليوم يتجيبون اليه ليداووه : دواء للفالج دواء للعين !
ورب السموات ان كنت لا تطرد « المغربي » من بيتك يا اخي
وترمي باعشابه الى النار تموت ولا شك مفلوجاً ضريراً .

من المبكيات المضحكات ان تسمع اليوم من يتساءلون :
ومن ياترى يستحق ان يخلف رجل الشعب ؟ هنيئاً لك يا رجل
الشعب . فقد ارتحت في الاقل من المناذاة : دواء للفالج دواء للعين !
ومن دانيال وخانيال وناققيال الذين لا يريدون ان تداوي شعبك
بغير المراهم الفاسدة والاعشاب السامة .

لا يا اصحابي لا يا سيادي . ان رجل الشعب الحقيقي لا ينتخب ولا يعزل ولا يقاوم ولا يموت . ان روحه تظل حية وعاملة في الامة بعد ان يقف نبضان قلبه . ان اعماله لا تموت اذا غرست في قلب شعب حي قوي . اعصابه سليمة ونظره سليم . ان اعمال الرجل العظيم كنهر يتدفق من اعالي الجبال في اودية الهيئة الاجتماعية وسهولها . ولا يكاد يخف ماؤه او ينضب بعد سنتين او بعد عصور طوال حتى يبعث الله رجلاً اخر عظيماً فيحيي فيه الارواح التي تلاشت على ضفتي النهر الابدي . اليس من المضحكات اذاً ان نتساءل : ومن ياترى يخلف رجل الشعب وهل تظن ان الزعيم الثابت الحر الصادق كقالة كتبها بساعة او بيوم فتقرأها وتفهمها بخمس دقائق ؟ ألا يخطر في بالك ان لو كان صنع الرجال العظام امراً سهلاً لكان يلد في العالم رجل عظيم كل يوم ؟ أتظن ان ارادتي وارادتك وارادة من هم اكبر مني ومنك . قناصل كانوا او بطاركة . بل ارادة الملوك والسلاطين تجعل « المغربي » حكيماً والمشعوذ زعيماً ؟ أتظن ان في امكان الاحزاب ان تصنع الزعماء كما يصنع الخزاف انا . ثميناً او الصيقل درعاً متينة اذا كنت تعتقد هذا الاعتقاد ولا تنبذه سريعاً نبذ النواة فسيرك ومسير اتباعك وعبيدك الى الهلاك . اذا كنت لاتصرع اعتقادك الفاسد يا اخي فاعتقادك يصرك . اذا كنت تظن يا صاحب السعادة بل يا صاحب الدولة بل يا صاحب الجلالة ان زعيم الناس

كانا من الفخار تصنعه كالفخاري بساعة واحدة وتكسره ان
 شئت بضربة واحدة فانت اما مخطى . واهم واما جاهل مكابر .
 وفي كلا الحالين لا خير فيك لوطنك او لنفسك لا في اقوالك
 ولا في اعمالك . الزعيم الحقيقي يامولاي هو من السماء ونصره
 وكسره في يد الله . ينبغي لك اذا ان تصلح عقيدتك قبل ان
 ترفع في سبيل الاصلاح عقيرتك . ينبغي لك ان تبيع كديشك
 وترمي بخرجك وعقاقيرك الى النار وتقرأ في كتاب الحكمة والزعامة
 على عالميال وصادقيال لا على ما كريات وناققيال .

ان لبنان اليوم لفي حاجة الى بطل حقيقي لا الى رجل او
 نصف رجل او ربع رجل او لا رجل يدعى زعيماً . نحن في حاجة
 الى من يستطيع ان يجمع شتات هذا المليون من ضعفاء بل من
 بؤساء البشر . نحن في حاجة الى بطل يحكم هذه الامة ويهديها سوا
 السبيل . وهل تظن ان الطبيعة في لبنان تضن على ابنائه بمثل
 واشنطون او ابي بكر او كرمول ولو في شكل صغير ؟ يشهد
 تاريخنا انها لم تضن علينا بالابطال في الماضي . وتشهد سماونا وتشهد
 شمسنا انها لا تضن بهم في المستقبل .

وعندنا ان مثل هذا الزعيم العظيم يباشر اصلاح الجيش
 فيضاعفه وينظمه قبل كل شي . ثم ينظر الى الشعب المفلوج
 الضرير فيداويه بغير زرع التبغ واستخراج الملح وتاليف الجمعيات
 في القرى . لا ننكر ان هذه كلها لازمة مفيدة . ولكن الازم

اهم . وعلى الاثرم تتوقف اليوم حياتنا . ان ابا بكرنا ياسيدي
الامير لا يصيح كالمغاربة : دوا . للفالج دوا . للعين . لكنه يقبض
المبضع بيد من حديد ويشتغل باسم الله . ان واشنطوننا بعد ان
ينظم جيشه ينظر في البلاد الى من كثرت اموالهم وقلت اعمالهم
كالرهبان مثلاً فيحاسبهم بعدل وانصاف ويبيني بما يأخذ منهم
المدارس العمومية في كل القرى . والمدارس الزراعية الصناعية
في كل الاقضية . هذا هو دوا . الطبيب الصادق الماهر لفالج
النفس وعماها .

مثل هذا الرجل اذا دخل مجلس الادارة ورأى الاعضاء .
يدخون الاركيلة وينمسون يطردهم قائلاً : « الى بيوتكم . دخوا
هناك وناموا الى الابد . واذا كان اللبنانيون لا ينتخبون من
لا يدخن ساعة العمل وينام فانا انتخبه انا اعينه . واذا رأيت
يدخن بعد ذلك في المجلس اكسر والله الاركيلة على رأسه »
بمثل هذه اللهجة كان كرمول يكلم مجلس نواب الانكليز .
ولما رأى ذات يوم ان قد استفحل امرهم معه اخرج ساعته من
جيبه ورمى بها الى الارض قائلاً : « ان لم تستقيموا احطمكم
مثل هذه الساعة » وبعدئذ طردهم وقال « اريد في المجلس اناساً
صادقين عادلين »

مثل هذا الزعيم اذا تصدى له اولئك الافاضل المحضكون
المبنكون الذين ترسلهم الدول الاوروبية ليتعلموا عندنا السياسة

الشرقية بل ليكذبوا عنها في الدوائر الرسمية يقول لهم : وبأي حق تتدخلون في الصغير والكبير من شؤوننا ؟ فإذا برز القناصل أوامر وزرائهم يقول لأولئك الذوات الكبار : « لما سألت دماؤنا في الماضي آستنا حكوماتكم وضدت جروحنا بهذا الذي ندعوه نظام لبنان . حمتنا لتحمي نفسها من حرب اوروبية طاحنة . وفي كل حال نحن لها ولكم شاكرون . اما الان وقد برى الجرح فلم نعد في حاجة الى العصابة ولا الى عناية هؤلاء المرضى قناصلكم . بل قد صرنا رجالاً اصحاء نأبى الضيم والحيف مثلكم ونسألكم ان تعاملونا كما تريدون ان تعاملوا »

هذا هو رجل الشعب . هذا هو بطل الامة . ولا تظن ايها القارىء ان في امكان الصحافة ان توجد مثل هذا الرجل . لا . ولا الاحزاب ولا القناصل ولا البطاريكة ولا الشعب يوجدده . البطل هو ابن السماوات والارض ولا يوجدده في الناس كما قلنا الا الله . فان كنت يا اخي اللبناني تشعر ان في جلدك شيئاً من البطل ولا فرق عندي ان غطأت جلدك هذا بعباءة مرقعة او « بالفراك الاتوركا » او بالحريز والارجوان ان كنت واثقاً متأكداً ان في قلبك شيئاً من نور الله اظهر باسم الله واحكممني وسخرني في سبيل الحق والوطن . اظهر فلا تظل طويلاً مجهولاً . اذا كانت تلك الروح العظيمة داخل جلدك وذاك النور الالهي في قلبك يتبعك الناس ويطيعونك بل يؤثرونك ويعبدونك .

نعم يا اخوتي نعم يا سيادي . اني اؤكد ان السماوات والارض
في لبنان لا تضن علينا ببطل لبناني في المستقبل . ولكن متى
يظهر واين . . ؟ ان نبوتي لا تتجاوز هذا الحد .
والسلام عليك يا ابنة لبنان .

تباركت ثمرة بطنك ايتها الاخيرة الفلاحية . تباركت في
احسانك جرثومة الابطال . وتبارك من يراها ويعرفها ويمجدها متى
ظهرت في الناس لتقود وتهدي الناس .



الشعر المنشور

يدعى هذا النوع من الشعر الجديد Vers libres بالفرنسية وبالانكليزية Free verse اي الشعر الحر او بالخرى المطلق . وهو آخر ما اتصل اليه الارتقاء الشعري عند الافرنج وبالاخص عند الاميركيين والانكليز . فلقن وشكسبير اطلقا الشعر الانكليزي من قيود القافية وولت ووتن Walt Witman الاميريكي اطلقه من قيود العروض كالاوزان الاصطلاحية والابجدة العرفية . على ان لهذا الشعر المطلق وزناً جديداً مخصوصاً وقد تجي القصيدة فيه من البحر عديدة متنوعة .

وولت ووتن هو مخترع هذه الطريقة وحامل لوائها . وقد انضم تحت لوائه بعد موته كثير من شعراء اوربا العصريين . وفي الولايات المتحدة اليوم جمعيات «وتمنية» ينضم اليها فريق كبير من الادباء المغالين بحاسن شعره الجميلة المتخلقين باخلاقه الديمقراطية المتشيعين لفلسفته الاميركية . اذ ان شعره لا تنحصر مزايه بقلبه الغريب الجديد فقط بل فيه من الفلسفة والتأوير ما هو اغرب واجد .

الثورة

ويومها القطوب العصيب . وليلها المنير العجيب
ونجمها الافل يحدج بعينه الرقيب .
وصوت فوضاها الرهيب . من هتاف ولج ونحيب . وزئير
وعندلة ونعيب

وطغاة الزمان يسامون نارا . واخياره يحملون الصليب .
ويل يومئذ للظالمين . للمستكبرين والمفسدين .
هو يوم من السنين . بل ساعة من يوم الدين
ويل يومئذ للظالمين .

* * *

هي الثورة ويومها العبوس الرهيب .
الوية كالشقيق تموج . تثير البعيد . تنير القريب
وطبول تردد صدى نشيد عجيب .
وابواق تنادي كل سميع بحبيب .
وشرر عيون القوم يرمي باللهيب .
ونار تسأل هل من مزيد . وسيف يحجب . وهول يشيب .
ويل يومئذ للظالمين . ويل لهم من كل مريد مهين
طلاب للحق عنيد مدين . ويل للمستعزين والمستأمنين .
هي ساعة للظالمين .

هي الثورة وابناؤها الحفاة . وصبيانها المسترجلون العتاة .
 ورجالها الاشداء . الاباة . ونسائها المتنمرات .
 وخطبائها وخطيباتها الفصيحات . وزعمائها ووزغياتها المتنمرات
 ويل يومئذ للظالمين .
 انذرهم باغلال وسعير . بقنابل تفجر ويوم عسير .
 يوم لا ينهون ولا يأمرون . ولا يطلقون فيهربون
 ويل يومئذ للظالمين .

* * *

الم يأتهم حديث الرومان .
 يوم شنف قيصر^(١) بالارجوان . ومد يده الى الصولجان .
 فاذا هو صريع احرار ذاك الزمان . قتيل مهان كثير الطعام .
 ويل يومئذ للظالمين .

* * *

الم نقس عليهم قصص باريس .
 يوم ذك البستيل وزفت المحابيس . يوم قطع رأس الملك لويس^(٢) .
 وحزت رقاب كبار الفرنسيين . وفر الطاعون من هول باريس .
 ويل يومئذ للظالمين .

* * *

(١) يريد يوليوس قيصر وروايته مشهورة (٢) لويس السادس عشر

ونبأ الانكليز .

يوم بايع القوم بياع الجمعة^(١) وقالوا هذا ولي عزيز .

يوم نادى الخمار بالناس والملك في حرز حرز .

فاذا بالمستضعفين اشداء وشارل المليك ذليل نبيند . بل على المشنقة يستعيد

ويل^١ يومئذ للظالمين . من كل متمرد متمرّد مدين .

ويل^١ يومئذ للمفسدين . من نصر البنود الحمر الميين .

* * *

ونبأ العالم الجديد .

الم يروا لهيب الاتون في العالم الجديد . حيث يطرح كل جازر مريد

حيث يحرق الارجوان وتذوب تيجان الحديد .

حيث تحرر العبيد . ويموت الناس من اجر هولاء السود المناكيد

حيث قام الاذل على الاعز . والوضيع على الجبار الغنيّد .

ويل^١ يومئذ للظالمين . يوم يتمتع الله المستعبدين .

ويطلق في الشعوب سلطان روح كين . بل يضرّم من ناره البراكين

بل يثير في الجموع روح الامين . روح كل زعيم صادق امين .

يوم ليرث المظلوم سيف الظالم الاثيم .

ويذيق المفسدين حرّ عذاب اليم . في هذه الارض لافي الجحيم .

ويل^١ يومئذ للظالمين . من كل متمرد متمرّد مدين .

ويل^١ يومئذ للمفسدين . من نصر البنود الحمر الميين .

(١) كرومويل وهو زعيم الثورة الانكليزية التي انتهت بقتل شارل الاول

ريـح سموم

وبربك القيوم . ما الذي تظنه يدوم ؟
صوت سمعته في الكروم . وقد مرت عليها ريـح سموم . نجفت
الارض وعادت جزرة كثيرة الكلوم .
سقطت الجفان عن فسانلها وفزعت اوراقها الى الغيوم .
صوت صارخ في صفوف النجوم . ما الذي تظنه يدوم ؟

* * *

من صروح زاهية فخيمة . من رياض زاهرة كريمة . من بروج
شاهقة عظيمة . من معامل حديثة او قديمة . ما الذي
تظنه يدوم ؟

من انفاق منورة تحت الانهار . من ارتال فيها يدفعها الكهرباء .
او يجرها البخار . من بوارج ماخرات في البحار . من
اساطيل تنذر بالدمار . من معالم ومعاهد في الامصار .
ما الذي تظنه يدوم ؟

من انفاق تحت الاديم ملوؤها عجاجة . تنفثها وتشيرها القطر
الولاجة . من قباب بين السحاب وهاجة . ما الذي
تظنه يدوم ؟

من جسور فوق المياه جسيمة . من جزائر على المياه عظيمة . من

جبال تحت المياه قديمة . ما الذي تظنه يدوم ؟
 من سدود محكمة منيعة . من خليج كونتها الطبيعية . من ترع
 توثف بين البحار . وتجمع بين بعيد الاقطار والامصار .
 من خطوط حديدية تطوق الارض . من اسلاك برقية
 تطوي المسافات في الطول والعرض . ما الذي تظنه يدوم ؟
 من ابنية ذات الطبقات العشرين . من احياء في المدن الكبرى
 يأوي اليها جموع البائسين . من معابد وبيع لا اثر فيها
 للدين . من اصقاع لا صوت فيها للاحرار الصالحين .
 ما الذي تظنه يدوم ؟

من قصور مكتنفة برياض خضراء . من صروح الملوك والامراء .
 من دور الرؤساء والاغنياء . من اكواخ البؤساء
 والفقراء . ما الذي تظنه يدوم ؟
 من شرائع وديانات ونظامات . من تقاليد وعادات وخرافات .
 من اديان وعقائد وخزعبلات . من دول وممالك
 وحكومات . من احزاب وطوائف وجماعات . ما
 الذي تظنه يدوم ؟

صوت صارخ من وراء الغيوم . صوت ربح بسموم . اي شي
 يدوم ؟

مهلاً مهلاً . انها كلها صالحة في ذاتها . انها كلها حسنة في وقتها .
 لكل شي . من العز والمجد اركان . لكل شي . من ابنا البطر

والاشراعوان . لكل شي . برهة من دهره الوسنان
ساعة او عام او قرن من الزمان . الطويل من الدهر في عين الازل
والقصير سنان .
فلا تظنها الى الابد تدوم . لا وربك القيوم . مبدع الشمس
والنجوم .

الى حين ياخي الى حين . كل ما في العالمين . اي ورب العالمين .
الى حين . وبعد فقل لي هل انت من المحترين . هل
انت من القائلين السائلين . وبعد ذلك وبعد حين ؟
اما في زمانك تأملت المغاور في الصخور . فاذا ذكر ان الامطار
والرياح تكونها . والامطار والرياح تهدمها .
ان كل ما هو محترم معبود . من اضاليل الزمان والجدود . يظل
في حرز حرز الى ان يظهر في الناس رجل عظيم عزيز .
بطل تجود به الايام . فيصرخ في وجه الائمة والحكام . صرخة ترددها
البحار والآكام . وهو قائم على المظالم البشرية . مناضل
عن الحقيقة والحرية . باذل مهجته في سبيل الانسانية .
اجل ان كل شي : لحرز في موضعه حصين . الى ان يزلزله رجل
حصيف رشيد . او امرأة عظيمة ذات رأي مسديد .
ومهما كانت حصونكم متينة منيعة . فساعة الزلزال والدمار شديدة
سريعة .

ساعتئذ يتحدث الركبان في صنيع لأحد العظام جميل . او عمل
 لا يحدى العظيما ت جليل .
 اجل ان كل شي . حريز في موضعه حصين الى ان يقف امام القوم رجل
 صالح ذو رأي سديد . حر فصيح غني . او امرأة
 صالحة ذات رأي سديد . حرة فصيحة لسانها من حديد .
 يومئذ يعلو صوت المطالب بحقوق المستضعفين المستذلين المستعبدين .
 صوت الامناء والامينات من زعماء وزعيمات على كل
 ظالم جبار مهين .

* * *

وبعد ان تلاشت رياح السموم . تلاها نسيم العليم الرحيم . فدخلت
 في اثره غابة من الصنوبر كثيفة الظلال . وسمعت من
 خلال الاغصان . صوت المحبة والمعروف والحنان .
 سمعت صوتاً يقول : ورب الاكوان . لا يبدوم الا الاحسان
 والعرفان . لا يدوم الا السجايا الروحية الفريدة .
 سجايا النفس البشرية الخالدة .
 لا تدوم الا آثار النهضة الجليلة . وماثر الانفس السامية النبيلة .
 وما اسخف الجدل والمنطق والبرهان امام مشروع جليل . وما
 اوهن التعاليم الوضعية تجاه خطب جسيم . وما اوهى
 الاقوال والاداء اذا قوبلت بنظرة من رجل عظيم .
 او صادفت نفحة من نفحات حكيم .

عند ما يرفع مثل هذا البشر رأسه وصوته ولا فرق عندي رجلاً كان
 او امرأة يقف دولاب الاعمال . ولا يبقى شي على حال .
 عندئذ يبطل الجدال . وتنكسر شوكة المال . وتحشر الرجال .
 وتكبر الآمال .

يومئذ تنقلب المجتمعات . وترتعد فرائض الطغاة الحفاة .
 يومئذ تنقلب العادات والعبادات . وتهب على الارض الذاريات
 السافيات .

فيسأل السائل من وراء النجوم : اين مالكم ونفوذكم وشوكتكم .
 اين تقاليدكم وطرائقكم ولاهوتكم . اين شرانعكم وديساتيركم
 وحكوماتكم . اين حصونكم وصروحكم وسجونكم
 وجنودكم . اين مصانعكم ومعاهدكم . اين زخرفكم
 وسفاسفكم ؟

فقل ان هي الامدة من الدهر الوسنان . ساعة او عام او عصر
 من الزمان .

قل ورب الاكوان . لا بقاء لما سوى الجد والعرفان . والمعروف
 والحب والاحسان .

فهي هي الجبال الراسيات . وهي هي الحصون الواقيات . وهي
 هي الباقيات الصالحات .

بلى ورب السماء والنجوم . لا يفلح المستكبر الظلوم . ولن تدوم الا
 اثار النفوس الزكية السامية . ووجه ربك الحي القيوم .

تحت الرماد وفوق النجوم

- تحت الرماد وفوق النجوم . ما لا يرى من حياة تدوم -

رأيت فضيلة اليوم تجر اذيال الفجر والتبيجج في شارع الريا . وفي
ازقة الورع والقداسة فكرهتها نفسي .

ورأيت ما يسميه الناس رذيلة تقضي حياتها في ظلمات السكون
والكتمان . وراء ستار الخمول والنسيان فحن اليها
فؤادي .

لم اذا نبغض الاشرار . ولم اذا نعبد الابرار .

لماذا نميل وجهنا عن الفقراء ، الاذلاء . ونعفره امام الاغنياء والامراء .
ان علية القوم اوطاهم ايها الاخوان فاحذروا من تكرهون ومن
تحبون . من تحتقرون ومن تجلون .

وغدا ينير الله قلوبكم فتعرفون الحق وتعبدون .

لا والله انالا اشمخ بانقي على الصعلوك ولا اعفر وجهي امام الملوك .

- ان تحت الرماد وفوق النجوم • ما لا يرى من حياة تدوم -
اعلموا ان الكل في عيني سواء • من الوجهة التي انظر منها الى الناس
كيف لا وتحت رماد نفس هذا الشرير جذوة خير حية • وفي بستان
ذاك الصديق كثير من الجذور السامة والنباتات الكريهة
الرائحة •

كيف لا وفي الصعلوك نفس تكبر اذا انطلقت من القيود والاغلال
وفي الملك نفس تصغر اذا جردت من ترهات الابهة
واباطيل الاجلال •

لم اذا يحسد الانسان هولاء الاغنياء والاقوياء • واولئك الملوك
والامراء ؟ ان افقر البشر حالاً • وواضعهم شأنًا واقلمهم
مالاً • هو من اعظم الناس • اذا كان لا يحسد احداً من الناس

- ان تحت الرماد وفوق النجوم • ما لا يرى من حياة تدوم -
انا لا اغبط من ابنا آدم الا الرجل الحر حقاً • الحر ايماناً وعملاً •
الحر بداية ونهاية • واني اذا وجدت مثل هذا الرجل
لأجله فوق كل اجلال •

اما الاغنياء والاقوياء • والملوك والامراء - تباركت اسمائهم -
فمعظمهم امام مكتسبة اصطناعية • واما خلقية طبيعية
وجل ما في القوة المكتسبة مسروق منهوب • ومعظم
العظمة الاصطناعية مختلس مسلوب •

العظمة العرضية الاصطناعية • هي كالسوس في عظام القوة الحقيقية
ومن يحسد السوس في العظام • او الذباب فوق الطعام
او الجراد على الاكام •

واما العظمة الخلقية الطبيعية فهي وايم الله من روح الله •
وانا اطأطي رأسي امام كل قوة بشرية فيها شيء من جوهر الذات
الالهية •

وان اسمي ما في قلب الانسان من العواطف الشريفة هي تلك
التي تتجلى في اتضاعه وخشوعه امام العظمة البشرية
الخلقية التي هي حقيقة الله في الناس •

- ان تحت الرماد وفوق النجوم • ما لا ترى من حياة تدوم -



داويني ربة الوادي

- داويني ربة الوادي داويني .
- ربة الغاب اذكريني . ربة المروج اشفيني .
- ربة الانشاد انصريني .

* *

الا تذكرين يوم رددت وحيك بين قوم لا يشر كون مع البعل لها ؟
ويوم قدمت ذبيحة للزهرة من يد من لا يعرف من الالهة سواها .
ويوم ناديت باسمك في هيكل ايزيس فطر دني من الهيكل
الكهان .

ويوم تصاعد دخان بخورك على (الاولب) فاكفر منه جبين رب
الاولثان .

- انا من وضع بخورك في بجامر الخدام في هياكل الرومان .
- انا من عقد اوتارك في قيشارة راقصات بابل وقين اليونان .
- اوتسيت ما زرعت يدي حول هيكل تموز من الاشجار ؟ .
- وما حاكته يدي لربة الفينيقيين من اكاليل الغار والازهار .
- وما خطته يدي في كتاب عبدة الشمس والنار .
- وما حطمت يدي من تماثيل الطغاة ودمى كبار الابرار .

داويني ربة الوادي داويني .
 ربة المروج اشفييني . ربة الانشاد انصرييني .
 انشديني على قيثارك من الالحان التي تردد صداها اليوم طيور
 الغاب وشحارير البستان .
 انشديني من الانعام . التي يطرف بها الرعاة الانعام .
 صوت نايك في الدجى . وصوت ارغنك في الضحى . اسمعيني .
 الى صوت عبادك على ضفات الانهار . وصوت اولادك في القفار .
 اهديني .
 انشري الان حول سريري . ما كن في الحقول من عبيري .
 اسكبي الان فوق راسي . ما تركته الاحقاب في كاسي .
 الحفيني بحبك . ضمخيني بطيبك . انعشيني بهمس شفقتك .
 وبلمس اناملك .
 رددني على مسامعي الان . ما نسيته مما علمتني من الالحان .
 اسمعيني الان . ما رددته عنك في مجالس قين بابل واليونان .
 داويني ربة الوادي داويني .
 ربة الانشاد اصلحيني .

* * *

انا ناي الرعاة من عبادك . انا عود العشاق من عبادك .
 انا ارغن المنترد من عبيدك . انا كنارة الراقصات ليلة عيدك .
 انا النفس التي تتجلى فيها عرائس جمالك . وتنبعث منها اشعة

نورك . وتنطبع عليها اسفار حكمتك . وترف فوقها
بلابل سحرك .

انا صوتك حسدته الدهور . انا روحك ازلت في الفيدا وفي الزبور .
انا رسولك الى صفوة العباد . الى خير من زين الاحلام في المعاد .
بل الى كل من هام في كل واد .

انا وحيك في نشيد الانشاد . انا نورك في نفس من سربل التوبة
بالانشاد .

انا في قيثارك نغمة حبسها الجبل ضمن جدران الاهرام . بل انا
اغنية رددتها الليالي على الاعوام .

انا في قيثارك روح الفقنس تحت رماد المنون . بل روح ارفيوس
فوق امواج الفنون .

اجل انا قيثارك . وانا صوتك . وانا نشيدك .
ولكن يداً ائيمة خنقت البلبل في القيثار . وقطعت منه الاوتار .
فجاءت اليوم بنات الهديل تدواي بسجها سجمي
العليل .

داويني ربة الوادي داويني .
ربة المروج اشفيني . ربة الانشاد انصريني .

* * *

المسيحي باناملك . تعيدي الي بها . ملكي .
عوديني في الاسحار . تشتد من نلماتك الاوتار .

غصن من الورد

ر كبت في الامصار البعيدة هواي وأرحته من عنانه •
 غرست في بساتين الغرباء حبي فنور قبل اوانه •
 غرسته في ارض سمراء • جديدة فناحت عليه زهور زمانه •
 طرحت بذور حبي جزافاً ذات اليمين وذات الشمال •
 طرحتها في سهول الحرية • فاحرقها قيظ الفوضى وداستها ارجل الهمجية •
 طرحتها في انجاد العلم فاييس ما نبت منها الصرُ وحملت رياح النزاع •
 البقية الى حيث لا ادري •
 طرحتها على شواطئ نهر الفلسفة الراكد فذوت في ظلاله الظليلة •
 ماتت لانها لم ترَ نور الشمس •
 غرست حبي في غياض الحضارة الغيضا • فادمتها الاشواك • خنقه •
 العليق • قتلتها الجذور السامة •
 غرسته في ارض الاحباء والخلان فأت بالاستسقاء في مستنقعات •
 الكذب والرياء •
 غرسته في حقول التجارة • تجاه طواحين التمدن • بين بيت الصراف •
 وبيت الكاهن • فتواطأ الاثنان عليه ومدأ في قلبه البلاط رصيفاً •
 للصوص •

لاولئك اللصوص الذين يوأكلون ويشاربون القضاة .
 ذهبت بجبي الى الفقراء والبؤساء . فعرسته في ارضهم الجدياء فلم ينبت
 غرسته في دار ام الحبي . فاقتلعتة ورمته قصياً وهي تقول : اذهب
 في طريقك . جانا قبلك معزّون فقتلوا - صلبوا -
 حرقوا . نطلب انصافاً وعدلاً . لا تعزية ورحمة .
 جزت حي البؤساء الى مغاور اللصوص والاشقياء . الى المنبوذين
 والممقوتين .
 وغرست بينهم غصناً نضيراً من حي فعاش قليلاً نحيلاً
 ومات .
 مات في ظلمات البؤساء . والجاحدين . دخان تجديفهم اعماه . صراخ
 قنوطهم ارداه .
 مات في كهف المنبوذين . خنقته روائح البذاذة في فم الجاني
 وفي فم البغي . فكفنه الفاجر بلعنته . وجلقت
 الفاجرة فاها فوق جثته .

* * *

هجرت المدن وتلك المدنية وركبت البحار .
 نثرت على المياه حي كما تنثر شمس تموز ماسها ولا ليها .
 نثرته صباحاً فتلونت الامواج من اهوائه . نثرته مساءً
 فتوهجت من نيرانه الافاق .

كلم حي السحاب فاجابه • دعا البحر قلباه •
لمس حي الافاق بانامله فارتعذت وتموجت مبتهجة متوهجة •

* * *

في صبح يوم من ايام الربيع بعثت حي رائداً في صحراء جديدة
فمضى ولم يعد الي •

ناديته من قم لبنان فلم يجني •
فتشت عليه في الافاق ووراها • في مشرق الشمس ومغربها • فلم
اجده •

تركت حي يهيم ثانية على وجهه •
فركب هواه مرة اخرى وتركني احمر واتأسف عليه • آه علي •
أواه عليه •

* * *

في وطني • في ارض اجدادي • في التربة التي ذاق قديماً حلاوة
ضربة المعول • في يد رجل قوي • غرس غصن ورد
طري •

غرسه والآمال تدفني والعزم يعقد شفتي •
غرسه في مكان عزيز • جعلته في حرز حرير • بعيد من الحضارة
والناس •
ولا فرق عندي الآن ان صُمت مسامعهم وان فتحت •
ولا يهمني اذا استحجرت قلوبهم • او استحالت طيناً • او ذابت

ما • معينا •

انت ايتها الارض امي وسأفرح يوم تضميني الى قلبك كما تضمين
الفصن الذي انا الان غارسه •

انت ايتها الارض حية ابدًا - ابدًا تجلين وابدًا تلدين •
مهما كان ظاهرك فالشعور فيك لا يموت • النار في قلبك لا تحبوا •
الخريف يزيل الوقر من اذنك • والشتاء يحتفظ بقلبك • والربيع
يجري على لسانك • والصيف يريك ثرة احشائك •

ومن افصح منك في الربيع واكرم منك في الصيف ؟
من اشد عطفاً وتهيجاً منك في الشتاء • من اشد سمعاً في الخريف ؟
من ارحم منك ايتها الارض • من الطف واشفق واحلم ؟
تقبلين منا الاقدار وتعطينا عوضها الازهار •

تستنشقين نفاثة امراضنا وروائحها وتعيدنها اليها شفاء طيباً •
تسكب لك السماء كأساً من الماء الزلال فيعكره الانسان فتفيضين
عليه مكافأة خيراتك ومراحمك •

ارض اجدادي افتحي لي قلبك الآن •
لا تجهمني • لا تعبني برجائي وعلمي • لا تحبسي حيي عني دهرًا •
ايتها الارض التي نقيها ابي • وصلت تحت اشجارها امي • لا
تودعي آمالي الصخور • لا تحملها الى قمم الجبال فتقتلها هناك
الثلوج والرياح •

*** * * * * *

على كتف هذا الوادي الذي ردد صدى صراخي وغنائي صغيراً .
 في هذه الارض التي هجرتها قبل ان هجرتني الصبوة .
 غرست غصن ورد طري .

كلمت الارض بيدي لا بلساني . حصبتها ونقبتها بمعولي الصغير .
 أطعمتها من ذاك الاسود الذي تفرزه المواشي ومن
 ذاك الاصفر الذي يكاد يشتعل في الصحراء من قبلة

الشمس ويكاد يذوب على السواحل من قبلة الامواج .
 سقيت غصني من ماء النور . ادوحجت عنه في الطفولة نور الشمس
 رفعت فوقه سرادق حي في الصيف ونثرت حوله اوراق حب
 الخريف في الشتاء .

ولبثت اذ ذاك انتظر جواب الارض وحكمها .
 كم مرة زرت غصني وهزته مستخبراً فلم تبد عليه من الموت
 اشارة ولا من الحياة .

كم مرة افتقدته وقلبت فيه الطرف مستقصياً اخباره .
 كم مرة وقفت امامه والفؤاد يتموج بين اليأس والرجاء .
 تباركت ارض اجدادي . فقد حسن في عينها اجتهادي .
 تباركت ارض امي . فستريني الورد على غصن تعبي وهمي .
 نعم ان الارض كلمتني . اجابت الارض سؤالي . رددت الارض
 صدى حي .

فها ان غصن الورد ينطق كالطفل .

قد بدت على شفثيه لفظة الحياة . واثرت في قلبه الكلمة التي

تساقطت عرقاً من اناملي ومن جبيني .

في فمه لؤلؤة صغيرة ملفوفة بلفافة ذهبية . وفي صباح الغد

تستحيل لفافة لازوردية . وتبدو اللؤلؤة زمردة

نخيفة زدية .

وبعد غد او بعده ينشأ من الزمردة صدفة خضراء . في قلبها بحور

من الورد لا ترى واجيال من الحياة لا تعد .

في قلبها اوراق خضلة صغيرة ملتفة حول عرق نحيف طري لا

يعرف بعد اسم الشوك ولا معناه .

في قلبها اغصان . وفي قلب الاغصان ورد . وفي قلب الورد بذور .

وفي البذور الابدية والخلود .

* * *

كلمتني ارض اجدادي . احيت في الرجا . ضمت الى صدرها

طفل حي وغذته فاحيته يجميل حبها .

نفخت فيه من روحها الازلي فتحرك لسانه .

هو ينطق بما تلقيه اليه من آيات الحب والجمال والحكمة والرجاء .

اين فصاحتي من فصاحتها ؟ .

لا تنطق الارض الا لتحيا . لا تتكلم الا لتزهر وتثمر .

ما قالت « لا » بزمانها قط . فان كان جوابها ايجاباً « فنعم » وان

سلباً فسكوت ابدى .

كل آياتها جميلة • كل اقوالها منعشة بحية •
وليتها تعلم بنيتها القول المشر المنعش الجميل •
او ليتها تعلم بنيتها السكوت •

* * *

كأنني بالارض تقول : ليكن عندك ذرة من الايمان بي واعطني
ساعة من العمل فاعطيك عوضها مئة بل الف ضعف
من الحب والرجاء من السرور واللذة من العزم والنشاط
من الحياة البسيطة النقية التي لاسعادة للانسان الابه

* * *

كل جرثومة على غصن الورد الذي غرسته هي لفظة من الفاظ
الارض العذبة • هي رسالة حب من الام لبنيها •
كل برعم من هذه البراعم هو عقدة من عقد الكون • هو سر
من اسرار الحياة • في اي عصر ولدت ايتها الوردة •
اي ارض شاهدت اول زهرة من ازهارك واستنشقت
اول نفحة من اريجك ؟
من زرع بذرتك الاولى • من غرس اول فرع من فروعك ؟
اول غصن من اغصانك الاصلية الاولى - من نقله من الحقل الى
البستان • من الوادي الى حديقة الانسان ؟
ايتها الوردة البرية بل الوردة السرية من اي دغل نشأت وفي اي
سلم من النباتات الشوكية رقيت ؟

لا تتكلم الارض رمزاً . الارض لا تأمن بنيتها على اسرارها .
 احترز من شرك العلة الاولى . لا تبحث في اصول الاشياء .
 متع نظرك ونفسك فيما تراه وتسمعه وان شئت الدخول الى هيكل
 سر الاسرار فتجرد عن الجسد قبل ان تطأ اسكفة الباب

* * *

اني لاجد لذة شبيهة غريبة في مشاهدة هذه البراعم الجديدة وفي
 مراقبة نشوئها ونموها .

عددتهم والله مراراً كما تعد الام اسنان طفلها .
 افتقدتهم مراراً كما تفتقد الطيور عشوشها .
 تلهفت، اي تلهف على برعم واحد نثرته الرياح منها .
 ولكن زمن السرور قصير . تكاد زبدة الاشياء تذوب قبل ان
 تجمد .

* * *

اواه صرت اخشى الاقتراب من وردتي . فقد اثت فروعها . والتفت
 اغصانها . وقسيت اشواكها .
 اواه صرت انظر اليها بغير العين التي شاهدت نشوئ براعمها ونمو
 فروعها .

لهفي على وردة الحياة . تريني الف شوكة قبل ان تفوح بنفحة
 واحدة من شذاها .

تجرحني مئة مرة قبل ان تعطيني زراً واحداً من ازرارها .

فؤاد^(١)

١

عند مرمر الربيع

عرفتك قبل ان اخضرت من نسמתك الاولى صدور الحقول
وجوانب الربى .

وقبل ان نور المهد من حر شفتيك .
وقبل ان بدد نور عينيك غيوم الشتاء فهذا البحر وانجلى السماء .

* * *

عرفتك قبل ان حاسكت لقصورك الجبال طنافس من العصفور
والاقحوان .

وقبل ان اعدت لسريرك النمارق من الرياحين وريش الصنوبر
وشقائق النعمان .

وقبل ان ملأوا كأسك من دهن اللوز وماء الورد وعصير الرمان

* * *

عرفتك قبل ان نصبت لك العاصفة الاخيرة قوس نصر من دما
ودمعها وزفيرها .

(١) ابن اخته فؤاد يوسف صادر ولد في ٢٧ نيسان سنة ١٩٠٨ وتوفي

في ٢٠ ت ٢ سنة ١٩٠٩ فاستقبله بالقصيدة الاولى وودعه بالثانية

وقبل ان ولت من الغيوم الباكيات واقبلت الضاحكات تجر
ذيوها الفضية فوق صنين .

وقبل ان لحفتك شمس الضحى باسعة الحب والحنان .

وقبل ان رفعت فوق سريرك عند الغروب قبة من نورها الولهان .

* * *

عرفتك قبل ان سدلو على وجهك نقاباً من الغمام . ليحجبوا
هناك هنيهة رب الانام .

عرفتك قبل ان عرفت عيناك معنى الدموع واسرارها .

وقبل ان ذابت عن اهدابك الشاجة الاخيرة وسقطت عليها .

القطرة الاولى من ندى العشق والحياة .

عرفتك قبل ان نور في خديك الورد . وتلالات على شفتيك

الابتسامة .

وقبل ان غردت في الغابات اطيارك . وعطرت الافاق رياحيتك

وازهارك .

عرفتك قبل ان سمعت اذانك هتاف الانهر وعويل الرياح .

عرفتك قبل ان عرفت من الحياة الفسق والليل والصباح .

هزرت سريرك بانفاس كانت لهيباً قبل ان صارت نسيماً .

واصبحت حياة بعد ان كانت سديماً .

وكان ربك بذلك عليماً .

هزرت سريرك باليد التي احترقت مرأفاً فاستحالت مسكاً وبخوراً

حول السرير الكمين .

باليد التي اكتسبت زغباً تحت رأس امير الرياحين .

باليد التي نور في اناملها الجلنار وفي راحتها الترجس والياسمين .

* * *

هزرت سريرك قبل ان نأ الفؤاد مني آساً وغاراً تحت قدميك .

وقبل ان فاض ابتسامي نوراً فوق عرشك .

وقبل ان هطل غيمي دمعاً حول سريرك .

هزرت سرير طفل الربيع قبل ان سار كلي قسماً من سريره .

هزرت في الاعماق . ففاح اريجيه في الآفاق .

هزرت في اعلى عليين . فغردت بلبله في الرياض والبساتين .

* *

عرفتك قبل ان ودعتك السماء . وقبل ان عرفتك الغبرا .

ولكنني استغربت صراخك يا ابن الربيع يا ابن السماء .

ان لفي بكانك سرّاً لا تذيعة الازهار .

وان لفي سكوتك لغزاً حفظته النجوم والاقمار .

وان لفي نظراتك المبهمة الندية شيئاً من غوامض البحار .

* * *

أجثتاً من الم الفراق باكياً . ام جثتاً الوحشة شاكياً ؟

اين منك الروح التي تلقي في العيون سحراً حلالاً فيذوب حباً

وجالاً ؟

اين منك الادراك الذي يلتهب في العالم نجماً فيشع في الشاعر خيالاً ؟
 بل اين من نفسك الان ما حير البرية في الانسان ؟
 اين منك تلك القوة التي اغلّت الصاعقة . وذلت البحار . واسترقت
 الرياح والكهرباء . والبخار ؟

* * *

اتحلم ملائكة السماء بفراش الارض وخفافسها ؟
 او تذكر الفراشة يوم سارت تحت جناحها الشمس ؟
 افي خطوط هذه اليد الصغيرة البضة آثار حبيك النجوم واسرارها ؟
 أو تحت هذه الاهداب الناعمة قبس من نورها ونارها ؟
 اذكر شفتاك الكاس التي سقتكها زنبقة الوادي ؟
 اذكر الغدير الذي كان يغسل قدميك يوم كنت مضطجعاً مع الدفلة
 تحت ظل الدلب والصفاف ؟
 اي ابن الوادي . ان فيك من بهاء الربيع ما فيك من مجد السماء .
 ان لفي هذه الوردة البشرية جذوع الماضي واريح الحاضر وبذرة
 المستقبل .

اقبل رجلك لانني لا انكر الماضي ولا انبذه .
 واقبل عينيك لانني ادراك شاخماً الى العلا .
 واقبل سرتك لرمز فيها بليغ جميل .
 ففي السرة سلسلة الحياة التي لا تتم حلقاتها ان لم تقطع
 يقطعها الانسان فيعيد وصلها الله .

فاذكر قبلاتي الثلاث ان عدت في مستقبلك البعيد الى ماضيك
هذا القريب .

واذكر ايضاً ان في كل قبلة حسرة ما زادها العلم الا اشتعالاً .

* * *

عرفتك قبل ان ودعتك السماء وما عرفت من سر هذا الوجود
سوى الحاء والباء .

عرفتك قبل ان عرفت الربيع وقبل ان هززت سريره الخفي .

عرفتك قبل ان اسرنا فصرنا بديع قواف لشعر الهي .

نظمنا الاله واودعنا سرّاً من اسرار بيانه الازلي .

دقال عليكم بنجم سريع فهو فيكم ومنكم يضي .

بهاء الحياة ومجد الحياة اليكم بنوري اليكم يدي .

فجبنا نجوم النفوس عراة وفينا الخجول وفينا الخليع .

اشدنا هناك بسعد تساوى الملاك العصي به والمطيع .

شهدنا هناك ظلاماً تلاه بهاء تلاه ظلام سريع .

وقفنا حيارى وفي الظلمتين ضياء الحياة يضي ويضيع .

شهدنا الدياجي وفيها الاحاجي فهذا الاله وهذا الربيع .

ذهلنا فقلنا : اربي لماذا ؟ فقال : اسقطوا من مقام رفيع .

وقفنا . دهشنا . سألنا . سقطنا . فجننا وسر القريض نذيع .

فديوان ربك هذا الوجود وفيه السخيف وفيه البديع .

وانت ابن اختي بيت القصيد وخالك شاعر رب الربيع .

HH

٢

عند الحد الربيع

ومثل خيالي اشرقت يوماً وذهبت قبيل الصباح فواد .
 ومثل خيالي النسيتني نعيم الحياة وبونس العباد .
 ومثل خيالي أسكرتني فقلت : « اليراع » فقلت : « الحداد » .
 ومثل خيالي حيرتني رحلت وسرك في ذا الجماد .
 بها . جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد .
 ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد .
 وبلبل نفسك في وحشة - بل بلبل نفسي في تي البلاد .
 وحلو ابتسامك تحت الازاهر ألبس روعي شوك القتاد .
 فراحت الهمة حيي تهيم وتبكي فواد في كل واد .

لله انت من وردة سرية ناطقة فرطها يد القضاء .
 لله انت من شعاع فهم عجيب زال كالظل في البيداء .
 لله انت من طير اسف فوق بحر الحياة فذاق ملحه وعاد الى الفضاء .
 لله انت من طفل سجدت له اطفال السماء .
 ايه اطفال السماء ! وهذا ربيعي اصبح ثلجاً فليت الربيع وليت
 المعاد .

وليت النجوم تحدث عنه فهذه تجاليده في جماد .
 وحلو ابتسامه تحت الازاهر ألبس روعي شوك القتاد .

بنات خيالي انيري حول خيال فوادي في كل واد .

* * *

كشفق من اشفاق الايام . كحلم من جميل الاحلام . كوميض

برق لاح في الظلام - كذلك كان ابتسام الحبيب .

كنفحة من نفحات الجنان . مرت مع نسيم الفجر في البستان .

فرنحت الورد والبيلسان . وايقظت الشوك في القرقفان .

كذلك كانت حياة الحبيب .

كفراشة مختبئة بين الرياحين . امسكها عدو كين . فدفعها الى

جبهة ظالمين . سمعت ادواتهم الانين . فبكت حظ

مثل هؤلاء البنين - كذلك كان نصيب الحبيب .

ويلاه من طب اجهز على الحب .

ويلاه من طب هو الشوك في نبت غمنا . ومن طبيعة هي امنا .

ومن قبور هي لحمنا ودمنا .

بها . جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد .

ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد .

* * *

ركضت حولي في الدار فعلمتني حب الصغار . حباً طاهراً صافياً

كله ازهار .

وقفت الى جانبي في عزاتي فكنت حبيبي وسيدي ومعلمي .

فتحت امامي ابواباً عجزت عن فتحها حكمة الحكماء . وسدتني

بما لا تضاهيه شوكة الملوك والامراء • وهديتني سبيلاً

ضلت في سبيله العلماء •

انكرت سلطة المسيطرين • فجئتني وسلطتك من اعلى عليين •

لله من اطفال هي ملوك في قلوب الرجال •

لله من ضعف صولجانه فوق صولجان ملوك الزمان •

كفرت بحب الاطفال فبعثك الله الي رسولاً •

وصرت عندما اشاهد طفلاً احبيه باسمك ساجداً • واقبله واجداً •

انما هو لا • رسل الله في الناس •

رسل هم الاطفال - رسل الحب والحنان والواجب والجمال •

رسل كلماتهم سلام • وسيوفهم ابتسام •

لله من رسول انت اخلصت لك الايمان • وكنت لك اطوع من

البنان •

ولكنك اليوم حيرتني رحلت وسرك في ذا الجهاد •

ومثل خيالي اشرقت يوماً وغبت قبيل الصباح فواد •

* * *

اقتمت في وادينا صيفاً واحداً كنت فيه الصيف والربيع • وكتبت

في قلوبنا آيات هي خلاصة البيان والبديم •

نظرت الى السماء مساء فادهشك كوكب هناك •

مددت يدك الى القمر كأنه داحية في ذراك •

سمعت انغام الموسيقى فطربت لها كأنها بنات بديك وذاك •

عطف على الازهار واحببت الرياحين كأنما صنعتها يداك .
 حسدك الحسون على زقزقتك . والحمام على حر كاتك . والورد على
 شذاك .

حييت كل عابر طريق باسماء وفي كل امرىء حبيت اخاك .
 كدت تشعر بالخطوب قبل حدوثها فادمعك قبل ان يدمعنا بلاك .
 كللناك بالورد والغار . يا حبيب الرياحين والازهار .
 وفي ربيع السماء الخالد دموعنا طل في الجلنار .
 بل زهور في افلاك تدار .
 بهاء جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد .
 ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد .

* * *

من هضاب جللتها السماء . الى مدينة خيم فوقها البؤس والشقاء .
 حملناك والغم يحملنا الى منبت التمويه والتليس والادعاء . الى
 حمى الاطباء .

ضربت في موطن الفهم والنور . فكان داوئك ذكاك^(١) . دماغ
 هو النبراس . في غشاء هو القرطاس .
 ويلاه من هذا الشهاب . وهذا الالتهاب .

في فترة من الزمان سقيت من مر الحياة مما يفص به جبابرة الزمان .
 يوم اسفقت وقعت فكنت احجية في دانك . كما كنت احجية

(١) اصيب بداء (١) مئة زيجيت (اي التهاب غشاء الدماغ)

في ذكائك .

قال المداون وقالوا . وضربوا في ميدان الحدس وجالوا . وانت

بعيد عن جهل هو عندهم اليقين .

مددوك على لوح التشريح وانت مسرع الى من لا يحسد في

شؤون العالمين .

اشموك المخدرات . وانت في غنى عن هاته الترهات . كيف لا

وقد اشك الداء وخدرك الدواء .

جا الجزار واعوانه بادواتهم وعقاقيرهم . واحاطوا بك ليمعدوك

عن ملائكة اسرعوا الى لقاءك .

بضعوا الجلد . كسروا الجمجمة . اجالوا ادواتهم في الدماغ -

وبلاه من اطباء يخبطون . بل من جزادين يجربزون .

قطبوا الجرح . لفوا رأسك بالشاش . كفوا وجهك الاصفر باوهامهم .

ضمخوك بروائح العذاب والموت . وتركوك على سريرك .

لامك . لايك . لخالك . لربك .

كفناك باغشية قلوبنا وكللناك بالورد والرياحين . بكينناك باسم

كل ما احببته واحبك في وادي الامين .

بها . جمالك في تربة عجبت لترب جمالا يعاد .

ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد .

وحلو ابتسامك تحت الازاهر البس روعي شوك القتاد .

فراحت آلهة حيي تهيم وتبكي فوادي في كل واد .

النفس الراحلة (*)

- على ابواب الجنة تنتظر الارواح احبابها .
- بل تنتظر الاحباب ارواحها .
- آه على المحبين . المودعين والراجلين .

* * *

- اقف عند جثماني . لاودع اصحابي وخلافي .
- ومن فوق نعشي . احبي الاعزاء . المودعين .
- اتخذت الموت منبراً . فرأيت من علاه ما لا ترون . وسمعت ما لا تسمعون .
- جموع مثلكم يعملون في شمال الارض وجنوبها . وارواح مثلي يستحبون .
- في السفينة التي تعبر نهر الموت والحياة . من ابناؤ الارض عظاما . وعظيما .
- هم رفاقي الان الى الجنان .
- فلا تيأسوا . ولا تجزعوا .
- الموت خرافة مرهبة . الموت صورة فانية . الموت منبر اخلود .
- الموت هو الدرجة الاخيرة من سلم العذاب . فلم

(*) تذكر الراحيل دريان المترفة في ١٣ اذار سنة ١٩١٠

تنجبون . ايها الاحباب ؟

على ابواب الجنة تنتظر الارواح احبابها .

بل تنتظر الاحباب ارواحها .

آه على المحبين . المودعين والراحلين .

* * *

ما بالكم تنجبون . اراه ودعة الفراق من يكفر بها ؟ دمة

الوداع من يجهلها ؟

دموعكم كالوابل المتساقط على بحر هاجت امواجه .

دموعكم تسكن الرياح .

دموعكم تنور حول الراحلين زهراً . وتتكون في صدف الحب

لؤلؤاً ودرأ .

دموعكم نور يضي . ساعة الفراق المظلمة الموحشة .

دموعكم نقط لكلمات سفر الحياة .

دموعكم ازهار على ضفتي نهر الاحزان . ودموع الراحلين طل في

كوؤس هاته الازهار .

آه على المحبين المنتجبين . المودعين والراحلين .

* * *

ساعة ازمنت الفراق . بدت لي اشياء من هناك - من ورا .

الكواكب والاقمار .

ساعة علت صيحة الاحباب . رفعت الي اعلام جميلة من خلال

الضباب .

على ضفاف انهر الابدية . في ظلال السدر الندية . رأيت الراحلين .
على فرش من السوسن متكئين . وسمعت اطيّاراً تغرد
حولهم : « الى حين ايها المنتظرون الى حين »

في تلك الظلال احبائي حيث الورد لا يزوي والربيع لا يزول .
حيث الحب يلعب متلهياً عن التنسائي في جمع اصداف الحزن
ولولو الرجاء .

هناك على احدى الروابي . انتظر احبائي .
وانسج لهم من ازهار الدموع والسرور . اكليل بمجد لا تبور .
وادخل واياهم بيتاً جميلاً خالداً من الحب والحبور .

* * *

على ابواب الجنة تنتظر الارواح احبابها .
بل تنتظر الاحباب ارواحها .
آه على المحبين المنتحبين . المودعين والراحلين .



معبدى في الوادى

ايه ام الطبيعة بل امي . جئت اجدد معك آمال الحياة وسرورها .
 جئت اجدد عهدى وايماني مع كلا . الحقول وزهورها .
 جئت اردد تحت هذه الافنان الخضراء . ابتهاج ابنائك الاتقيا .
 وقفت على ضريح الشتاء ليلاً . فشاهدت هناك مشهداً جليلاً .
 شاهدت ربة الربيع تقبل جبين ابوها . فينور الاقحوان تحت
 شفتيها .

رأيتها تكتب بدموعها سفر الخلود . فيرده العصفور في الجلمود .
 ورأيت الاولاد في الحقول حفاة . يقطفون الزهور خير من تالم
 في الحياة .

فقلت في نفسي ونعم الايمان . في قلوب الصبيان .

* * *

ان في قلبي اليوم شيئاً مما في قلب جاري . وفي قلب الغاب اثرًا
 من اثارى .

الا ان قلبي في عقل هذا القروي . وعقله في قلبي الخفي . والذي
 يراه تحت الكلا . اراه انا في السماء .

والذي يراه في الارض المنبثق منها نور العالمين . اراه في الكلام
 الورد او في براعم الياسمين .

فاذا كنت ارى ذلك في الحقل فلماذا ابرح الحقل ؟
 ألا أسمع في الكنيسة وعيد من لا يعرف من اسرار الحياة • سوى
 ما قرأه في كتب اللاهوت والصلاة •

- ان في ورقة من اوراق التوت • سرّاً لا يكشفه اللاهوت •
- الى الوادي اذاً • هناك بين اشجار البطم والزمريرق وتحت ادواح
 الصنوبر والسنديان • اشيد هيكل الايمان •
- اراني هناك في بيتي • بل في بيت الطبيعة • بل في بيت الله •
- ورفقائي هم حقاً احبائي • هم اخواني • حباً بحبي وايماناً •
- ان هيكل لي قريب من سلسبيل فضي ذهبي يجمع بين الدم الجاري
 في العروق • والصيب المتصاعد في الاشجار • واللبن
 الذي يحدد في النبات حياتها • وفي الازهار اريجها
 والوانها •

وان منبر مرشدي هو مسرح الانشاد والتغريد • لا منصة
 التحذير والوعيد •

اسمع همس الافنان • وهي تسبح في قلبها الرحمن • وقد احياها
 النسيم العليل • الذي جاها اليوم من بلاد الجليل •

* * *

سماع ! قد بدأ الدوري بتلحينه والسنونو بانشاده •
 سماع ! ان من حلق الحسون الذهبي تتدفق الانعام الفضية •
 ان الاطيار تدعوك الى تجديد ايمانك وامالك في الحياة •

هي تفتح لك ابواب السماء مفردة • ولا تبعدك عنها متهددة •
 هي تدعوك الى العمل • وتنفخ فيك روح الجدة والامل •
 اي وبسة الغاب ان رؤسنا هيكلك يرددون صدى نشيد الربيع
 لا صدى منطق « الغوري » والمعضلات •
 وشتان بين « الغوري » والدوري • وبين الحسنون والخوري •

* * *

في ظل القويسة والغار • وبين الصعتر والوزال والخنشار • وبالقرب
 من ضحضاح يشف عن نباتات حية تحت الماء • وفوق
 النهر الجاري تحت قدمي هذا الوادي الرهيب • ابني
 لك ايتها النفس هيكلًا من الايمان • يؤمه في
 المستقبل البعيد من اخواني والقريب •
 بل اقيم فيه تمثالًا للوداد والاخاء • وادعو اليه كل بشر تحت
 السماء •

فيه احبي اليوم انفس المستقبل ومستقبل الانفس العظيمة •
 وحياتي لا تردي بحياة الخنافس والدبابات • لان الناموس الذي
 يجر كسها تحت الكلا • يحرك النجوم في حبكها
 والسيارات في بروجها •

* * *

ان الاربيع المنتشر من هذه الادغال هو البخور الذي يحرقه
 الربيع على مذبح الحياة والايمان •

هو اريج الزعرور والقندول المختبئة اشوا كهما الآن تحت نقاب
جميل من الازهار الصفراء والبيضاء .

بين هذه الادغال الشذية . وتحت شعاع ابتسامة الاشواك . يلذ
لي التأمل في من مات ليحيي الحب والوداعة في الناس .
بين هذه الاشواك يحملني الخيال الى حيث وضع الاكليل على
رأس الشهداء .

على ان الزمان لم يبق منه سوى الازهار التي تنور كل عام في
قلوب الاتقياء . مثلما ينور القندول والزعرور في
الغابات .

فباسمك ايها النفس الالهية اصنع لايماني اكليلاً من زهر
الزعرور لا من اشواكه .

باسمك أشيد لحبي هيكلاً من خشب السنديان . وازينه
بالصنوبر والنيلوفر وباقار البيلسان .

والى اتباع الذي صلب وبني الذين صلبوا اقول : تعالوا نسبحه
اجمعين في وادي المسرة لا في وادي الدموع . تعالوا
نتصافح تحت السماء . حيث لا حاجز يحول دون
الحب . ولا ما يحول دون الاخا .



انا غريبان ههنا

او

جمعة الآلام

كلمة همسها النسيم في اذن رعاة الجليل فسمعتها الدهور ورددتها
الاجيال .

كلمة من اغصان الزيتون في اورشليم زلزلت العروش واسمعت
ملوك الارض صوت ذي الجلال .

كلمة زادتها دموع المرأة تحت الصليب . فنورت في السماء وكان
فيها مسك ختام النحيب .

هي كلمة الربيع في كل عام . بل نشيد الاطيار على الدوام . بل
اغنية الازهار في الحقول والآكام .

وان انفس الناس النبيلة . لتتجسد في مظاهر الربيع الجليلة .
ان في كل نفحة من نفحات الربيع . روح بشر عظيم وديع .

ان العام في هذه الايام . يحتفل بفوز اسراء الحب وملوك السلام .
وان اكليل الشوك لاعظام من تيجان القياصرة . وكأس المر

لاطيب من خمره الاكاسرة - وقد يدرك هذا الانسان .
فيظل من عبيد الزمان . بل من اسراء الغرور والبهتان

* * *

جئت الكنيسة لاردد اليوم مع الناس ذكر امير الناس • بل
 ذكر الحقيقة التي يعز نصرها بالعذاب • وتحلو بر
 الشراب •

دخلت الكنيسة وفي نفسي من احد النخل والزيتون ما لا ينسيني
 اياه يوم الجمعة الاليم •

بل في نفسي من السرور والابتهاج ما لا يضاهيه فرح الناس في
 العيد العظيم •

ان في هذا اليوم يجتمع القمر والشمس • فيشرق الغد على
 المستقبل ويشرق على الحاضر الامس •

في مثل هذا اليوم ولد على الصليب الكريم روح بشر صميم •
 انه ليوم حبور ايها الاتقيا • لا يوم حزن وبكا • بل لبس وريا •

* * *

وانما نحن في جنازة المسيح • وهذا وري تجديف قبيح •
 ان ورا • ذلك الستار الاسود الصليب • وامامه الاباء • ووجه كل
 قطوب كئيب •

هم يحترزون من لا يعرفون • بل يدمدمون وينعبون • والناس
 اليهم شاخصون •

ويلاه انا الوحيد الذي لا يرى ما يراه الاباء • ولا يشعر بما يشعر
 به هؤلاء الاتقيا •

ها قد مشى في الجنازة المدمدمون • وهم في الكنيسة يطوفون •

وهذا الصليب • وقد تصاعد وراؤه النحيب • وامامه البخور

والطيب •

وصل الموكب الي • فاجثوت على ركبتي •

سرحت في الناس نظري فرأيتهم كلهم ساجدين • ورأيت بمقرب
مني رجلاً آخر من الواقفين •

فرأيت في وجه هذا الغريب • ما خالج قلبي الكئيب • وصرخت
ساكتاً : الهنا • انا غريبان ههنا •

ثم كلمته فقلت : ولم الجناز • ومن صلب قد فاز ؟

ولم هذه الصلوات المبكية • وقد اشرفت على الارض ابتسامة
آلهية ؟

مال الغريب بنظره الي ولم يحبني بشي •

* *

ها قد دفنوا الصليب تحت الزهور • وانجلى غيوم البخور •

وطفئت الشموع • وكفكف المدمدمون الدموع •

خرجنا من الكنيسة انا والغريب ونفسي تناجي ذاك الحبيب
فسرنا معاً الى بستان من الزيتون خارج المدينة •

وجلست تحت شجرة هناك فجلس الغريب الى جانبي •

نظرت اليه ونظر الي • وقد استولى علينا السكوت والعي •

فكاننا حبيبان • فرق بينهما العرفان • فجتمعهما الحب والحنان •

وفي مثل هذه الساعة تفصح اللحاظ • عما تعجز دونه الالفاظ •

على انني حرت في امره العجيب وقلت في نفسي من ياترى الغريب .
وما كاد ينظر ذلك في البال ، حتى وقف امامي كالخيال ،
فعرفت الطيف في الحال . وقد انكرته في شكل الرجال .
وناديته مدهوشاً : اخي - رفيقي - سيدي - هذا فؤادي
ها يدي .

نفحة من جنانك . كلمة لآخوانك .
أسمعت خدامك ينبعون ؟
أتمثالك الناس يسجدون . وهم عنك بعيدون ؟
سيدي دعني القى على كتفك راسي . فيذوب ثلج فتوري ويأسي .
اقربني من فؤادك . لاترو من الحب الذي لا يعرفه احد من عبادك .
سيدي اسقني من الحرية والحق والاخاء . ما لا يشوبه الخوف والرياء .

* * *

وبين انا اكلمه في البستان . طل البدر من شرفة لبنان .
فتر كني ذو الجلال . مكانه كالخيال . وذاب في القمر فوق الجبال .



عشية رأس السنة (*)

قم ايها الناعس المتقاعس . قم ايها اليانس من الحياة .
 قم ايها العالم الفاتر الشعور القليل الاكثراث .
 قم ايها البخيل النائم على الصكوك والاوراق .
 قم ايها المقامر العبوس المكتئب وقم انت ايها المسرور المجبور المبتهيج .
 قم ايها الساخر بافراح الشعب البسيط .
 انهضوا كلكم واخرجوا معي الى اسواق المدينة هذه الليلة .
 انهضوا من رقادكم . اخرجوا من سجونكم . اطلقوا النفس من
 قيودها .
 احيطوا بهذا الجسم النحيل . اعطوني ايديكم ولا تخافوا .
 تعالوا معي ولا تأسفوا على شي . فات او مضى .
 اسمعوا اسمعوا . ان الابواق تناديكم . والاجراس تستقبلكم .
 والليل يبتسم ابتساماً لخروجكم .

* * *

نعم نحن في منتصف الليل .
 ولكن شمس تموز في راحة النهار لا تنير الارض كما اثار
 المدينة ليلة عيدها .

(*) كتبت في مدينة نيويورك . وفيها وصف احتفال الناس هناك باول
 ليلة من كل عام جديد .

ازاهر ايار لا تبهج النفس كازاهر هذه الانوار .
 كيف لا ومن اصوات السرود في الليل ينور الاثير في الفضاء .
 وترهر جنان الجوزا .
 تعالوا واياي الى اكبر شارع واجل جادة اريكم هناك جمعا عجبيا .
 من البائسين والبائسات يموج كالبحر الهائج ويهتف
 هتافا عظيما جميلا .
 وما هذا الشعب بشعب ثائر . بل هو مجبور فاز بالحياة ساعة بعد
 ان عاش في حياض الموت خلال العام المنصرم .
 اليّ نوثم احقر الاكواخ واطلم المضايق واقدر ازقة المدينة اريكم
 هناك اغنى الناس واكيسهم . ارفعهم واشرفهم .
 قد جاوا هذه الليلة ليؤاسوا الفقراء . جاوا ليتفقّدوا شؤون
 البوسا .
 ولكنهم قصدوا الاكواخ والمضايق والازقة فوجدوها خالية
 خاوية .
 في هذه الليلة يخرج الغني من قصره . والفقير من كوخه . والبائس
 من سجنه . والعبد من قيوده .
 في هذه الليلة يتحرر الانسان .

* * *

اليكم ايها الساخرون بافراح الشعب البسيط .
 تعالوا معي الى الملاهي ترونها مهجورة . والى رداه الرقص

ترونها انها مظلمة . والى مجالس الانس ترونها فارغة .
والى بيوت الشعب فتشاهدوها مزينة بأغصان النخل
والشربين وبالأنوار الصينية المتنوعة الألوان .

في هذه الليلة يتحرر الانسان .

يتحرر الانسان ولو ساعة واحدة في رأس كل عام .
ولو ساعة واحدة في السنة تتساوى افراد الامة وطبقاتها ويخرج
البشر من السجون التي بناها البشر .

تنطلق الرجال من القيود التي صنعتها الرجال .

في هذه الليلة لا يذكر الانسان شيئاً سوى انه حر سعيد محبوب .
ينسى الفقير كونه فقيراً . وينسى الغني كونه غنياً . وينسى
الشريف كونه شريفاً . وينسى البائس كونه بائساً .
وينسى الفاعل كونه عبداً .

ان فرح الناس في هذه الليلة لعظيم . فتكاد المدينة تضيق على ما
في قلوب اولادها من السرور والابتهاج .

نعم في مثل هذه الليلة يخرج الانسان من كل ما بناه الانسان
وشيده .

الملاهي والحانات والمعار ورداء الرقص وبيوت اللذات كلها -
كلها لاتشفي له غليلاً . كلها ضيقة مظلمة . كلها صغيرة
واطئة .

لاشيء هذه الساعة في العالم يستحق ان يقف الانسان تحته متهملاً

مجداً • الا الفضاء غير المتناهي • الا السماء الشهباء •
 المرصعة بالنجوم • المزينة بالكواكب والاقمار •
 في هذه الليلة يخرج اولاد المدينة وبناتها ورجالها ونساؤها
 ليودعوا العام المنقضي وليستقبلوا العام الجديد •
 يطوفون في الشوارع مهللين فرحين • نافخين في المزامير والابواق •
 هاتفين في الاسواق هتاف الصبيان •
 في هذه الليلة يتحرر الانسان •

* * *

هلموا الي ايها الساخرون بافراح الناس •
 تعالوا انظروا كيف الغني والفقير • والشريف والعامل • والصالح
 والاثيم • والصاحي والسكران • والكاهن والجاحد
 يسرون كلهم جنباً الى جنب •
 تعالوا انظروا كيف العاهرات يمسسن بمناكبهن مناكب العذارى
 والامهات •
 وكلهم رجالاً ونساء • صبياناً وبناتاً • يهتفون هتافاً واحداً
 ويسرون تحت سما الله اول ساعة من العام الجديد •
 بين الحان الاجراس واصوات المزامير والابواق •
 بين صفوف طويلة من الابنية الشاهقة المنورة • المزينة بسعف
 النخل واغصان الصنوبر والشربين •
 يموج هذا الجمع موجاً في الشوارع والازقة •

يموج والكتف الى الكتف وكلهم في الانسانية اخوان واخوات

لا يعرف الواحد منهم الاخر .

بل كل يعرف الجمع باسره .

لا ضغينة هذه الساعة ولا حسد ولا اثم ولا شقا .

لا حقد هذه الليلة يكدر في قلوب الناس الصفا .

نعم يسير الشريف ازا . الفقير ولا يتقزز من رائحة ثيابه .

يسير الصاحي قبالة السكران ولا يشمئز من رائحة فمه .

يسير الجاحد والكاهن ولا صلاة ولا تجديد .

يسير الصالح والاثيم . عاً . وكل انيس اليف .

تسير العذراء قرب الزانية ضاحكة مستبشرة .

والكل يهتفون هتاف الصبيان .

في هذه الليلة يتحرر الانسان .

* * *

رحمكم ايها الساخرون بفرح الشعب العام .

عودوا واياي الى زمن الصبا .

ان بين هذا الشعب المزدهم ولداً سورياً غريب السحنة . نحيل

الجسم . اسمر اللون . مفلطح الرأس . طويل الارنبه .

غليظ الشفتين .

وهو يفتح بمنكبيه طريقاً ويتقدم مع رفاقه الاعاجم هاتفاً

هتافهم . نافخاً مثلهم في البوق . مردداً اغانيهم

ونكاتهم . مقسماً إيمانهم . لاعناً كذلك لعنائهم .

غريب في دار الغربية نسيب في دار الجبور .

ومن لا يأسف على زمان الفتوة وإيام اللهو والسرور ؟

من لا يقول هذا القول ويردد في إيام الكهولة هذا الكلام

المبتذل ؟

ويلاه أمن اليوم نندب الصبوه ؟

اتخذعنا السنون نحن شبان هذا العصر فتسقيننا كأساً واحدة

وتتقاضانا ثمنها خمسين ومئة ؟

أتكسر الهمة الشباب الكأس بعد ان تربنا اياها ؟

اقسم بالله ايها القارى . ان الساعات التي قضيتها في تلك الليالي لالذ

واجمل ساعات الشباب .

بل هي ألد ساعات قضيتها حتى اليوم - ساعات سرور صاف

بسيط . سرور الصبيان . في بستان الزمان .

ولكن الساقى كسر الكأس وحطمها .

اواه أسحق الساقى الكأس وسقاني مسحوقها ؟

وان طعم هذا المر ليذ كرني اليوم بتلك الكأس الواحدة العذبة .

يذ كرني اليوم بتلك الليالي فاضحك عند ما أتأمل فيما كنا نقوله

ونفعله انا ورفاقي الاعاجم .

اي والله لم ازل اذكر اسما . بعضهم من صبيان وبنات .

واذكر لما كنا نخرج لنودع العام المنقضي ونستقبل العام الجديد .

ولما كنا نقف على منعطف الشارع كل مع حبيبه ونعد الوعود .
ونعقد العهود .

رحم الله الاحياء وودادهم . رحم الله الحبيبات وعهودهن .
لا سمير الآن للروح سوى الطبيعة . ولا رفيق غير الكتاب
وبعض الاحرار الصالحين البعيدين .

والمناجاة تغني عن المشاهدة في الاحايين
ونحن في عشق البعيد من القانعين الصابرين .

تم الجزء الثاني من الريحانيات

وبليه الجزء الثالث





فهرس الكتاب

صفحة		صفحة	
١٥١	تركيا الجديدة وحقوق الانسان	٣	في الباب
١٥٥	فاتحة مباركة		الخطب
١٦٠	العفو العالي	٧	في العزلة
١٦٤	الحرية وحدها لا توحدها	٢٤	هنا وهناك وهناك
١٧١	رجل الشعب	٣٣	الحرية والتهذيب
	الشعر المستور	٤٣	الثورة الادبية
١٨٣	الثورة	٥٧	المدينة العظمى
١٨٦	ريح سموم	٦٧	قيمة الحياة
١٩١	تحت الرماد وفوق النجوم	٨٤	هملت وشكسبير
١٩٤	داويني ربة الوادي	٩٣	حول المساواة
١٩٨	غصن من الورد	٩٨	الشعب والسياسيون
٢٠٦	فوءاد	١٠٢	في وصف بيروت
٢١٦	النفس الراحلة	١٠٦	في لبنان
٢١٩	معبدي في الوادي	١١٣	التساهل الديني
٢٢٣	انا غريبان ههنا		المقالات
٢٢٧	عشية راس السنة	١٤٣	وصية فواد باشا السياسية

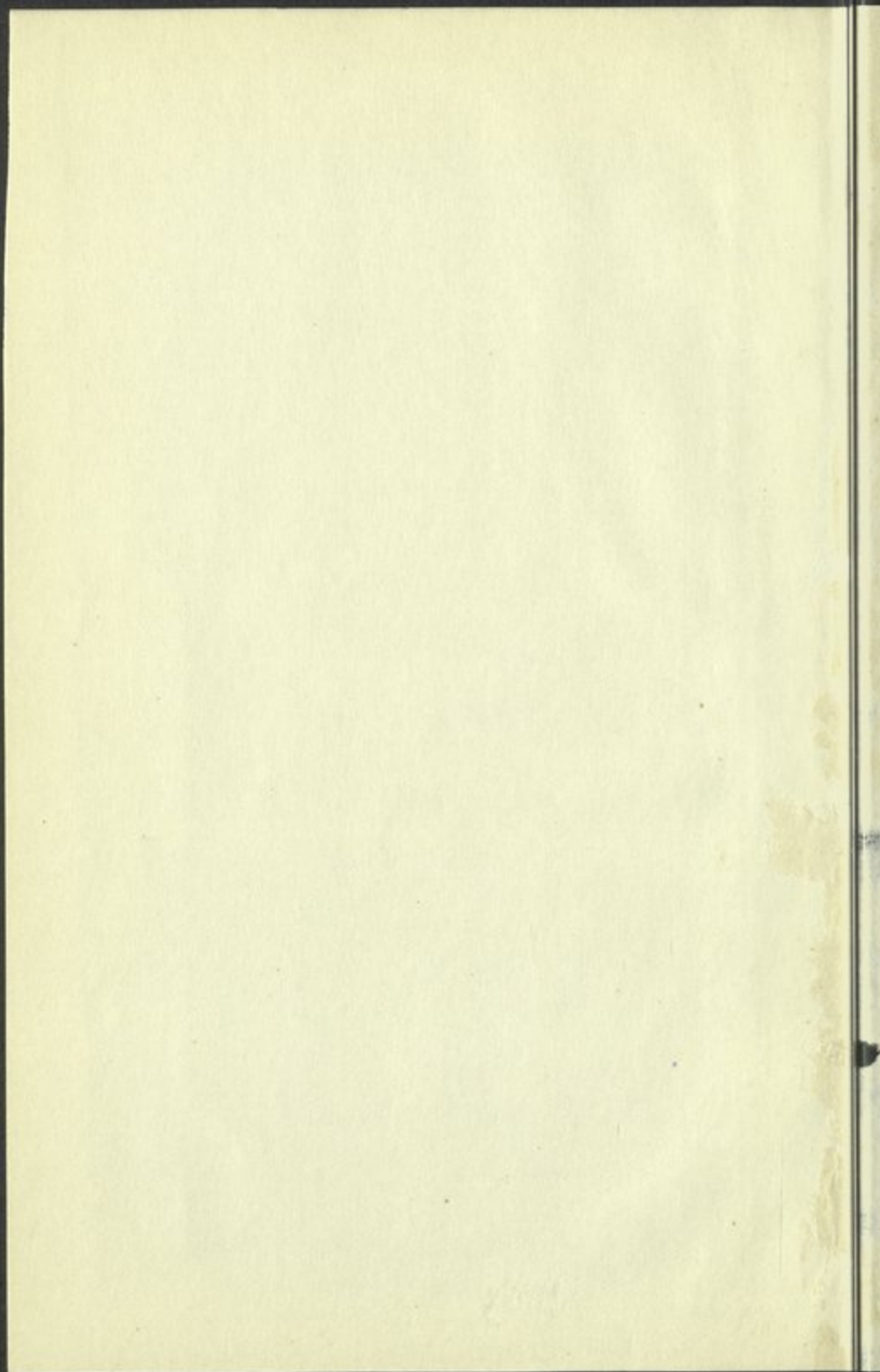
١٠ نيسان ١٩٥٥

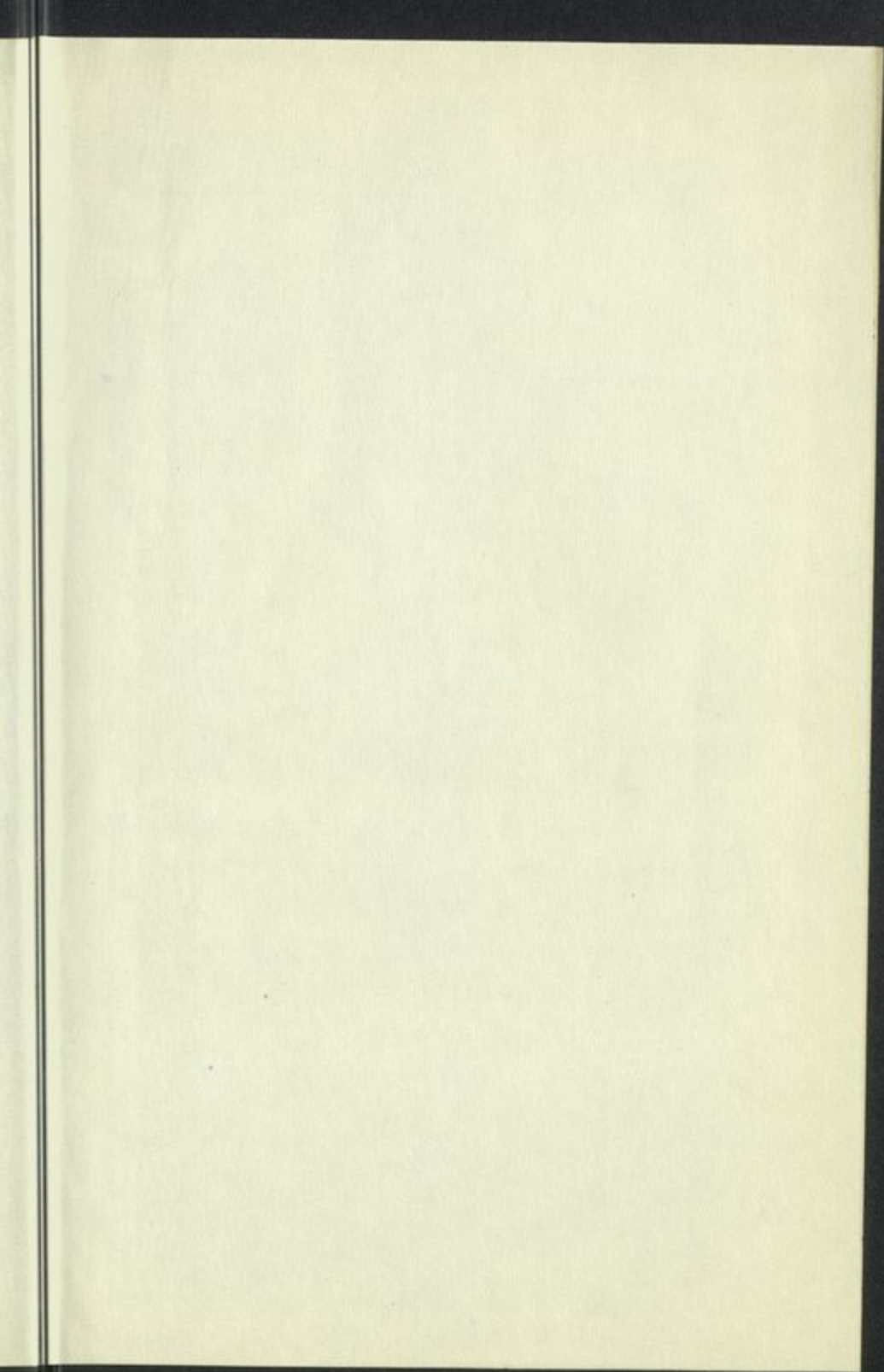


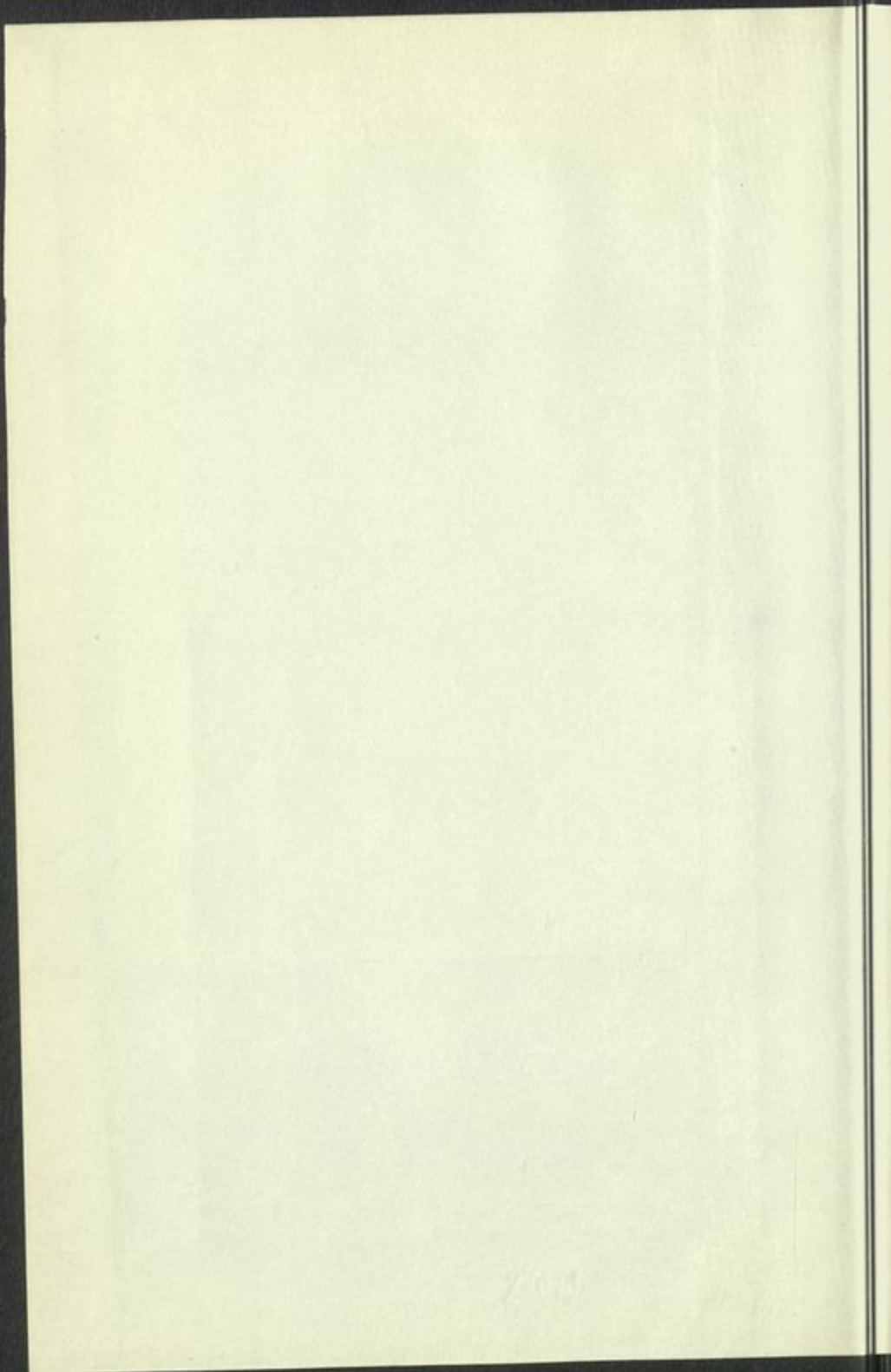
بالتاريخ

رقم	صفحة
۱	۱۵۲
۲	۵۵۱
۳	۵۲۶
۴	۲۶۶
۵	۷۱
۶	۸۱
۷	۲۸۱
۸	۱۶۱
۹	۲۶۱
۱۰	۸۶۱
۱۱	۲۰۱
۱۲	۲۶۶
۱۳	۲۰۱
۱۴	۲۶۶
۱۵	۲۶۶
۱۶	۲۶۶
۱۷	۲۶۶
۱۸	۲۶۶
۱۹	۲۶۶
۲۰	۲۶۶
۲۱	۲۶۶
۲۲	۲۶۶
۲۳	۲۶۶
۲۴	۲۶۶
۲۵	۲۶۶
۲۶	۲۶۶
۲۷	۲۶۶
۲۸	۲۶۶
۲۹	۲۶۶
۳۰	۲۶۶
۳۱	۲۶۶
۳۲	۲۶۶
۳۳	۲۶۶
۳۴	۲۶۶
۳۵	۲۶۶
۳۶	۲۶۶
۳۷	۲۶۶
۳۸	۲۶۶
۳۹	۲۶۶
۴۰	۲۶۶
۴۱	۲۶۶
۴۲	۲۶۶
۴۳	۲۶۶
۴۴	۲۶۶
۴۵	۲۶۶
۴۶	۲۶۶
۴۷	۲۶۶
۴۸	۲۶۶
۴۹	۲۶۶
۵۰	۲۶۶
۵۱	۲۶۶
۵۲	۲۶۶
۵۳	۲۶۶
۵۴	۲۶۶
۵۵	۲۶۶
۵۶	۲۶۶
۵۷	۲۶۶
۵۸	۲۶۶
۵۹	۲۶۶
۶۰	۲۶۶
۶۱	۲۶۶
۶۲	۲۶۶
۶۳	۲۶۶
۶۴	۲۶۶
۶۵	۲۶۶
۶۶	۲۶۶
۶۷	۲۶۶
۶۸	۲۶۶
۶۹	۲۶۶
۷۰	۲۶۶
۷۱	۲۶۶
۷۲	۲۶۶
۷۳	۲۶۶
۷۴	۲۶۶
۷۵	۲۶۶
۷۶	۲۶۶
۷۷	۲۶۶
۷۸	۲۶۶
۷۹	۲۶۶
۸۰	۲۶۶
۸۱	۲۶۶
۸۲	۲۶۶
۸۳	۲۶۶
۸۴	۲۶۶
۸۵	۲۶۶
۸۶	۲۶۶
۸۷	۲۶۶
۸۸	۲۶۶
۸۹	۲۶۶
۹۰	۲۶۶
۹۱	۲۶۶
۹۲	۲۶۶
۹۳	۲۶۶
۹۴	۲۶۶
۹۵	۲۶۶
۹۶	۲۶۶
۹۷	۲۶۶
۹۸	۲۶۶
۹۹	۲۶۶
۱۰۰	۲۶۶



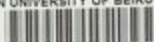






الريحاني، أمين
الريحانيات وهي مجموعة مقالات وخط

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01039160

A

892.78
R572rh2A
v. 2
c. 1